الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات في الميثاق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ليعتز كل الاعتزاز وهو يقدم كتابه هذا ((دراسات فى الميثاق))

بالأمس القريب قدمنا الميثاق ·

واليوم أراد المجلس أن ينظم لقاء حيا واعيا مع بعض أعلام الفكر والرأى فى امتنا على صعيد الميثاق ··

وانى اذ اقدم اليكم هذه الدراسات ، انما اقدم قطرة أو قطرات من بحر كبير أكبر من أن يلم به كتاب ، واعظم من أن تستوفى حقه دراسات ودراسات

فالميثاق ليس بسطور وصفحات بين دفتى كتاب ··

والميثاق ليس بكلمات تقرأ فى ساعة أو ساعات ،

انما الميثاق كفاح أمة وتاريخ شعب ·

الميثاق قصة طويلة عمرها عمر أمتنا وأبطالها ابناء شعبنا ··

الميثاق كلمات ليست ككل الكلمات ، منها كلمات مضت حبيسة فى صدور شهداء باعوا دماءهم فى سبيل أمتهم ، ومنها كلمات تهمس كالنسيم فى صدور أجيال قادمة من بعيد ··

الميثاق كلمات ليست ككل الكلمات ، منها كلمات حفرت بعرقها ودموعها القناة ، ومنها كلمات حررت بعرقها ودمائها القناة ·

منها كلمات صمدت بإباء تحت ضربات العروش ومنها كلمات وطئت بأقدامها الطاهرة التيجان والعروش وهتفت من أعماقها ، لمن الملك اليوم — لله الواحد القهار ··

منها كلمات عاشت حرة تابى على نفسها عبادة الأصنام ، ومنها كلمات رفعت عصاها لتحطم الأصنام وهى تنادى بين الناس ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

منها كلمات كانت تتمنى لو رات سدا باسوان يوفر الماء والرزق للناس ومنها كلمات راحت تجمع السد حجرا حجرا .. كلمات قامت تبنى السد بيد وتحمل السلاح بيد لتحمى الماء والرزق للناس .

نعم ان الميثاق كلمات وكلمات وكلمات .. والآن اليس حقا أيها الاخوة ان الميثاق أكبر من أن يلم به كتاب لو أن تستوفى حقه دراسات ودراسات ..؟

الميثاق أيها الاخوة كتاب كبير عمره دهر ، صفحاته تاريخ امم وشعوب، وكلماته أجيال مضت واجيال فى الطريق ، كتاب استوحى فكرته ثائر وسطرته يد بطل ..

كتاب عاش له بالأمس جمال الثائر واليوم يعيش من اجله عبد الناصر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

محمد توفيق عويضه

سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

القاهرة فى ٢٥ مايو ١٩٦٣
٢ محرم ١٣٨٣

مفهوم الثورة وتجربتها الثورية في الميثاق .

السيد حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية
وعضو مجلس الرياسة

في وسط الاحداث التي تتعاقب بلا توقف يسعدني أن اجيء اليكم هذه المرة ، ملبيا دعوتكم الكريمة ، الى افتتاح الموسم الثقافي لجامعة الأزهر .

واني اذ اشكر لكم هذه الدعوة ، اعتز في نفس الوقت بهذا التكريم للثورة ، في احد رجالها الذين آمنوا بربهم ، وبوطنهم ، وبقائدهم ، في معارك الثورة المتواصلة ، من أجل بناء مجتمع افضل .

وأرى في هذه الفرصة مجالا نتجاوب فيه مع الاحداث ، ونطل من رحاب الأزهر الشريف على مفهوم الثورة وتجربتها الثورية في الميثاق .

وما من مرة أتحدث فيها من الأزهر — وللازهر في قلب كل مسلم رصيد من التكريم والاحترام — الا وأحسست أن كل كلمة تقال هنا ، تختلط أصداءها بأحاديث من سبقونا من ائمة الفكر الاسلامي ، الذي استمر يهدي الى الرشد قرونا طوالا ، وسيظل مستمرا باذن الله الى ما شاء الله .

الى هذا اشار الميثاق في قوله :

« في اطار من التاريخ الاسلامي ، وعلى هدى من رسالة سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — قام الشعب المصري بأعظم الادوار دفاعا عن الحضارة والانسانية .. واتخذ هذا الشعب من ازهره الشريف حصناللمقاومة ضد الاستعمار ، وضد الرجعية التي حاولت أن تستر جرائمها باسم الدين » .

المثل الناجح

ما من شك فى أن هناك من يسأل : هل يمكن للاســـلام أن يعطى دليل العمل التطبيقى ، بعد هذا الزمن الطويل ، الذى توقف فيه الاجتهاد ، ولم تتحرك مبادىء الاسلام ، لتعطى الحلول العملية لما تتعرض له التجـــــربة الانسانية ، فى تطورها المادى الصناعى المضطرد ؟

هذا السؤال كثيرا مايؤدى بالناس الى افتقاد الاجابة العملية المقنعة .. والاسلام يقول : ((**ولا تقف ماليس لك به علم**)) فيجد السائل نفسه باحثا عن المثل الناجح ، ايا كان مصدره ، وايا كان اتجاهه ، يتلمس عنده الجواب ، ولديه الدليل .. دليل العمل .. ولكن كلما تعمق فى صور النجـــاح والمثل الحديثة من التطور ، وجدها جميعا لا تشفى له غليلا ، ولا تجيب على مايعتمل فى نفسه من معان ومثل ، لها جذور عميقة فى نفسه ، فيصـــبح حائرا بين المثل الناجح الذى وجده ، وبين فطرته التى فطره الله عليها .

الاسلام ــ أيها الاخوة ــ لم ينتشر بحد السيف كما يتصوره المتصورون ، ولكن الاسلام انتشر بالقدوة والأسوة الحسنة وبالمثل الناجح ، ولو كان الاسلام عجز عن تقديم المثل الناجح فقد كان على الناس ان تتطلع الى الأمثلة الناجحة من أية جهة ، وهذا غير الواقع ولكن هل لنا أن ننساق فى هذا المجال بلا أفق ولا حدود ونحن نؤمن فى نفس الوقت برباط روحى وثيق يشدنا الى العالم الاسلامى كما يفرد ميثاق العمل الوطنى ؟ هذا هو السؤال .. ونحن فى هذه الحيرة والتساؤل نجد فى أيدينا ميثاقا هو دليل العمل الوطنى الذى تتضح فيه تجربتنا الثورية خلال السنوات العشر الماضية وما يقتضيه العمل لمستقبل هذه الامة ، وهى متجهة نحو أهدافها ملتزمة مبادئها التى تعتبر امتدادا لمبادىء الثورة ، والمثل الناجحة التى قدمتها التجربة الرائدة فى المجال الانسانى .

واذا نحن اتجهنا فى هذا المجال الى مجال السياسة الخارجية نجـــد اننا نسير وفقا لمبدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز وليس من شك فى ان هذا المبدأ يؤكد يوما بعد يوم للقاصى والدانى فى كل مكان انه فى سيره الناجح فى هذه التجربة الرائدة انما يستمد أصوله من واقع الصورة التى يجب أن نعيش فيها ونعمل بها .. كما تؤكد الأحداث من حولنا فى اقصى الغرب وفى أقصى الشرق .. ان هذه التجربة تثبت نجاحها حينا بعد حين ، هذا المبدأ .. مبدأ عدم الانحياز والحياد الايجابى ، الذى يتفاعل مع الأحداث فى كل مـــكان ويثبت قوته فى كل حين وفى كل وقت يؤكد بالقوة الفعالة قوله سبحـــانه

وتعالى ((**وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة**)) ، فهذه القوة هى التى تجعل هذا المبدأ قائما قويا واقفا على قدميه معتزا كل الاعتزاز . هذه هى الصورة العملية للمثل الناجح والأسوة الحسنة والقدوة الحقيقية .. لا أقول ذلك فى مجال العاطفة ، ولكن اقول ذلك فى مجال التفاخر ومن مجال الواقع الحى الذى نعيش فيه .. واذا نحن نظرنا الى المحيط الذى نعيش فيه فى منطقتنا نجد أنه قامت هنا فى مصر ثورة فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ، ولقد كانت هذه الثورة أصيلة فى كل أمرها ، وأصيلة فى قيامها ، أصيلة فى منطقها ، اصيلة فى مبدئها ، ولقد أعلنت الثورة حينما قامت مبادىء ستة هى :

المبدأ الأول : القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة .
المبدأ الثانى : القضاء على الاقطاع .
المبدأ الثالث : القضاء على سيطرة راس المال على الحكم .
المبدأ الرابع : اقامة العدالة الاجتماعية .
المبدأ الخامس : قيام جيش قوى وطنى .
المبدأ السادس : اقامة حياة ديموقراطية سليمة .

ونظرة فاحصة الى هذه المبادىء تؤكد أنها أصيلة ، وهذه هى الاصالة التى أردت أن أتحدث اليكم عنها . فهى أصالة انفردت بها الثورة وتميزت عن غيرها من الثورات ، فقد قامت من حولنا بعد ذلك ثورات منها الذى اختط لنفسه سياسة لا ترتبط بمبدأ ولا ترتبط بأساس ، ولذلك سرعان ما انتكست ولم تسر كما سارت ثورتكم هذه ، ذلك لان ثورتكم كانت أصيلة ولانها كانت نابعة من ارادة هذا الشعب القوى المعلم . هذه الارادة هى التى تنير لنا الطريق دائما ثم هى فى نفس الوقت قد اثبتت أن الاستعمار انما يشكل العقبة الكئود : العقبة الاولى فى سبيل التحرر ، فكيف يمكن لأمة أن تبنى نفسها وفيها جيش لمحتل ؟ أمر بعيد الوقوع ولذلك كان الاستعمار عقبة أولى فى المجال الخارجى ، أما فى مجال بناء المجتمع فهناك أوضاع اخرى امام قيام هذا المجتمع ، ففى ربوع البلاد يقوم اقطاع يتحكم . يتحكم فى لقمة العيش.. ويتحكم فى مصير الناس . ولا يمكن للذى يعيش فى ظل الاقطاع ان يقول لا ، حين يريد ان يقول لا ، ولا أن يقول نعم ، حين يريد ان يقول نعم . هذه هى الصورة التى رأينا عليها الاقطاع .. ولذلك كان القضاء على الاستعمار تحريرا لارادة الفرد .. وتحريرا لارادة الأمة .. وكذلك سيطرة رأس المال ، لقد كانت فى الماضى صورا يندى لها الجبين . لقد كانت الحكومات تتعاقب والمال هو المتحكم فى قيامها وفى زوالها ، يقيمها رأس المال ، ويزيلها راس المال .. هذه الصورة التى كانت فيما قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هى الصورة التى كانت تمثل مجتمعا يعيش فيما بينه وبين نفسه .. ويشعر أن هناك عقبات فى سبيل البناء الحقيقى .

يأتى بعد هذه العقبات قيام العدالة الاجتماعية ، ثم قيام الجيش الوطنى القوى الذى يحمى هذه المبــــادىء ، فلا يمكن أبدا لأى عقيــدة مهما سمت بفكرتها أن تعيش الا والقوة الى جانبها تحميها ، كما أن القوة لا يمكن أبدا أن تعيش بغير عقيدة .. ان هذه القوة لا يمكن أن تسير ولا يمكن أن تتقدم الا اذا كانت العقيدة تدفعها والعقيدة تحركها ، وفى هذا المجال نجـــد الأمثلة الناجحة فى الثورات من حولنا تحاول أن تتمثل ، وتحاول أن تقتـــدى بالمثل الناجح . وهناك ثورات أخرى حادت عن الطريق وانحرفت بشعبها وبأمتهــا فعطلت بذلك سير التاريخ الى حين ، ولكنها لم تغير حتمية هذا التاريخ ، تلك الحتمية التى سوف تصل ــ بما لاشك فيه ولاريب ــ الى أهدافها فى يــوم من الايام ، وهذا اليوم قريب ان شاء الله .

اننا نرى اليوم ذعرا فى السعودية . وذعرا فى الاردن .. واننا لنتساءل لماذا هذا الذعر فى كل من السعودية والاردن ؟! انهم يشعرون هناك انهم يسيرون ضد التيار .. ضد تيار التاريخ .. انهم يشعرون انهم منفصلون عن شعوبهم ، بينما اصبحت الشعوب اليوم على صلة متكاملة وخصوصا فى هــذا المحيط العربى .

كل انسان فى المحيط العربى انما يتفاعل مع الأحداث التى يعيش فيهــا فينفعل بها ويتفاعل معها ، ويؤثر فيها وتؤثر فيه .

هؤلاء الذين يعيشون فى السعودية حينما يستنجدون بالأجنبى من أجل تمكينهم فى أرضهم انما يشــعرون أنهم فى فراغ ، وأن الشعب أصبح لهــم بالمرصاد .. هذه الصورة انمــا تعبر عن واقع موغــل فى الجهل وموغل فى البعد عن الواقع ، هذا الملك الذى يعيش فى السعودية ، وهذا الذى يعيش فى الأردن لا يشعر بحاجة أهله ولا بحاجة الناس فى بلده ، ولكنه يعمل كل جهده لأن يعيش هو ، وأن يحافظ على بقائه هو ، ولذلك يقول الحكام فى السعودية والأردن : ان القاهرة حينما تتكلم فهى التى توعز الى هؤلاء .. اننا لانوعز الى أى من هؤلاء اطلاقا ، ولكنه المثل الناجح مرة أخرى يرشد ويجمــع القلوب بلا عمل ولا تدبير ، ولذلك فاني أقول خلاصة من كل ما تقدم : **ان المثل الناجح هو الأساس فى انتشار أية دعوة .**

واذا كنا نحن فى الميثاق العظيم الذى أعلن فى ٢١ من مايو من الســنة الماضية دليلا على العمل الوطنى قد ضمنا هذا الميثاق عشرة أبواب ، فانمـــا أردنا أن نشير بكل وضوح الى المراحل التى عشناها مرحلة بعد مرحــــلة ، فها أنتم ترون فى بابه الأول نظرة عامة تبين لنا عبرة الماضى ، وأما بابه الثانى ففى ضرورة الثورة ، وهذا يبين واقعية العمل وعدم التمسح بالشـــكل الذى لايؤدى الى جذور النضال المصرى بما يوضح الاصالة وعمق الكفاح ، ثم يبين درس

النكسة دروسا نستفيد بها فى كفاحنا المقبل ، ثم يبين الديمقراطية بعد أن اطاحت بكل العقبات التى تقف فى سبيلها ، ثم الاشتراكية كأساس يوحد بين عواطف الناس ، فليس هناك كبير ولا صغير ولا غنى ولا فقير .. كل يشعر بالعدالة والمساواة ، وبحقه فى الحياة فى أمته ، هذه هى الضمانات الحقيقية لتجعل كل فرد فى هذه الأمة يشعر بوجوده وكيانه ، ويشعر بتفاعله مع هذا المجتمع ليحقق مبدأ الكفاية والعدل . مبدأ الكفاية بزيادة الانتاج فى كل مرفق من المرافق ، ثم يتحدث بعد ذلك عن التطبيق الاشتراكى ثم الوحدة العربية .. واخيرا يتكلم عن السياسة الخارجية .

والمبدأ الأول فى سياستنا الخارجية : اننا نحارب الاستعمار ، وهو أحد مبادىء الثورة الستة ، لأنه العقبة الكئود التى تقف فى سبيل البناء .. ثم يقرر الميثاق اننا نؤمن بوحدة عربية ثم يبين الميثاق أننا نعمل من أجل جامعة افريقية ، ثم من اجل تضامن أسيوى افريقى ، ثم تجمع من أجل السلام ، ثم نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا الى العالم الاسلامى ، ثم نؤمن بميثاق الأمم المتحدة ، واخيرا التعاون العالمى من اجل الرخاء .

هذا التلخيص انما أردت أن أبين به أننا اذا اردنا أن نتعلم الميثاق فيجب أن نبسط للفكر العادى فى كل مكان ، حتى يمكن لكل واحد منا أن يكون داعية فى مجالسه .. فاننا حينما ننظر نظرة شاملة الى الاسلام نجد ان الاسلام قوة ومتانة .. **« ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ، ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى » ..**

وكذلك الميثاق .. لا يمكن ان نتعرف على كل ما فيه فى يوم وليلة ونحن على باب الدخول فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، ولكن المطلوب منا فى هذه المرحلة أن نتذكر ونحن ندعو الى الاتحاد الاشتراكى العربى ، أن الدعوة الى الاسلام فى أول الأمر لم تكن تتطلب من الناس ان يفقهوا كل ما فى القرآن بما فيه من اعجاز وبما فيه من عمق ، لا يمكن أن يصل اليه الا ذوو العلم وذوو الكفاية والمتفرغون لهذا الأمر . بل أكثر من هذا أقول : انه لم يكن المسلم يطالب فى ذلك الوقت الا بأن يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

هذه هى المقومات الأولى التى كان يطالب بها المسلم حينما ينضم الى صفوف الأحرار اعلانا لهذا الشعار الخالد واعلانا لانه اصبح متحررا من فايته ، وانه اصبح متحررا فى فكره ، متحررا فى عقيدته ، متحررا فى ماله ، وبذلك يمكن لهذا الفكر المتحرر ان يكون مستقبلا ومرسلا ، وان يكون أثره ناصع البياض قويا .

واليوم ونحن فى مجال التطبيق الاشتراكى العربى ، نرى أولئك الذين يتقدمون لهذا الاتحاد يسيرون وفق مبدأ يربطهم بميثاق العمل الوطنى ، الذى

يعبر عنه بالفكر الذى نسير على هداه ، والعمل الذى نقوم بتنفيذه ، والهدف الذى نتجه اليه . ومجموعة المبادىء التى تربطنا فى تصرفاتنا ، التى تمكننافى النهاية من اقامة الاشتراكية العربية السليمة ، التى نعتز بها كمثل ناجح ، سيكون فى القريب العاجل المنار الذى يشع ، والقوة الفعالة التى ينجـــذب اليها العالم العربى فى كل أقطاره ، وليس من شك فى أن الرجعيـــة فى كل مكان تحسب حسابا كبيرا لهذا الاتحاد الاشتراكى ، الذى أصبح تنفيذا حيــا لهذه المبادىء التى اعتنقناها فى الميثاق ، والتى يمـــكن أن تجعل من بلادنا القاعدة الوطيدة التى يسعى اليها كل لاجىء ، والتى يسعى اليها كذلك ، الاحرار فى كل الوطن العربى . ويوم يشعر كل عربى أنه فى بلده وانه فى وطنه الذى جزاه الاستعمار ، وأن هذا البلد أو هذا الوطن قطعة من العالم العربى ممثلة فى اتحاد اشتراكى عربى ، يؤمن بالهدف ، ويؤمن بالمبدأ ، ويؤمن بالفكرة .. يومها تتحقق الصورة التى نشعر بأن المستقبل لن يكون الا لها ، وسوف لايكون للرجعية فى هذه الحالة مجال تعمل فيه ، ولا أقدام تقف عليها ولن يفيدها فى ذلك أن تستنجد بالغرب دون الشرق .

واننا فى هذا المكان وفى رحاب الأزهر وفى هذه الأيام التى نستقبل بها عام ١٩٦٣ والتى تعيش فيها الأمة العربية مع أحداث عظام يتفاعل فيها كـل قطر من اقطارها ، وكل فرد من أفرادها . نرى أنه حينما قامت معركة اليمن كيف تفاعلت معها كل الأقطار التى تحب الحرية ، وكيف تفاعلت معها أيضــا هذه الرجعية التى لا تحب الحرية ، والتى لا تحب ان تقوم ثورة متحـــررة تعرف طريقها .

ان الحرية المتطلعة لا تقف عند حد .. واليوم ونحن نكون الاتحـــاد الاشتراكى العربى يتبادر الى الخاطر سؤال هو : هل لهذا التنظيم الشعبى السياسى علاقة بالاسلام ؟

وجوابى على هذا السؤال : ان الاسلام قـد وضع احكم تنظيم سيــاسى بناه على قواعد تفردت بالاصالة والبساطة والاستمرار .. أما الاصالة فان كل أحكام الاسلام فى ذلك كانت جديدة نابعة من السماء . وهناك كثير من الناس يستهويهم الجديد ويخطف أبصارهم البريق فيندفعون اليه بكل حواسهم وهم لايشعرون أنهم يسيرون فى الطريق المسدود ، لأن الصورة قد بهرتهم فـلم يأخذوا بالأصل فيما اعتزموا القيام به من أعمـــال .. **وهـا نحـــن فى الجمهورية العربية المتحدة نرجع بالامور الى اصولها فنعتز باننا جزء من العالم العربى ، وباننا عرب ، وباننا نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا الى العـــالم الاسلامى كما نص الميثاق** .. وكان فرضا علينا ونحن نضع اللبنـــات الاولى للاتحاد الاشتراكى العربى أن نعود الى الاصل ولا نلتفت الى الصورة ونحن نقيم هذا البناء على هدى من العروبة والاسلام .



الرئيس عبد الناصر يجتمع باللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى العربى

أما البساطة فى البناء فقد أوضحها الاسلام فى مجموعة من القـــواعد التى تؤدى دائما الى الترابط فى العلاقات وفى أسلوب الحياة وفى التصرف الخلقى الانسانى .. اننا نرى المسلم الذى يصلى بأسلوب بسيط يربطه بربه ويصله بخالقه ، يجعل من هذه الصلاة ببساطتها فى الأداء مجالا للامتناع عن كل شر ، والعمل على مرضاة ربه فى كل عمل .. هذه الصورة من البساطة انما تعبر عن مفهوم الاسلام الحقيقى حينما يقول « **اليوم يئس الذين كفــروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون** » أسلوب منفرد بسيط فى ادائه لا يحتاج الى أجهزة ولا يحتاج الى رقابة ولا يحتاج الى تحكم ، ولكنه الضمير الحى الــذى يتكون من هذه المبادىء البسيطة .

وأما الذاتية وهو الأمر الثالث بعد الأصالة والبساطة فليس كالاســلام أسلوب فى اعداد الفرد الذى يشعر بمسئوليته .. مسئوليته عن الرسالة ، فليست الرسالة من مسئوليات محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحده ،ولكنها مسئولية مستمرة يحملها كل من حمل الرسالة ، وهذا يضيف الى هذا المبدأ ، مبدأ الاستمرار . ولو أردنا ان نترجم قواعد التنظيم فى القرآن ترجمة أصيلة ونضمها الى واقع التنظيم السياسى فى الاسلام ، فاننا نجدها مجسمة فى سورة الحجرات .. لقد حوت هذه السورة الكريمة سلسلة من القواعد الاساســية للتنظيم ،ومجموعة من الأوامر والتصرفات التى تحكم عــلاقات القيــــادة بالقاعدة وتقدم للمثل الذى يعتبر اصلح مقياس واقوى أساس لبناء التنظيم السياسى الأفضل ، والخطاب فى هذه السورة موجه للمؤمنين فهم وحدهم الذين يستطيعون البناء .. بناء الأمة القوية المتحدة « **يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله** » أى لاتتقدموا بقول أو عمل بغير اذن من الله ورســوله اجلالا للخالق واحتراما للقائد « **يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وانتـــم لاتشعرون ، ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ، ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** » تحديد صريح واضح لعلاقة الأفراد بالقائد لايمكن تأويله بأى نوع من التمييز الطبقى ، فقد وصف الله القائد هنا بأنه رءوف رحيم على خلق عظيم ، ولكنها مقتضيات التنظيم التى تشكل قيام البناء على أساس سليم « **يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصـــبحوا على على مافعلتم نادمين ، واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الـــكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون** » « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوابين أخويكم** » « **يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم** »

« يايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » .

انني أردت أن أسترسل في سرد هذه الآيات لكى نتبين من الصورة التى تعطيها لنا أنه فى مجال التنظيم السياسى انما يريد الله ـ عزوجل ـ ان يجعل من المؤمنين فى علاقاتهم بعضهم لبعض مقتدين بالرسول الكريم القائد العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، هذه الصورة التى تدل على هذه العلاقات وما لها من أهمية قد تستطيع أن تحفظ فى يوم من الأيام وقد تعطينا أفضل الأفكار ، ثم ينقصنا المؤمنون الذين يؤمنون بهذه الأفكار ،وبذلك لا نستطيع أن نتقدم خطوة واحدة ، ثم نجد الأفكار ونجد المؤمنين ، ثم نتبين أنه تنقصهم مجموعة الروابط والعلاقات التى تجعل منهم قوة جماهيرية متحركة فى المجال العملى فى التطبيق

ان وجود هذه الروابط هو الذى يجعل المجتمع كله كتلة متراصة يمكنها أن تنتهى الى الهدف وتصل الى الغرض بكل قوة وكل تناسق . وانى لأذكر هذا الحديث الذى يبين أن المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد ، فان هذا الجسد حينما يتحرك كتلة واحدة ، وبقوة واحدة نحو فكرة واحدة وهدف واحد ثم تحده فى تصرفاته مبادىء واحدة فلابدلهذا المجتمع من أن ينجز المعجزات ويؤدى العمل المطلوب منه ، ولكن لو كانت مجموعة العلاقات التى تربطهم ببعض ضعيفة ركيكة فلا يمكن لهذا المجتمع أن تقوم له قائمة ، ولذلك فان الله ـ عز وجل ـ حينما ينبه فى هذه السورة الى مجموعة العلاقات الخلقية التى تربط بين القائد وبين الأفراد والجماعات وتلك الاخلاقيات التى يجب أن تربطها فى مجال العمل انما تحدد ذلك الأسلوب الذى يجعل الترابط حقيقية واقعة .

ان الاستعمار لم يتمكن من المسلمين على الاطلاق الا حينما كانت هـــذه العلاقات بين الأفراد والجماعات وبين المسلمين فى كل بلاد الأرض مفككة ، والا حينما تغاضوا وتناسوا وتساهلوا واستسلموا فى كل هذه المعانى البسيطة التى تربط بين المسلم والمسلم فى فكره وعقيدته ، فى خلقه وتصرفه ،ان هذه الأخلاقيات لم تأت فى سورة أخرى كسورة النور مثلا ولكنها جاءت‌هنا فى مجال التنظيم السياسى لكى تجعل من الأمة الاسلامية قوة متماسكة مترابطة تربطهم الأخلاقيات التى هى أساس التنظيم السياسى ، حتى لايكون هناك تجسس ولا ظن بالاثم ولا سخرية فرد من فرد ، كل هذه المعانى هى التى تفسد العـــلاقات بين الناس ، واذا فسدت العلاقات بين الناس ، بين أى مجموعة من الناس لابد لهذه المجموعة أن تتفكك ويتمكن منها العدو وكل من يريد أن يتحكم فيها .. واذا أردنا أن نستعيد مرة أخرى هذا البناء السياسى على أساس من القـــوة الحقيقة ، فعلينا فى هذه المرحلة التى نجتازها فى بناء الاتحـــــاد الاشتراكى العربى ان نضع نصب أعيننا بكل قوة وكل اصرار تركيز هذه المعانى الخلقية

قبل كل شيء حتى يقوم هذا البناء متعاونا متراصا متفتحا يستشعر بالمسئولية العامة فى علاقته بين نفسه وبين أفراده ، ثم بعد ذلك بين هؤلاءالذين يتصورون أنهم مؤمنون وهم بعيدون عن الايمان « **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » .

أما مواصفات المؤمنين فهم أولئك الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون .. تعريف واضح .. ايمان بالله ، وايمان بالفكرة ، ايمان بالرسول ، ايمان بالقائد ، ثم لم يرتابوا اى لم يترددوا أو يتشككوا لأنهم بلغوا درجة اليقـــين ، فابوا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ كذب عندما تحدثوا معه عن المعراج ولكنه عاد فقال انه الحق ، وانه الصدق عندما قالوا له ان ذلك قد حدث لرسول الله وانه هو الذى حدث به ، وذلك دليل على درجة ماوصل اليه أبو بكر من الايمان واليقين، فقد كان عليه وهو يحكم عقله فى المنظور الذى أمامه وبطبائع الأمور انيكذب ولكن ليقينه بالقيادة وثقته بها قال انه حق مادام الرسول قد قاله وتحدث به .. غير أن الايمان وحده لايكفى لأن الاسلام لايعترف بالايمان المجرد من العمل، فأسلوب العمل بالنسبة للمؤمن يتمثل فى قوله سبحانه « .. **وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله** » .

هذه هو المحك الطبيعى لمعرفة مدى الايمان اننا لانقوم اليوم بتشكيل الاتحاد الاشتراكى ولنبدأ مباشرة بالتعرف على المؤمنين به ، انما يكفينا أن النـــاس تتقدم لهذا الاتحاد ، ثم نترك السنين بعد ذلك هى التى تجعل المرء يعرف فى نفسه الايمان وأن يلمسه بالمحك الفعلى فى مجال العمل .. وليس من شك فى أنه فى هذه المرحلة التى مررنا بها فى عشر السنوات ظهر أناس كثيرون على درجة كبيرة من الايمان بوطنهم ، والايمان بالمبادىء ، والايمان بالمثـل وكانت صورهم واضحة لايمكن أن تغيب عن بالنا ، حدث ذلك فى معركة ١٩٥٦ وكان فى مراحل التطور التى كسبناها من سنة ١٩٥٢ حتى الآن ، غير أن الاتحـاد الاشتراكى العربى يجب أن يقوم على أكتاف كل من يؤمن بالميثاق كفكرة ثـــم كترابط مجموع الناس المؤمنين تبين لنا الأسلوب الواضح فى العمل ودليله . لقد فصلتنا عن الحضارة التى نادى بها الاسلام والمبادىء التى وضـــــعها ، مسافات طويلة من الزمن ، ورغم هذا فقد كانت هناك ومضات براقة تمر فى التاريخ ولا زلنا نهتدى بقبسها حتى الآن .. كمـــــا حدث فى أيام عمر بن عبد العزيز ..

نخرج من هذا كله أنه لابد من أن يساند العقيدة العمل ، كما ان العمـل لايمكن أن يكتب له نجاح بدون عقيدة .

أيها الأخوة :

مرة أخرى أشكر ادارة الأزهر والقائمين بالعمل الذين تفضلوا واقاموا هذا البرنامج الثقافى على دعوتهم لى لهذا الافتتاح ، كما أشـــكر جميع الذين حضروا ، وأرجو أن نوفق جميعا فى اداء هذه الرسالة على هدى من اللهوسنة رسوله لنتمكن جميعا متكاتفين متعاونين من أن نعلى رايـــة الحق وأن نؤمن بالاشتراكية المؤمنة طريقا الى العمل لكى نرتفع بهذا الميثاق كممثل للفكر الذى امكن أن نحصل عليه فى مجال التجربة خلال عشر السنوات الماضية ، ودليلا على العمل فى عشر السنوات القادمة لاقامة هذا الصرح العالى من الفكر المتحرر لبناء الفرد المتحرر من أجل مجتمع افضل .

« والسلام عليكم ورحمة الله »

نجاح الميثاق يرتبط بشئ واحد : ممارسة الحرية

محمد حسنين هيكل

التحدى الكبير الذى يواجهنا فى المرحلة القادمة من النضال هو : الحرية أو بمعنى أدق هو : ممارسة الحرية •

والتجربة الضخمة التى نعيش فيها الآن ، ترتهن نتائجها ـ محليا وعربيا ـ بمدى النجاح الذى نستطيع احرازه فى ممارسة الحرية •

وبغير فرصة كاملة ، وحقيقية للحرية ، فان تجربتنا تقف فى منتصف الطريق ، ولا تقوى على بلوغ غايته •

بغير هذه الفرصة الكاملة والحقيقية للحرية ، يتحول الميثاق فى أيدينا من خطة عمل ثورى واضحة وحاسمة ، ليصبح ـ على أحسن الفروض ـ نصا أدبيا وفنيا رائعا ، يستحق غلافا فاخرا مذهبا ، ومكانا عاليا على رف مكتبة •

وتتحول أفكار الميثاق ومبادئه الى أحلام حلوة يرسمها عقلنا الباطن ونحن نيام بالليل، ويقصر وعينا عن ادراكها فى يقظة النهار •

وتتحول عبارات الميثاق وشعاراته الى ألحان خافتة ، نتسلى بها صفيرا وسط الفراغ والسكون ، وتعجز عن أن تكون نشيدا نردده على وقع خطوات الحياة ذاتها •

لكن الفرصة الكاملة ، والحقيقية للحرية ، هى وحدها التى تجعل الميثاق خطة ، ويقظة « ونشيدا للحياة •

ان المرحلة القادمة من النضال هذه المرحلة التى يتطلع اليها الميثاق ، هى تطور هام وحيوى لرحلة سبقت •

لقد كان يمكن أن نصف المرحلة الثورية التى بدأت يوم ٢٣ يوليوسنة ١٩٥٢ بأنها كانت مرحلة الثورة للشعب •

وبعد الميثاق فان وصفا جديدا يمكن أن يلحق بالوصف السابق ويعبر عن المرحلة القادمة بأنها مرحلة : الثورة بالشعب •

وفى الواقع أن الوصف الثانى ، استطراد تاريخى للوصف الأول ، وتتمه أصيلة له ٠

اى أن الوصف الثانى لايسقط الوصف الأول ، وانما يستبقيه بجانبه ٠

ثورة للشعب ٠٠

وثورة بالشعب ٠

فى فتـــرة الثورة للشعب ، كان الجزء الأكبر من المسئولية واقعـا على الطلائع الثورية التى تصدت للتغيير الحاسـم منذ ليلة ٢٣ يوليو وبعد هـذه الليلة ٠

وفى تلك الفترة كانت هذه الطلائع تتعرض للخـــطوط العريضــــة فى النضال الوطنى ، وهى خطوط رسمتها آلام الشعب وآماله خلال معـــاناته الطويلة للقهر والاستغلال ٠

وكانت هذه الطلائع تستطيع أن تتصرف باسـم الشعب ومصالحه ، واثقة من تعبيرها عن ارادته ، حتى دون رجوع اليه ٠

ومن ناحية أخرى فلقد كان الرجـوع الى الشعب بالطريقة التقليدية شبه مستحيل لأن عوامل القهر والاستغلال كانت قادرة فى تلك الظروف عـــلى تحويل ارادته ٠

فى ذلك كله ، كانت الطلائع تتقدم وكان الشعب بمجموعه يتبعهـــا ٠

لقد كانت هذه الطلائع تسير فى الخطوط العريضة التى رسمتها من قبل آلام الشعب وآماله ، وكان تعبيرها عن ضميره لا يحتاج الى سؤال ٠

ومن ناحية أخرى ، وهذا هو الأهم ، فلقد كانت هناك قيـــود على ارادة الشعب بقى منها بعد هذه الخطوات كلها قيد الاستغلال الطبقى ٠

ولقد كان الحل الحاسم للقضاء على هذا الاستغلال الطبقى ، هو فى رأيى ختام مرحلة الثورة للشعب ٠

كان ذلك فى يوليـــو سنة ١٩٦١ ، وبقرارات يوليـو المجيدة التى أنهت سيطرة الطبقة الواحدة التى كانت تحتكر ثروة الوطن ــ أو معظمها ــ وتحكم عن ذلك الطريق أو على الأقل تتحكم ٠

ان الطليعة الثورية ، أقامت هذه المرة أيضا على اصـــدار قوانين يوليـــو المجيدة دون أن تستفتى الشعب مقدما وتسأله ، هـل هـو يريد احتكار الطبقة الواحدة لثروته ، وتحكمها بالتالى فى مقـدراته ، أم هو يريد مجتمعا يرتكز على الكفاية والعدل ؟

مرة أخرى لم تكن الطليعة فى حاجة الى استفتاء الشعب ٠
كانت ارادته واضحة ٠

***

فى فترة الثـورة للشعب حطمت الطليعة الثورية عرش الملك وأسقطت حكم أسرته ، دون أن تستفتى الشعب مقدما وتسأله هل يريد ؟

لم تكن فى حاجة الى أن تسأله ٠٠ كانت ارادته واضحة ٠

***

فى فترة الثورة للشعب كرست الطليعة الثورية جهدها لتجعل حياة قوات الاحتلال فى قاعدة قناة السويس مستحيلة دون ان تستفتى الشعب مقدما وتسأله هل هو مستعد لتحمل التكاليف ؟

ولم تكن فى حاجة الى أن تسأله ٠٠ كانت ارادته واضحة ٠

***

وفى فترة الثـورة للشعب قادت الطليعة الثورية عملية كشف مؤامرة الاستعمار لابقاء المنطقة العربية تحت نفوذه بفرض حلف بغداد عليهـا دون أن تستفتى الشعب مقدما وتسأله : هل هو على استعداد لمواجهة مطامع الدول الكبرى فى السيطرة على مقدراته .. بطريقة حاسمة مبرأة عن المساومات ؟

ولم تكن فى حاجة الى أن تسأله ٠٠ كانت ارادته واضحة ٠

***

وفى فترة الثورة للشعب ٠ أقدمت الطليعة الثورية على كسر احتكـار السلاح الذى كان يستهدف ابقاء الحق العـربى ذليلا تحت رحمـة البطش الاستعمارى ، دون أن تستفتى الشعب مقدما وتسـأله : هل هو على استعداد لمجابهة النتائج والاحتمالات ٠

ولم تكن فى حاجة الى أن تسأله ٠٠ كانت ارادته واضحة ٠

***

وفى فترة الثورة للشعب ، راحت الطليعة تستعد لبناء السد العالى تحقيقا ورمزا لاصرارها على مغالبة التخلف ، فلما أقيمت فى وجهها العراقيل دون بناء السد ، أعلنت تأميم قناة السويس ليكون دخلهـا فى خدمة البناء ، ولمـا ووجهت بانذار القتال المسلح رفضت الانذار ونادت بحمل السلاح وتقدمت الى خطوط النار ، كل ذلك دون أن تسـتفتى الشعب مقدما وتسأله : هل هو

على استعداد للحرب حتى النصر ومن أجل التقدم ، أم هو يرضى بالاستسلام ويقبل التخلف .. ؟

ولم تكن فى حاجة الى أن تسأله .. كانت ارادته واضحة .

ولقد كانت الحرية فى مرحلة الثورة للشعب مطلبا .

والحرية فى مرحلة الثورة بالشعب أساسا .

لأنه بدون ممارسة الحرية فعلا لا يستطيع الشعب أن يتحمل مسئوليته الكبرى .

ولست أقول مع القائلين أن الحرية تحتاج الى ضمانات ، على الأقل ليس ذلك رأيى .

ان الحرية حين تطلب ضمانات لنفسها فانها فى حقيقة الأمر تقبل بوضع قيود على حركتها .

فان الذى يعطى الضمان هو الذى يقرر حدوده .

ان ضمانات الحرية تطلب فى حالتين :

* اما فى مواجهة احتلال دخيل ، يريد منه الذين قبلوا بوجوده أن يرسم له الاطار الذى يتحركون فيه دون أن يصطدموا به .

* واما فى مواجهة طبقية تسلم لها الغالبية أو تستسلم امامها وترضى بامتيازاتها المحتكرة وتريد تعرف حدودها فيما وراء هذه الامتيازات .

وليس ذلك حالنا الآن .

ان الحاكم فى وطننا الآن لا يملك اعطاء ضمانات للحرية لأنه ليس سلطة دخيلة على الجماهير ، وليس طبقة تسود فوق جموعها .

ان هذه الخطوة الأخيرة والهامة ، من خطوات مرحلة الثورة للشعب ، استكملت هدفين فى وقت واحد .

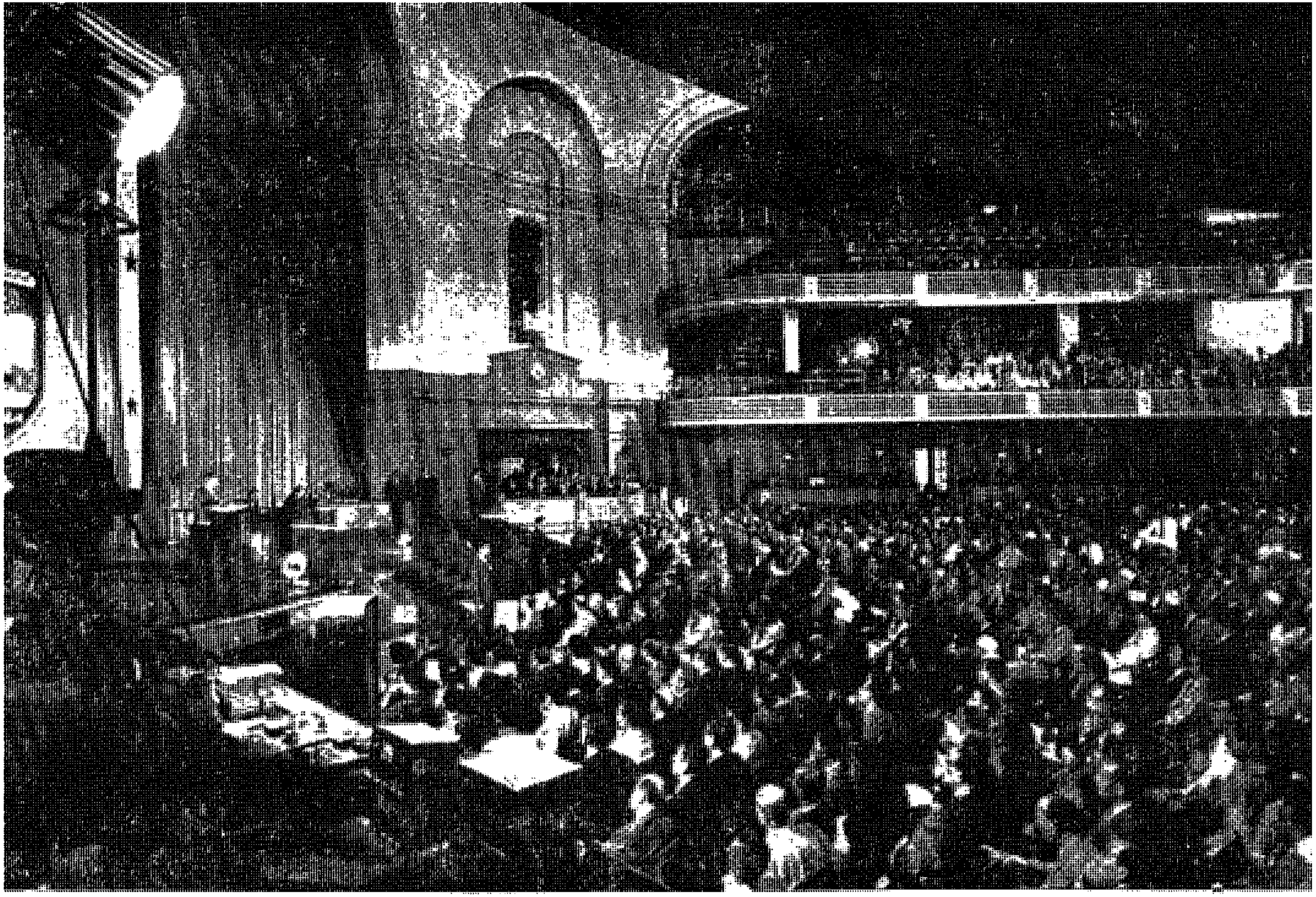
* أتمت الزحف على جميع الخطوط العريضة للنضال الوطنى .

* ازالت جميع العقبات التى كانت تعترض طريق الارادة الشعبية وفى مقدمتها أو فى نهايتها :

ـ استغلال الطبقة الواحدة .

ان هذه الخطوة فى يوليو سنة ١٩٦١ فتحت الباب للمرحلة الجديدة من الثورة :

ثورة بالشعب



فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الرئيس عبد الناصر يعلن ميثاق الامـــة الى ممثلى الشعب

ان النضال الوطنى فى هذه المرحلة يواجه آفاقا جديدة ٠

آفاقا لم يكن قد استكشفها بعد ٠

كانت الخطوات السابقة من النضال تشغله عن التفكير فى تفاصيلها ٠

لقد كانت آفاقا راودت أحلامه ، لكنها كانت صورة تلوح عن بعد ولا تظهر فيها الخطوط محددة قاطعة ٠

ومن ناحية أخرى فان النضال الوطنى فى هذه المرحلة لايستطيع ان يلقى العبء كله على الطليعة الثورية ٠

ان العمل الثورى فى هذه المرحلة يعتمد على كل فرد من أفراد الشعب ٠

ان العمل الثورى فى هذه المرحلة ميدان الحقول ، والمصانع والجمعيات التعاونية ، والجامعات ، والمستشفيات ومراكز البحث العلمى ٠

ان العمل الثورى فى هذه المرة يتحرك من فكر كل انسان فرد ،ومن قلبه ، ومن ضميره ٠

وليس معنى ذلك أن هذه المرحلة لا تحتاج الى قيادة ثورية ، وانما معناه أن مسئولية القاعدة الجماهيرية ، ليست هى مجرد الاندفاع ، وراء القيادة وتأييدها ، وانما لابد لهذا الاندفاع من أن يكون عملا خلاقا ومبدعا ٠

هكذا ٠

فى مرحلة الثورة للشعب ، كان الجزء الأكبر من المسئولية على الطليعة الثورية وكان الشعب وراءها ٠

وفى مرحلة الثورة بالشعب ، فان الجزء الأكبر من المسئولية على القاعدة الجماهيرية ولا تستطيع القيادة أن تقدم الا اذا كانت القاعدة قد تولت فتح الطريق بتحقيق أهداف العمل الوطنى فى كل مركز من مراكزه ٠

كانت اذن ثورة للشعب وهى الآن تستكمل تطورها التاريخى لتضيف الى هذه البداية ضمانا أكيدا للاستمرار بأن تصبح فى نفس الوقت ثورة بالشعب ٠

وهذا هو معنى الميثاق

بل هذا هو معنى صدوره فى هذا الوقت بالذات ، انه يربط البداية والاستمرار معا ويجعلهما : ثورة للشعب وبالشعب ٠

هل معنى ذلك أننى أقول انالحرية لم تعد فى حاجة الى شىء يكفل لها تأثيرها العظيم فى حركة المجتمع ؟

أقول :

ـ لا ٠٠٠ ان الحرية فى حاجة الى شىء ٠٠ لكن هذا الشىء ليس هو « الضمان » ٠

ان الحرية فى حاجة الى « الممارسة » وليست فى حاجة الى « ضمان » فممارسة الحرية وحدها هى مانحتاجه الآن ٠

الممارسة هى الحل الوحيد لمشكلة الحرية ، وفى تصورى أن العقبات التى تعترض طريقها ليست أخطارا تريد اغتيالها بقدر ما هى رواسب ما زالت باقية على طريق الممارسة ٠

وللممارسة تستطيع وتقدر أن تنفض هذه الرواسب ٠٠٠ وتغسل آثارها

من هنا فان التحدى الكبير الذى يواجهنا فى المرحلة القادمة من النضال وهو الحرية ، أو ممارسة الحرية ، يتركز الآن فى سؤال واحد :

— كيف يمكن أن ننفض « الرواسب » التى ما زالت باقية على طريق ممارسة الحرية ؟

وأظن أن غيرى كثيرين ، كانوا مثلى خلال الشهور الأخيرة الماضية يتابعون تجربة ممارسة الحرية خلال اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى ، ثم بعدها طوال فترة انعقاد هذا المؤتمر وهى ما تزال مستمرة حتى الآن ٠

لقد كنت وراء التجربة يوما بيوم ٠٠ عينى عليها ، وأذنى معها ، وعقلى يتابعها بقدر ما يعى ويستوعب ٠

ولقد خرجت بنتائج عديدة ، لا أدرى أيها فيه الصواب ، وأيها فيه الخطأ ، لكنى أعرضها كما توصلت اليها تاركا الحكم لغيرى ٠

اولا

لقد خرجت : بأن سلطة الحكم ليس فى يدها وحدها أن تزيل الرواسب من طريق ممارسة الحرية ، بل ان سلطة الشعب هى التى تملك فى يدها هذه القدرة ٠

ولقد يكون هنا أو هناك مسئول يضيق بالنقد ذرعا ، خصوصا بعد مرحلة كانت فيها الثورة للشعب ، ومن ثم قد يتصور أى مسئول هنا أو هناك — من تأثير مرحلة سابقة — أنه أدرى من الشعب بارادته ٠

لكن الشعب يستطيع تقويم هذا التصور الخاطىء ورده الى مكانه الصحيح ، خصوصا حينما تستقر الحقيقة الجديدة فى أمر السلطة فى ذهن كل منا ٠

هذه الحقيقة هى أن التناقض بين الشعب والسلطة قد زال بالطبيعة ٠

ان السلطة لم تعد سلطة احتلال ، ولم تعد سلطة طبقة ، وبالتالى فانها لم تعد تملك من سند الا تمثيلها للشعب ذاته ٠

وما من جدال فى أن هذه الحقيقة الجديدة لا يمكن أن تستقر وترسخ بين يوم وليلة ، لكن ذلك سوف يحدث دون جدال كنتيجة محققة لزوال التناقض .

وزوال التناقض بين الشعب وبين السلطة لا ينهى الأخطاء بطبيعة الحال ، لكن تقويم الخطأ لا يحتاج الى صراع شعبى ضد السلطة ، تريد هى اخضاعه، ويسعى هو لاسقاطها ، كما هو الحال عندما كانت السلطة ممثلة لقوة احتلال أو لسيطرة طبقة .

ان التجربة سوف تؤكد لكل منهما زوال هذا التناقض .

وبالتجربة سوف يتأكد الشعب ان سلطة الدولة مستمدة منه ، كما ان السلطة بدورها سوف تتأكد أنه ليست لها من غير القوة التى يعطيها الشعب .

ثانيا

لقد خرجت بأن كثيرين بيننا فى حاجة الى أن يقرأوا الميثاق ، ويعيدوا قراءته .

ان فيه طريقا جديدا الى التقدم ، الطريق الثالث ـ كما قلت .

طريق يعتمد فى التقدم المادى على مدخراتنا الوطنية ، ولا يسرق مدخرات غيرنا من الشعوب .. كما حدث فى التجربة الراسمالية .

طريق يعتمد على الانسان الفرد الحى ،ولايضحى به ـ حتى فترة مؤقتة ـ ويحوله الى ترس فى عجلة الانتاج ... كما حدث فى التجربة الشيوعية .

وهو يعتبر أن العلم الحديث قادر على دفع التقدم بما يغنى عن الاستغلال ، استغلال المستعمرات ، أو استغلال الأجيال الحية والتضحية بها

ثم هو طريق يعتمد على الوحدة الوطنية داخل الوطن وفى مواجهة اخطار القوى الخارجية ، لكنها وحدة لا تجمد الصراع الطبقى ، وانما تحوله من صدام دموى الى تفاعل سلمى ديمقراطى ، وهى من أجل ذلك تستبعد الطبقة المستغلة التى تتصادم مصالحها تصادما كاملا مع حقوق الجماهير .

وليست الوحدة الوطنية سيطرة طبقة

ثالثا

لقد خرجت بأنه لابد لنا فى هذه المرحلة من اعادة التفكير فى أحكام كثيرة أصدرناها قبل مرحلة الوضوح الفكرى التى يبلورها الميثاق .

كان بيننا من يسمى أى داعية الى تغيير الأوضاع الاجتماعية شيوعيا .

وكان بيننا من يسمى أى مالك لقطعة أرض أو لمصنع أو لعقار .. اقطاعيا

ان هذه الأحكام المطلقة ، من مرحلة سبقت حدود الميثاق ، مسالة تحتاج الى مراجعة !

ان بعض هـــذه الأحكام يطارد أفكارا لها قيمتها ، وبعضها الآخر يطارد أفرادا لهم دورهم .

ونحن فى حاجة الى أفكار كثيرة .. والى ناس بغير عدد !..

ان قوى الشعب العاملة كلها تلتف من حول الفلاحين والعمال ، ولكــن الفلاحين والعمال ليسوا فوق غيرهم من قوى الشعب العاملة .

انهم ركيزة الوحدة الوطنية الجديدة ، ومن حولهم بقية القوى .

ليست ديكتاتورية البروليتاريا تجربتنا وانما ديمقراطية كل الشعب هى التجربة ولا بد أن تكون الصورة واضحة .

وأى ضباب عليها يحجب الرؤيا .. والحرية لا تحب الظلام .. ولا الظلال !

رابعــا

لقد خرجت بأن الشعارات المحفوظة ، حتى تلك التى تجىء كلمة « الحرية» ضمن ألفاظها ، تستطيع فى بعض الأحيان أن تكون عائقا يعرقل ممارســة الحرية .

إن مفهوم الحرية ليس مفهوما جامدا . ولا يمكن حبسه فى شعــارات محفوظة من تجارب سابقة .

لقد أحدث الانسان ثورة اقتصادية حين اختــرع النقود ، وسكها وسيلة للتبادل المادى . لكن التبادل الفــكرى أمره يختلف ، وهو لا يستطيع أن ينتج أثره الخلاق بواسطة شعارات مسكوكة فى قوالب كالنقود ، حتى ولو كانت كلمة الحرية منقوشة على جانبيها .

خامسا

لقد خرجت بأنه يتعين على كل من يريد أن يستمتع بحق ابداء رأيه ، أن يكلف نفسه عناء التفكير فيما يريد أن يقول .

كذلك فان الكلمة يجب أن تكون تعبيرا عن رأى قائلها ، وليست انسياقا مع تيار غالب ، أو استجداء لرد فعل مستجيب .



ممثلو الشعب فى المؤتمر الوطنى يتابعون باهتمام مناقشة ميثاقهم

ان الكلمة ليست غاية فى حد ذاتها وانما الكلمة تعبير عن فكرة..رداء لها أو وعاء ، ان الكذب ليس هو العدو الطبيعى الوحيد للحقيقة ، وانما السطحية أعدى للحقيقة منه !

سادسا

لقد خرجت بأنه ليس من حق أحد أن يقف من غيره موقف المعلم ، وانما كل انسان فينا لديه تجربة تستحق أن تروى ، ولا بد لنا أن نفسح له المجال ليرويها بطريقته وبأسلوبه وبحفظ حقه المقدس فى الخطأ .

لقد اكتشفت فى المؤتمر أن هناك نوعين من اليسار التقدمى .

يسار فكرى ، ويسار طبيعى

اليسار الفكرى يمثل الرغبة فى التغيير ناتجة من التفكير وحده .

واليسار الطبيعى يمثل الرغبة فى التغيير ناتجة من مواجهة الواقع ومشكلاته

ولقد تمنيت لو أن اليسار الفكرى ، أصغى الى مايقوله اليسار الطبيعى ، انه مشحون بطاقة ثورية خام . لم تدخلها الصناعة بعد ، وهى مورد غنى لثروات هائلة من التجارب الانسانية .

سابعا

لقد خرجت بأن الأوهام لها سوق كبيرة مليئة بطلاب البيع والشراء .

ان عددا كبيرا من الذين تحدثوا — مثلا — عن الصحافة كانوا فى حديثهم تحت وهم أن الصحافة تحكمها الرقابة .

وقلائل كانوا على استعداد لأن يصدقوا ان الصحف ، ومنذ زمان طويل لم يعد عليها رقيب .

بل ان هناك من يظنون أن ظهور رأى فى صحيفة ، أو خبر ، هو وحى من الدولة ، أو تعبير عن اتجاه .

وليس ذلك صحيحا .

ولو كان صحيحا لخلت الصحف على الأقل من كلام كثير مشوش يملأ صفحاتها ، وأخبار من غير أساس تطل من بين الأعمدة .

وليس ذلك أمر الصحف فحسب ، بل هو أمر الاذاعة أيضا .

وليته كانت لدينا الأجهزة القادرة على التوجيه الدقيق .

ولقد كنت أقول فى بعض الأحيان ، ان تأثيرنا على العالم العربى ، لا يحدث بسبب ماتقوله صحفنا واذاعاتنا ، وانما يحدث بالرغم مما تقوله هذه الصحف والاذاعات .

من المبادىء الأساسية وحدها كل صدى يمس العالم العربى ويحركه معنا ، ومن عملنا تحقيقا لهذه المبادىء ، بصرف النظر عن أسلوبنا فى الدعوة اليها بعض الأحيان .

هذه كلها ، وغيرها رواسب .. ومنها العوائق .. وليست من أى قيود .

ونعود الى السؤال الذى جرنا الى هذا الاستطراد كله :

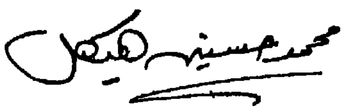
ـ كيف يمكن أن ننفض « الرواسب » التى مازالت باقية على طريق ممارسة الحرية ؟

وأقول ببساطة :

ـ بممارسة الحرية ..!

ان حركة الممارسة ذاتها تقدر أن تنفض كل هذه الرواسب .

وتضيف الى شعار المرحلة السابقة من العمل الثورى ـ وهو : « ثورة للشعب » ـ تتمته الطبيعية وهى : « ثورة بالشعب »



من وحي الميثاق
الأمم والجماعات بين الأمل والعمل

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

ان الميثـــاق الذى قدمه الرئيس الموفق جمال عبد النـــاصر ، الى شعب الجمهورية العربية المتحدة ، هو فى ذاته حدث عظيم فى تاريخ الأفكاروالنظم الحكيمة والسياسات الاصلاحية الهادفة ، ذلك بانه درس لما فات تستخلص منه العبرة ، وتخطيط لما هو آت ترجى معه الثمرة ، ووزن بين هـــذا وذاك لامكانياتنا التى نستطيع بها أن نخوض غمرات الحياة فى هذا العالم الذى لم يعد فيه مكان للمتخلفين ، أو الضعفاء ، أو المترددين .

انه يرسم لنا الطريق الى مستقبلنا على هدى التاريخ البعيد منا والقريب، الذى مرت بنا حقبه ، وتقلبنا فى أطواره المتتابعة بين مده وجزره ، وحلوه ومره ، وفى هدى واقعنا الذى نلمسه ونشهده ونحيا فيه ، ويريد منـــا أن نسير الى هذا المستقبل أقـــوياء مزودين بالايمان بربنا ، والثقة بأنفســـنا ، والاعتماد على سعينا وأعمالنا وثمرات جهودنا ، لاعلى مجرد أقوالنا وآمالنــا .

ولعل من حسن التوافق ، ومما ينبغى أن يطمئن اليه قلب المؤمن أن هذا الأسلوب ، فى اصلاح الشعوب ، هو الأسلوب الذى يتمشى مع ما أرشدنا اليه القرآن الكريم فى بيان أهداف التشريع الاسلامى ، اذ يقول :

« يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

الآيتان ٢٦ ، ٢٧ من سورة النساء .

فالله تعالى يقرر فى هاتين الآيتين أنه يريد أن يهدى عباده سنن التاريخ ويقرب لهم أحوال من كانوا قبلهم فى المـــاضى القريب والبعيد ، ليعلموهـــا ويستفيدوا منها ، ويريد أن يخط لهم مستقبلا جديدا يتوب عليهم فيه ويطهرهم مما كان عليه سلفهم فى الجاهلية ، بينما يريد أهل الشهوات والأهـــواء أن يخرجوهم عن الصراط المستقيم ، وأن يميلوا بهم عن سنة الفطرة ميلا عظيما .

والواقع أنه ما من مجتمع انسانى الا وفيه صوتان متقابلان ينـــاديان : صوت الفضيلة والحق ، وصوت الرذيلة والباطل ، صوت الاصلاح والخير ،

وصوت الإفساد والشر ، صوت التماسك والاعتصام ، وصوت الانهيـــــار والانحلال ٠

فالله تعالى يعرف عباده بأنه هو الذى يريد أن يطهرهم ويتوب عليهم من أوضار الماضى البغيض ، وأنه فى سبيل ذلك يبين لهم سنن التاريخ ، ويشرع لهم فى حاضرهم ما به يصلحون ويسعدون ، أما الدعوة الاخرى فهى دعوة أعداء الله الذين يريدون التحلل والتفريط وأن يميل ميزان العدل والصلاح ميلا عظيما ، فتفسد الأمور وتضطرب المجتمعات ، وتسودها عوامل الشقـــاء ، وتتغلغل فيها مظاهر السوء ٠

* * *

واذن فهذا هو نهجنا ، وهذا مايرشدنا اليه كتاب ربنا ٠

وانى كلما ازددت فى هذا الميثاق نظرا ، ازددت له فهمـــــا وادراكا ، وازداد عندى وضوحا وجلاء ، ورأيت فيه ألوانا من الاتجاهات والمبادىء تتلاقى مع ديننا الحنيف ، وتتفق وما له من مناهج فى مختلف نواحى الحياة ٠

وفى هذه الصفحات أريد أن أضرب المثل ببعض فقرات جاءت فى ثنايا الباب الثامن منه ، ربما خيل الى القارىء أنها ليست بذات صلة من قريب أو من بعيد ، بالتوجيهات الاسلامية ، وانما هى تتحـــدث عن أسلوب توجيهى حديث فى سياسة الشعوب والمجتمعات ، مأخوذ من دراسة روح الاجتماع ٠

وانما أضرب المثل بهذه الفقرات ، لأبين أنها ــ وان لم يبد فى الظاهر أى ارتباط بينها وبين التوجيهات الدينية ــ هى من صميم الاسلام ، ومن أوضح مناهجه فى سياسة الشعوب والمجتمعات ٠

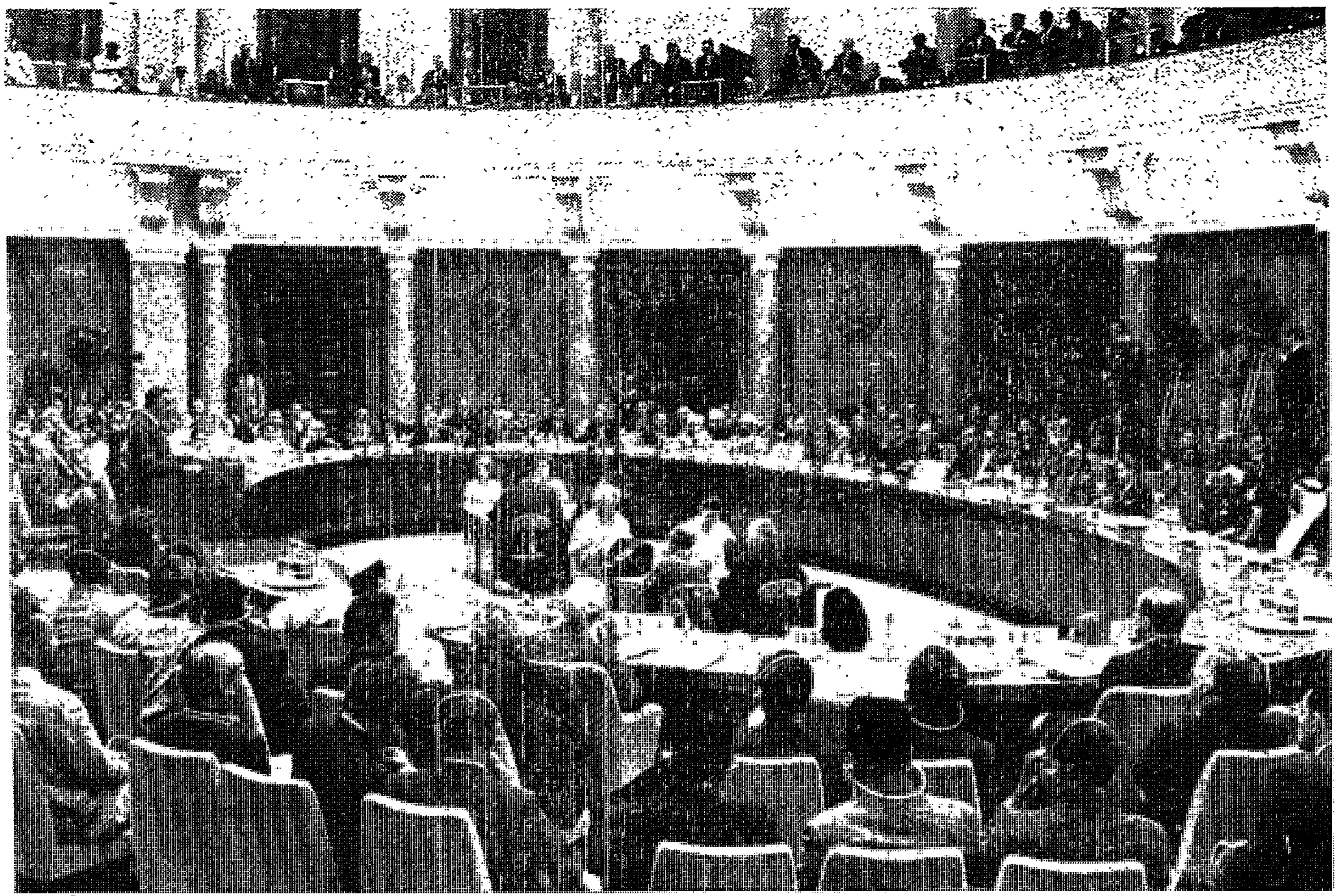
وهذه الفقرات أربع ، وهذا نصها كما جاء فى الميثاق :

* « ان تحريك طاقات الشعب الى العمل ، لا يجب أن يتم عن طريـــق اغراق الجماهير فى الأمل ٠ »

* ((ان التغيير الكبير بطبيعته يصاحبه تطلع بعيد المدى الى الأهداف المرجوة من النضال ، لكنه من ألزم الواجبات فى تلك الفترة أن تتضـــح امام الشعب بجلاء صعوبة الوصول الى الأهداف المرجوة » ٠

* ((ان مجرد التغيير الثورى فى أوضاع المجتمع القديم لايحقق أحلام المرجوة من النضال ، لكنه من ألزم الواجبات فى تلك الفترة أن تتضـــح امام الأحـــــلام))

* « وليس من حق فى هذه المرحلة أن تخدع الجمـاهير بالمنى ، وانما تقتضى الأمانة الثورية أن تكون لدى الجماهير صورة كاملة لمسئولياتها بلوغا لآمالهـــــا)) ٠



الرئيس يلقى خطابه فى مؤتمر بلجراد

هذه هي الفقرات الأربع التي أقصدها ، والتي أحاول في هذه الصفحات أن أدرس **موضوعها من توجيهات الاسلام** :

لقد أصابت هذه الفقرات كبد الحقيقة ، فان الشعوب اذا استغرقت في الآمال ، واستنامت الى المنى والأحلام ، كان ذلك بمثابة تخدير لها ، وتعويق عن العمل ، وتثبيط عن السعي والجد في الحياة ومكابدة ألوان الصعاب والتضحيات .

انها تتصور آمالها سهلة المنال ، قريبة التحقق ، لا تحتاج منها الى نضال أو كفاح ، فما الذي يبعثها اذن الى الكد والعمل والكفاح المرير ؟

وينتهي الأمر بعد مرور فترة طالت أو قصرت بأن يفيق النائمون ، ويتنبه الغافلون ، فيكتشفوا أنهم كانوا في سكرتهم يعمهون ، وأن الذي رأوه قريبا ، وعقدوا عليه آمالهم ، لم يتحقق لهم ، وهنا تكون النكسة ، ويكون اليأس وانهيار الروح المعنوي ، ثم الفشل الذريع .

والاسلام يجمع للناس بين الأمل والعمل ، ويرشدهم الى انهما توأمان شقيقان يجب الا ينفرد أحدهما عن الآخر ، لأنه لا صلاح للناس الا بهما ، ولا استقامة للحياة الا اذا اجتمعا وتعاونا .

فاذا وجد الأمل بدون العمل ، كان العجز والاستهانة والتراخي ، واذا وجد العمل بدون الأمل ، كان اليأس والاحساس بالتسخير وثقل الحياة ، ثم كانت تبعا لذلك قلة الانتاج ، وضعف الثمرات .

ان الأمل سلاح ذو حدين : اذا استعملته لتقوى به على عملك ، وتسير به في طريقك ، كان لك ، واذا كان قصاراك منه أن تتلهى به ، وتستغرق في خياله ، كان عليك ..

ان الاسترسال مع الآمال مضيعة ، وانما مثلها في نظر العقلاء ، كمثل الدواء يؤخذ بمقدار ، فان أفرطت فيه انقلب الى داء عضال .

ان الله تعالى يقول عن الكافرين : **« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون »** .

الآية ٣ من سورة الحجر .

فيصورهم في صورة اللاهين بالآمال عن الأعمال ، والمستغرقين بالخيال عن الحقائق ، وأن قصاراهم وأعظم ما يشغلهم ، انما هو أن يأكلوا ويتمتعوا ، وان ذلك سوف يفضي بهم الى أن يصطدموا اصطداما هائلا بالواقع الذي ناموا عنه ، وبالمصير الذي لم يحسبوا له حسابا ، ويومئذ يعلمون أنهم كانوا عن هذا غافلين ، ولا يجديهم هذا العلم شيئا ، فانه علم بعدي دبري قد فات أوانه ، وأفلتت فرصته .

والدعاء في الاسلام هو من باب الأمل والرجاء في الله ، ولكنه في الواقع توجيه ودعوة الى العمل .

ان الذى يدعو ربه بلسانه ملحا فى الدعاء ، دون أن يعمل مايستحق به اجابة الدعاء ، لا يستجاب له .

فالله تعالى يقول : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** » .

الآية ١٨٦ من سورة البقرة .

ونفهم من ذلك أنه لم يجعل قربه من الداعى سببا فى ذاته الى الاجابة وتحقق الآمال ، ولكن جعل الى جانب ذلك الاستجابة لله بالعمل والأخذ بالأسباب ، فجمع بذلك بين الأمل والعمل .

والنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « ان الرجل ليمد يديه الى السماء : يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك » .

واذن فالدعاء وان كان أملا ورجاء فى الله الذى هو أكرم الأكرمين ، لا يمكن أن يؤتى ثمراته الا بالعمل الصالح ، والاستجابة الى الله فيما يأمر به وينهى عنه .

* * *

والتوكل على الله : انه أيضا أمل فى الله ، ولكنه يجب أن يكون مقرونا بالعمل ، أو مسبوقا به .

واذا كان هناك مبدأ يقول : « **أعن نفسك يعنك الله** » فان القرآن يقول:

« **فاذا عزمت فتوكل على الله** » .

فيجعل العزم أولا ، والتوكل ثانيا ، ولا يعكس .

أو يجعل العزم شرطا وسابقا ، والتوكل مشروطا ولاحقا فلا توكل الا بالعزيمة ، والعزيمة أولى الخطوات الايجابية للعمل .

والنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول لصاحب الناقة : « **اعقلها وتوكل** » فيأمره أولا بأخذ الأسباب ، وثانيا بالتوكل .

واذن فالتوكل أمل ، كما أن الدعاء أمل ، ولكنه لا يكفى وحده ، بل يجب أن تقدم بين يديه بالعمل الذى يؤخذ من « **اعقلها** » ومن « **فاذا عزمت**

ثم ان « **فاذا عزمت** » انما هى مرحلة يسبقها كثير من مراحل الاعداد السليم ، وهى كلها من قبيل الأعمال التمهيدية التى تؤدى الى الوصول الى أحسن النتائج .

بيان ذلك : ان الله تعالى يقول لنبيه الكريم : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم . واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين** » .

الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .



رسول السلام يخطب في هيئة الامم

فرحمة الرسول بهم من شأنها أن تربط بينه وبينهـــم برباط الحب **والاخلاص والتناصح الصادق ــ فهذه مرحلة .**

وتنزهه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الفظاظة والغلظة ، مرحلة أخرى ، لأنه لايكفى أن تكون رحيم القلب ، ولكن يجب أن تظهر آثار تلك الرحمة فى لينك وحسن معاملتك وبعدك عن كل ما هو قسوة وغلظة .

وهكذا أثبت الله ــ تعالى ــ لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ خلق الرحمة، ونفى عنه الفظاظة والغلظة ، وأعلمنا أنه استحق بهذا وذاك ، ان يكون قائدا محنكا ، ورئيسا محبوبا يتجمع حوله الناس .

ثم ذكر النتيجة التى تراد من هذا الخلق السلوكى المثالى العالى ، فقال : « **فاعف عنهم** » ، أى تجاوز عما عسى أن يفرط منهم « **واستغفر لهم** » اى لاتكتف بعفوك انت ، ولكن اطلب من الله أن يعفو عنهم ويغفر لهم « **وشاورهـــم فى الأمر** » ليعلموا أن روحك انما هى روح الباحث عن المصلحة المستنير فى سبيل الوصول اليها بآراء أصحابه .

هذا هو البرنامج العملى الخلقى ، جاء تمهيدا وبيانا لحال الرسول ، ثم قيل له بعده « **فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** »

وهكذا جاء « **التوكل** » الذى هو مظهر الأمل والرجاء بعد تمهيدات متتابعة من بيان الأخلاق والسلوك والعمل الايجابى والعزم المصمم .

وقد علم الله رسوله الكريم ألا يغرق زوجاته فى الأمل ، اذ يقـــول : « **يأيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدارالآخرة، فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** »

الآيتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة الأحزاب .

وما أعظم هذا الدرس ، وما أجل المعلم فيه والمعلم. انه بيان واضـــح لأن حياة الرسول ليست حياة نعيم وزينة وترف ، ولا يمكن أن يلتمس ذلك فى كنفه ، ولا أن يكون بيت من بيوته مصدرا له ، ويجدر بمن كانت مـــن الزوجات مريدة لهذا اللون من الزينة ومتاع الحياة الدنيا ، أن تتقـــــدم الى الرسول برغبتها هذه لكى ينيلها حق المتعة الذى شرعه الله للزوجات حين يطلقن، ثم يسرحها سراحا جميلا ، فلعلها تجد كنفا آخر تتمتع فيه بما تريد ، وتسعد **فى ظله السعادة التى تنشدها ، أما من تريد الله ورســـوله والدار الآخرة ،** فلا بد أن تعلم أنها انما تختار الصبر على لأواء الحياة فى ظل هذا الرســـول الداعى الى ربه ، المجاهد فى سبيل دعوته ، الذى لم يتخذها ، ولن يتخـــذها أبدا ، **وسيلة الى غرض من أغراض الدنيا ومتاعها الفانى** ، وحينئذ لا تفكر فى جزاء دنيوى ولا متاع عاجل ، فانما جزاؤها عند الله ، ان صدقت فى نيتها ، وأحسنت فى عملها « **فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » . .

فهنا نجد تخييرا بين الترف ، والشظف ، يعلنه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى نسائه جميعا على سواء ، فلا مخادعة ، ولا اغراق فى الأمل ، ولا حرص حتى على أن يظل الأمر مغطى خفيا لتذهب فيه نفوسهن كل مذهب، كلا .. ولذلك قلن جميعا : نختار الله ورسوله والدار الآخرة ، أى نختار الصبر والجهاد والتخلى عن متاع الدنيا وزينتها ، وهما أعظم ما تهوى اليه أفئدة النساء .

وفى السيرة النبوية موقف من أعظم المواقف فى هذا الشأن الذى يعتبر من الحنكة السياسية فى الطراز الأول ، والذى ينبغى أن تساس به الشعوب والجماعات .

ذلك هو موقف العباس بن عبادة الخزرجى :

فانه لما هم قومه الخزرج فى بيعة « **العقبة** » الكبرى ، بمبايعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قام العباس بن عبادة قائلا :

« يامعشر الخزرج : اتعلمون علام تبايعون هذا الرجل ؟ انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة ، واشرافكم قتلا ، اسلمتموه فمن الآن فدعوه ، فهو والله ــ ان فعلتم ــ خزى الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال ، وقتل الأشراف ، فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة ..

فأجاب القوم : انا نأخذه على ما يصيب أموالنا ، ويفنى أشرافنا ، فمالنا يا رسول الله ان نحن وفينا بذلك ؟ قال : الجنة .

ومدوا أيديهم الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبسط يده فبايعوه

وهكذا لم يرد العباس ــ رضى الله عنه ــ أن يكون قومه فى غفلة عما هم عليه مقبلون من الجهاد والعمل والتضحية فى سبيل المبدأ الذى آمنوا به ، ولم يتركهم لما عسى أن يكون قد راودهم فى شأن هذه البيعة من أمل فى سلطان أو علو أو غنى ، ولكنه أعلنهم بالصعاب التى سيقدمون عليها ، وبالتضحية التى قد لا تقف عند حد الأموال يصابون فيها ، بل تتعدى ذلك الى نفوس أشرافهم وزعمائهم تحصد حصدا ، فاذا كانوا على ذلك راضين بالعهد والميثاق والبيعة فليقدموا أنفسهم والا فلينسحبوا من الآن .

وقد سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا الحديث بين القوم فأقره ، ولم يزجر العباس عنه ، لأنه وافق خلقه فى الوضوح ، وما علمه ربه من سياسة الناس على أساس من الصراحة والبيان .

وتلك هى السياسة التى جعلت من بيعة العقبة الكبرى اول نصر ايجابى ظفر به المسلمون فى المعنى ، وجعلت من هذه البيعة مفتاحا للدولة الاسلامية التى قامت بعد ذلك بقليل فى المدينة ، بل جعلت لهذه البيعة حقا فى عنق كل مسلم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

واذا كان لنا بعد هذا أن نستعرض بعض أقوال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلماء أمته فى هذا الشأن ، فاننا :

* نرى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى)) .

فقد وصف العاملين المحاسبين لأنفسهم الذين لا يركنون الى بريق الآمال ، ولا تخدعهم زخارف المنى ، بأنهم هم أهل الكياسة والعقل والحذق ، أما الذين يتبعون أهواء نفوسهم ويكتفون بما يراودهم من الآمال والأحلام فأولئك هم العجزة الحمقى الذين لا يفلحون .

واذن فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يرضى أن ينتشر فى المجتمع هذا الخلق الوبيل ، وهو خلق التعلق بأهداب الأمل على غير أساس من الجد والعمل .

*** وفى القرآن الكريم « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » .**

« ما أطال عبد الأمل ، الا أساء العمل » .

قال القرطبى : صدق الحسن ، فالأمل يكسل عن العمل ، ويورث التراخى والتوانى ، ويعقب التشاغل والتقاعس ، ويخلد الى الأرض ، ويميل الى الهوى وهو أمر قد شوهد بالعيان ، فلا يحتاج الى بيان ، ولا يطلب صاحبه ببرهان ، كما أن قصر الأمل ـ أى القصد فيه ـ يبعث على العمل ، ويحيل الى المبادرة ، ويحث على المسابقة .

*** وفى القرآن الكريم « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » .**

فالرزق لا يأتى بمجرد الأمل والتوكل ، ولكن لابد من العمل والتحرك .

ويقول عمر بن الخطاب « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى ، فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وسئل بعض العلماء عن قول عمر « **لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » .**

أليس هذا القول يدل على أن الرزق غير محتاج الى السعى ، بل الى صدق التوكل ؟ ، فأجاب : انظر الى قوله عن الطير « تغدو » و « تروح » فانه لم يقل: لرزقكم كما يرزق الطير تنام فى أعشاشها ، وتنكمش عن السعى والطلب ، ولكن قال تغدو خماصا ، وتروح بطانا ، فرزقها انما جاء من الغدو والرواح باذن الله .

وتلك هى سنة الله فى خلقه .

محمد محمد المدنى

لقد أنصف الميثاق المرأة

الدكتورة سهير القلماوى

ليست هناك فقرة من الميثاق أثارت النقاش حولها والحديث عنها مثل هذه الفقرة التى سوت بين المرأة والرجل حيث يقول :

تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة » ٠

والمتأمل لوضع هذه الفقرة فى الميثاق لا يخالجه الشك فى أن هذه المساواة فى حدود مارسمه الشرع ، بل مارسمته الحياة نفسها للمرأة من دور هام ، لابد لها من أن تؤديه أولا وعلى خير وجه قبل أن تفكر فى أداء أى دور آخر فى الحياة ٠ ان هذه الفقرة تسبقها مباشرة الفقرة الخاصة « **بأن الطفولة هى صانعة المستقبل وأن من واجب الأجيال العاملة أن توفر لها كل ما يمكن لها من تحمل مسئولية القيادة بنجاح » ٠**

وتأتى بعدها مباشرة الفقرة الخاصة « **بأن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ولابد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى ، محددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى » ٠**

واذن فالمساواة بالرجل لا يقصد بها الا أن تفك عن المرأة الأغلال التى كبلتها سنين طويلة فتصبح حرة حرية الرجل فى أن تتحرك لتشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة ٠ واذن فصنع الحياة هو الهدف من حياة الأفراد ، أو استمرار الحياة والرقى بها هو غاية الانسان ٠ وهذه العملية تحتاج الى المشاركة والمشاركة لابد من أن يكون فيها الشريكان كلاهما حرا فى حركته ليكون عمله ايجابيا عميق التأثير ٠



الله ينصرك ياجمال .. حررت المراة .. رفعت من شأنها
احدى السيدات فى المؤتمر الوطنى تهتف من اعماقها اعترافا بالجميل

ومع كل هذا الوضوح فى الفقرة فلقد كثر النقاش • وارتجت بعض الأوساط الجامدة حبيسة الهواء المخنوق بالمساواة ، وتساءلت ماذا يراد بهذا؟ أمساواة فى الميراث ؟ وصل السخف الى القول •• أمساواة فى الزواج والتعدد ؟ الى آخر ما هنالك من هراء •

ولكن المتأمل الواعى لهذا القول فى الميثاق أحس أن الميثـــاق كله روح واحد وأنه يهدف الى غاية واحدة ، انه يريد لأبناء الأمة جميعا أن يشاركوا ، كل فى حقله ، وفى ميدانه ، فى بناء الأمة بناء قويا متينا • ولكى يكون هذا البنيان قويا لابد من حرية الحركة •• **حرية الحركة للعامل والفلاح والمـــرأة الحرية لكل فئة حرمت من هذه الحرية لسبب أو لآخر • ان الميثاق كله يحارب الاستغلال ويحارب كل العوائق التى تعوق دون العدل فى الفرص المتاحـــة للجميع ليعمل كل بما هيأه الله له من مواهب وكفايات •**

وعلى ذلك فلقد أشفق النضال الوطنى منذ أول لحظاته أن يضيع جهـــد المرأة أو الفلاح أو العامل فى الحرب والمطالبة بالحقوق والسعى وراء الانصاف والعدل ، ولذلك •• فلقد منح المرأة كل الحقوق ، والفلاح كل الحقوق ، والعامل كل الحقوق •• ولكل منها بعد ذلك وقد تفتحت له الآفاق أن يعمل ويعمـــل ليصل الى حقوق أكثر ورخاء أعم وسعادة أكبر •

ان طريق الجهاد وطريق العمل وطريق الحياة لا تقف فيه عقبـــات فى مقدور المجتمع أن يزيلها بمجرد تغيير النظرة القديمة بنظرة جـــديدة متحررة وانما العقبات اذا وجدت فانها يجب ألا تكون من صنع البشر ، ويجب أن تتكاتف الجهود المخلصة لتذليلها • وعلى ذلك فطريق الثورة اذن لايمكن أن تكون فيـــه عقبات لامعنى لها ، عقبات أوجدتها عقليات رجعية قديمة وأصبح العقـــل الجديد لا يستسيغ وجودها •

ان المرأة ، الأم ، لا يمكن ان تنشىء أولادها على الحرية وهى مستعبدة ، ولايمكن ان تربى جيلا متفتحا للحياة وهى تحس ان الحياة مغلقة فى وجهها ، ولايمكن ان تنشىء جيلا يعرف الجهاد وقيمة النضال وهى مدللة منعمـة •

ان المرأة التى لم تمارس المسئولية ولم تعرف ماذا يجرى فى الحياة من حولها لا يمكن أن تخرج للمجتمع جيلا يحمل المسئوليات الثقال ، ويعرف عن الحياة مالابد أن يعرف ليشق طريقه الصعب الوعـــر الى مأيريد لنفســـه ولأمتـــه ••

واذا كانت المرأة العربية لم تعرف العنف فى مطالبتها بحقوقهـــا ، واذا كانت المرأة العربية قد ولجت باب العلم وعن طريقه أخذت تحرر أول ماتحررت فما ذاك الا لأن الاسلام ، برغم تعطيل المجتمع لكثير من نصوصه فى شأنها ، عصمها من الأهوال التى قاستها المرأة الغربية قبل أن تنال حقوقها •

ان المرأة الغربية التى كانت تعمل ولا حق لها فى مليم مما كسبت لأنه ليس لها ملكية خاصة ولا ذمة مالية منفصلة . والغربية التى كانت تسام العذاب ولا تستطيع أن تطلب لنفسها الطلاق من زوج شرس سكير يضربها ويسىء معاملتها ، بل قد يبيعها كما تباع الاماء ، ان هذه الغربية كان عندها الحق كل الحق أن تخوض ما يسمى فى تاريخ المرأة الغربية بحرب التحرير .. تحرير المرأة ..

ولكن المرأة العربية كفل لها الاسلام حق الملكية والميراث والذمة المالية المنفصلة . وأباح لها طلب الطلاق اذا أسيئت معاملتها وكفل لها الشرع الحنيف بعد ذلك لدى زوجها حسن المعاملة والنفقة الخ .. هذه المرأة لم تستثر الى حد أن تقوم بحرب ولكنها بمجرد أن تعلمت ثارت على حجاب سخيف لا يقيها ولا يعصمها من الزلل اذا لم يكن لها من خلقها مايعصم ، ثم ثارت لحقها فى أن تعمل ثم ثارت لحقها فى أن يكون لها فى مستقبل أمتها وحاضرها رأى كما كان لكافة الرجال ، ثم ثارت للمطالبة بان تشترك فى ادارة سياسة أمتها اسوة بالرجال .

ان المرأة اليوم لا يمكن أن تعيش حبيسة جدران بيت مهما يكن فيه من سبل الاتصال بالحياة الخارجية ، انها محتاجة الى ان تعمل على تغيير وجه الحياة فى بيئتها المحلية أولا ثم فى وطنها الصغير ، ثم فى وطنها الكبير كله . انه اذا فسدت أمور مدرسة ابنها لا يمكن أن تؤدى مهمة الأمومة فى البيت كما يجب وعلى ذلك لابد من أن تشارك فى أن تسير المدرسة على خير مايرام فى أداء مهمتها . انه اذا فسدت أمور مستشفى الحى حيث تعالج أسرتها كلها عانت هى فى البيت من ذلك أشد المعاناة ، واذن فلابد من أن تشارك فى كل ما من شأنه أن يجعل المستشفى الذى تعالج فيه زوجها وأبناءها يؤدى للجميع الخدمة الصحية على خير وجه وكذلك الأمر فى شأن المساكن وكيف تكون ، وفى شأن التموين وأسعار الحاجيات الاستهلاكية كلها ، بل فى شأن المواصلات والشوارع ، وكل ماحولها مما تقوم به الدولة باسم الشعب . ان المرأة هى عماد الاسرة والاسرة هى أولى خلايا الشعب . لقد كانت الحياة فيما مضى تتيح للمرأة أن تبقى فى بيتها لأن كل حاجيات البيت وخدماته كانت تؤدى منه وفيه: ملابسه تصنع داخله ، مواده التموينية تأتى فى صورها الأولية من الخارج ثم يصنع منها الخبز وكل شىء داخل البيت .. العلاج فى البيت بل التعليم أيضا فى البيت .. أما اليوم فكل هذا يؤدى على نطاق واسع وللجميع خارج البيت . فكيف اذن يمكن للمرأة أن تحجب عن الحياة وأن تغل حركتها فى عصرنا الحديث ثم يطلب لها أن تكون أما مؤدية لوظيفة الأم الحديثة .

أما مسئولية الشعب نساء ورجالا نحو الأجيال القادمة ، مسئوليته فى أن يسلم الحياة على صورة أفضل مما استلمها لجيل جديد تكون فرصة فى

الحياة الأفضل فرصا أكبر وأوفى ، فانه ما من أحد ينكر أن العبء ثقيل بحيث اننا نحتاج فعلا الى كل يد لأن تعمل فوق طاقتها ، لنعبر على سنين التخلف ونلحق الركب ركب الحضارة بأسرع ما يمكن •

ان المرأة تعمل بالفعل وستعمل ويزداد عدد العاملات حتى يصل الى نصف العاملين ، ذلك ان سنة الحياة تفرض نفسها على كل شيء والأم التى تفرغ من مهام امومتها لايمكن ان تقف مشلولة اليدين لأن الحياة الدافقة الجديدة لايمكن أن تستسيغ شللا فى أى عضو من اعضاء جسم الحياة •

لذلك عندما نص الميثاق على ضرورة المساواة وعلى ضرورة ان تسقط الأغلال لم يقل لأن ذلك هو العدل وانما آكد ان ذلك هو الطريق الوحيد لأن تشارك المرأة بعمق وبايجابية فى صنع الحياة •

ان مساواة المرأة بالرجل فى الأجر والعمل من صميم تعاليم الاسلام **« فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض • »**

ولقد أكد الميثاق هذا المعنى بأن آكد المساواة وهدفها الى صنع الحياة بعمق وبايجابية •

وبعد فهل معنى هذا أن هذه المساواة ستتم بين يوم وليلة • حقا أن الثورة قد وعدت وأوفت بالوعد فجعلت منا النائبة والوزيرة والمشاركة فى كل المجالات وفى كل الأعمال تقريبا ، ولكن هل هذا هو كل شيء ؟ كلا انه العنوان انه البداية ، أما الكتاب كله ، أما النسيج كله فانه جهود وجهود ستصب أعواما طوالا حتى تكتب صفحات الكتاب وتلتحم لحمة النسيج وسداه •

فاذا تاريخ امتنا هو صنع جيل متحرر باسره ، جيل لايعرف الأغلال ولا انشلل فى الحركة ولا الظلم ولا الاستغلال •• جيل حرر الفلاح والعامل كما حرر المرأة ليقوم الجميع كل بدوره الفعال فى النضال العربى الجبار •

سهير القلماوي

الميثاق وإذابة الفوارق بين الطبقات

الدكتور مهدي علام

فى هذا الشهر يتحرك قادة الرأى فينا فى جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة ، للتوعية القومية عن الاتحاد الاشتراكى العربى ، وهو الثمرة الناضجة التى تجنيها أمتنا المكافحة من الشجرة الطيبة التى غرست منذ عشر سنوات ونصف سنة فى أرضنا الخصيبة . وقد كان ميلاد الاتحاد الاشتراكى العربى فى احضان الميثاق الوطنى الذى اعلنه الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢١ مايو ١٩٦٢ وهو الميثاق الذى اعلن فيه الرئيس : ((ان الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع ان تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ، ليكون السلطة الممثلة للشعب ، والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة)) .

وهذا الميثاق الوطنى هو اعظم وثيقة انسانية عرفها التاريخ . واننا ندرك قيمته عندما نقارنه بما سبقه من المواثيق التى اعلنت حقوق الشعوب فيما سبق . فالعهد الأعظم الذى حصل عليه الشعب الانجليزى من الملك جون سنة ١٢١٥ دفع الشعب ثمنا له كفاحا طويلا مع الحكام ، واستخلصه منهم استخلاصا بالارواح والانفس ، وهو مع ذلك لم يتجاوز منح حقوق سياسية محدودة ، من غير أن يعرض لحقوق اقتصادية أو اجتماعية .

واعلان حقوق الانسان فى فرنسا سنة ١٧٨٩ لم تحصل عليه فرنسا الا فى خضم من الدماء التى فاضت بها شوارعها . وهو مع ذلك لم يمس الحياة الاقتصادية ، ولم يحقق العدالة الاجتماعية ، فضلا عن جحوده وعدم تطبيقه الا فى الحدود التى تلائم المصلحة الاستعمارية الظالمة . واعلان حقوق الانسان فى الامم المتحدة منذ نحو عشرة أعوام انما جاء على اثر حرب عالمية حصدت ملايين الأنفس ودمرت مئات المدن ، وكلفت العالم أموالا كانت تكفى لمنح كل من على الكرة الأرضية حياة كريمة ، ومع ذلك فما زالت هذه الوثيقة

فى معظم البلاد التى تضمها الامم المتحدة مجرد حبر على ورق ، يتحداهـــا الظلم الفادح ، وتسخر بها التفرقة العنصرية .

أما ميثاقنا الوطنى فقد جاء ثمرة لتفكير طويل ، وايمان عميق ، وتخطيط عام ، يستهدف خلق مجتمع جديد قائم على الكفاية والعدل . والمتتبع لكتاب « فلسفة الثورة » الذى كتبه الرئيس جمال عبد الناصر غـــداة الثــورة ، ولخطبه وتصريحاته منذ قاد سفينة أمتنا ، يجد بذور هذا الميثاق واضحة المعالم فى كل ما كتب أو نطق به الرئيس .

وحسبى فى هذه المقالة أن أبين الصلة القوية بين هذا الميثاق والمبـــادىء الستة التى أعلنها الرئيس منذ فجر الثورة .

فلقد أعلن الرئيس أن الثورة قامت لتحقيق مبادىء ستة ، هى :

القضاء على الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاحتكـــار وسيطرة راس المال على الحكم ، واقامة جيش وطنى قوى ، واقامة حيـــاة ديمقراطية سليمة .

وفى هذا يقول الميثاق : « ان هذا الشعب المعلم راح اولا : يطور المبادىء الستة ويحركها بالتجربة والممارسة ، وبالتفاعل الحى مع التاريخ القــومى ، تاثرا به وتاثيرا فيه ، نحو برنامج تفصيلى يفتح طريق الثورة الى اهدافهـــا اللامتناهية . ثم ان هذا الشعب المعلم راح ثانيا : يلقن طلائعه الثورية اسرار آماله الكبرى ، ويربطها دائما بهذه الآمال ، ويوسع دائرتها بان يمنحها مــع كل يوم عناصر جديدة قادرة على المشاركة فى صنع مستقبله » .

ومن أهم ما استهدفته هذه المبادىء الستة ، التى هى الدعائم الاولى للميثاق ، اذابة الفوارق بين الطبقات ، لكى تتحقق بذلك العدالة الاجتماعية التى هى أساس مجتمعنا الاشتراكى الجديد . بل ان اذابة الفـــوارق بين الطبقات هى الاصلاح الجذرى فى المجتمع ، للقضاء على نظام الطبقات الــذى تخلف فى مجتمعنا من رواسب الماضى . فالاستعمار كان يحمى نظام الطبقات لأنه يعتمد على من كان يسميهم « أصحاب المصالح الحقيقية » فى الأمـــة . وهؤلاء كانوا فى نظره هم أصحاب الضياع والثراء الذين كان يختار منهم من يعتمد عليهم فى تأييد سلطانه وفرض سياسته ، بل ان الاستعمار كان يعمـد الى خلق هذه الطبقة اذا لم توجد ، بتيسير الثراء لعملائه ، لكى يشعـــرهم بامتيازهم على سائر مواطنيهم ، وبأن هذا الامتياز هو هبة الاستعمار لهم ، ونعمته عليهم ، فيزدادون بعدا عن أبناء وطنهم ، بازدياد قربهم من السلطـة الاستعمارية الحاكمة . فالمبدأ الأول للثورة حين نادى بالقضاء على الاستعمار وحين حقق هذا النداء بالجلاء ، انما كان يعمل على اصلاح سياسى واجتماعى واقتصادى يتناول حياة الأمة فى صميمها ، وهـــو القضاء عـــلى الفوارق الطبقية .

والميثاق يعالج هذه النقطة فى عدة مواضع ، فهو يقول مثـــــلا : ((ان الشعوب لا تستخلص ارادتها من قبضة الغاصب لكى تضعهـــا فى متاحف التاريخ ، وانما تستخلص الشعوب ارادتها وتدعمها بكل طاقاتها الوطنيـة لتجعل منها السلطة القادرة على تحقيق مطالبها .. ان واجهة الديمقراطية المزيفة لم تكن تمثل الا ديمقراطية الرجعية . والرجعية ليست على استعـداد لأن تقطع صلتها بالاستعمار ، او توقف تعاونها معه . ولذلك فلقد كان المنطق الطبيعى ـ بصرف النظر عن المواجهات الخارجية المزيفة ـ ان نجدالوزارات فى عهد ديمقراطية الرجعية ، وفى ظل ما كان يسمى بالاستقلال الوطنى ، لا تستطيع أن تعمل الا بوحى من ممثل الاستعمار فى مصر ، بل انها فى بعض الاحيان لم توجد الا بمشورته وبامره))

فالقضاء على الاستعمار اذن كان قضاء على طبقة الحكام وتابعيهـــــم من المنتفعين والمتزلفين .

والمبدأ الثانى ، وهو القضاء على الاقطاع . تخطيط واضح لمجتمع جديد لاتمزقه الفوارق الطبقية التى تقيم بينه الحواجز ، وتفرق كلمته ، وتتيـــح للمستعمر والمستغل اخضاعه ، بتسليط بعض طبقاته علـــى بعض . وبذلك ضمن هذا المبدأ حق المساواة الحقيقية بين أبناء الوطن ، المساواة السياسية التى لا تتحقق الا على أساس المساواة الاجتماعية والاقتصادية . وقد تكفل الميثاق الوطنى بشرح هذه النقطة الحيوية حين قال عن البرلمانات السابقة ، التى كان لها صورة الديمقراطية دون حقيقتها :

((ان الرجعية لم يكن يضيرها ان تفتح متنفسا للسخـــط الشعبى ، ما دامت تملك جميع صمامات التوجيه ، وما دامت بيدها تحت كل الظروف اغلبيتها التى تمكن لدكتاتوريتها الطبقية ، وتحمى امتيازاتهـــا . ان حق التصويت فقد قيمته حين فقد اتصاله المؤكد بالحق فى لقمـة العيش . ان حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش وضمانها فقدت كل قيمة فيها ، وأصبحت خديعة مضللة للشعب))

وتحت هذه الظروف ((اصبح حق التصويت فى الريف اجبارا للفـلاح لا يقبل المناقشة ، فلم يكن يملك الا ان يعطى صوته للاقطاعى صاحب الارض، او وافق مشيئته ، أو يواجه تبعات العصيان ، واولها ان يطـرد من الارض التى يعمل فيها بما لايكاد يكفى لسد جوعه))

والمبدأ الثالث الذى ينادى بالقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، وجه طعنة قاتلة الى نظام الطبقات . فقد كان الاحتكار قـــوة اقتصادية رهيبة ، يسيطر على أرزاق الشعب ومقدراته ، فقد جمعت فئة من الناس فى قبضة يدها بعض الموارد الهامة لاقتصاديات البلاد ، واصبحت تملى ارادتها فى تسعيرها ، وعرضها ، وتوزيعها ، فابتزت ثروة الامة ، وكدست

لنفسها أرصدتها المالية ، وبذلك اتسع نفوذها السياسى ، فسيطرت على الحكم فى مستوياته المختلفة : انها حين تحكمت فى المصالح الاقتصادية استطاعت أن تملى الشكل السياسى للدولة بما يحقق خدمة مصالحها هى . وفى هذا يقول الميثاق الوطنى :

« وكذلك الحال عندما تكون القوة الاقتصادية لرأس المال المستغل .. كانت القوة الاقتصادية فى مصر قبل الثورة فى يد تحالف بين الاقطاع وبين رأس المال المستغل . انه مما يلفت النظر أن بعض الاحزاب فى تلك الظروف لم يتورع عن أن يرفع من غير مواربة شعار أن الحكم يجب أن يكون لاصحاب المصالح الحقيقية ولما كان الاقطاع ورأس المال المستغل هما أصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد وقتها ، فلقد كان هذا الشعار أكثر من اعتراف الديمقراطية .. ان سيادة الاقطاع المتحالف مع رأس المال المستغل على اقتصاديات الوطن كانت لابد أن تمكن لهما طبيعيا وحتميا من السيطرة على العمل السياسى فيه ، وعلى اشكاله ، وعلى ضمان توجيهها لخدمة التحالف بينهما على حساب الجماهير بالخديعة أو بالارهاب حتى تقبل أو تستسلم . ان الديمقراطية على هذا الاساس لم تكن الا دكتاتورية الرجعية » .

« ان فقدان الحرية الاجتماعية لجماهير الشعب سلب كل قيمة لشكل الحرية السياسية التى تفضلت بها عليها الرجعية المتحكمة ، حتى لقد صدر دستور سنة ١٩٢٣ منحة من الملك ومنة منه وتفضلا ! ان البرلمان الذى أقامه هذا الدستور لم يكن حاميا لمصالح الشعب ، وانما كان بالطبيعة حارسا للمصالح التى منحت هذا الدستور »

ولذلك كان شراء الاصوات يمكن رأس المال المستغل من أن يأتى باعوانه ، أو بمن يضمن ولاءه لمصالحه . وهكذا تألفت البرلمانات ، وهكذا تحققت الاغلبيات ، وهكذا قامت الحكومات .

والمبدأ الرابع للثورة هو اقامة عدالة اجتماعية ، وهذه العدالة الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق فى مجتمع يسوده نظام الطبقات ، فينقسم الى فئات متدرجة يتربع فى قمتها الحسب والجاه والمال ، وينزوى فى أسفلها الفلاح والعامل . لذلك كانت القوانين الاشتراكية ترجمة عملية لهذا المبدأ فى اقامة العدالة الاجتماعية التى استهدفت اذابة الفوارق بين الطبقات ، ورفع مستوى المعيشة بين الكادحين من ابناء الشعب ، ومنحهم فرصة حقيقية للاشتراك فى تصريف شئونه عن طريق القيادة الشعبية . ان العدالة الاجتماعية التى تتمثل فى كل سطر من سطور الميثاق قد ضمنت لكل فرد فى الشعب الرعاية الصحية ، والتعليم ، والعمل ، والضمان الاجتماعى فى الشيخوخة .

اما المبدأ الخامس للثورة ، وهو اقامة جيش وطنى قوى ، فهو السيـــاج لكل اصلاح ، والدرع الواقية للوطن ومقوماته وقيمه من اغارة أى عـــدو عليـــه .

وفى المبدأ السادس ، وهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، تلتقى جميع المبادىء الثورية الاشتراكية ، يقول الميثاق .

((فعمق الوعى ، واصالة ارادة الثورة ، وضعا بنجاح شعار الديمقراطية السليمة ضمن المبادىء الستة ، ورسماً من الواقع ، وبالتجربة ، وتطلعا الى الأمل ، معالم ديمقراطية الشعب ، ديمقراطية الشعب العــــامل كله .. فالديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية .. ان الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق فى ظل سيطرة طبقــــة من الطبقات . ان الديمقراطية ، حتى بمعناها الحرفى ، هى سلطة الشعب ،سلطة مجموع الشعب وسيادته . والصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقـــــات لايمكن تجاهله أو انكاره ، وانما ينبغى ان يكون حله سليما فى اطار الوحـــدة الوطنية ، وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات)) .

اننا الآن فى مرحلة البناء الاجتماعى لأمتنا ، وكل بناء متين لا يقوم الا بعد ازالة الأنقاض ، وتسوية الأرض . وهذا هو ماننهض به الآن فى ثقة ودأب وايمان ، كما يقول السيد الرئيس فى الميثاق :

((ان ازالة التصادم الطبقى الناشىء عن المصالح التى لا يمكن أن تتلاقى على الاطلاق بين الذين فرضوا الاستغلال وبين الذين اعتصرهم الاستغـــلال فى المجتمع القديم لا يمكن ان يحقق تذويب الفوارق مرة واحدة ، ولا يمكن أن يفتح الباب للحرية الاجتماعية والديمقراطية السليمة بين يوم وليلة . ولكن ازالة هذا التصادم بازالة الطبقة التى فرضت الاســـتغلال يوفر امكانية السعى الى تذويب الفوارق بين الطبقات سلميا ، ويفتح أوسع الابواب للتبـــــادل الديمقراطى الذى يقترب بالمجتمع كله من عصر الحرية الحقيقية)) .

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن ناحية واحدة من نواحى هذا الميثاق الوطنى الذى اعتنقنا مبادئه التى أصبحت نبراسا لنا فى حياتنا الجديدة . لقـــد انبثق الشعاع الاول لهذا النور فى فجر الثورة التى قادها رئيسنا ، وظل هذا الشعاع يتسع ويضىء ، ويبدد الظلم والظلمات ، حتى تمثــل نجمــــا وضـــاء فى الميثاق الوطنى الذى قدمه الرئيس لأمته نبراسا هاديا فى سياستها وتخطيطا واضح المعالم أمامها ، وصرحا شامخا قائما على الايمان بالله وقدرته ، وعلى الايمان بالدين وقدسيته ، وعلى الايمان بالوطن وحرمته ، وعلى الايمان بالفرد وشخصيته ، وعلى الايمان بالعمل وكرامته ، وعلى الايمان بالاخاء وانسانيته، وعلى الايمان بالسلام وصيانته ، وعلى الايمان بالمـــاضى وعظمته ، وعلى الايمان بالمستقبل ومسئوليته .

مهدى علام

المســـاواة والرجعيـــة

الدكتورة بنت الشاطئ

« فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا »

قرآن كريم

« ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية الســامية » .

الميثـــاق

لم تثر كلمة ــ من الميثاق ــ من الجدل والمناقشة مثل ما أثارت كلمته عن تقرير **مساواة المرأة بالرجل** ، ووجوب سقوط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة .

وقد شاركت فى هذه المناقشة ، بكلمتى التى ألقيتهـــا فى المؤتمر ، ثم بمقالات وندوات ذات عدد ، وأرى الموضوع مع ذلك لم يستوف حقـــه من الوضوح والبيان ، بل لا يزال فى حاجة الى دراسة متخصصة ، لم تكن تتـــاح فى مقالات مبعثرة وندوات متفرقة ، يحكمها مجال محدود ، ووقت محسوب بالدقائق ..

ثم ان هذه المساواة ، لا تزال حتى اليوم موضع مماراة ، والذين يمارون فيها يدعون انهم يتكلمون باسم الاسلام ، وهذه دعوى خطرة ، يجب أن يحسم القول فيها بما لا يدع مجالا لشك أو ارتياب .

أقول هذا تحديدا لوجه تناولى للموضـــــوع ، فأنا لا أكتب اليـــوم ، وما كتبت من قبل ، لأدافع عن المرأة ، أم البشرية ، وانمـــا كتبت وأكتب ، دفاعا عن الدين الاسلامى الذى يتكلم المتكلمون باسمه ..

وباسمه كذلك ، وئدت المرأة المسلمة لمدى قرون وأجيال ، وأدا معنويا أفدح من الوأد الذى كان فى الجاهلية ..

وباسمه حرمت أجيال من أمهاتنا ، حقهن الانسانى فى العلم الذى هوفى شريعتنا فريضة على كل مسلم ومسلمة ..

ولايثيرنى شيء ، مثلما يثير فى أن ينسب الى الاسلام ماأعلم أنه برىء منه ..

لانى أكره أن تسمع الدنيا فى عصر غزو الفضاء ، أن معركة السفور والحجاب ــ بمفهومه التركى لا الاسلامى عادت تشغل مصر التى شاءت لها ظروفها وتاريخها أن تكون طليعة قيادية للشعوب العربية والاسلامية ..

وأجزع كلما تمثلت وسائل الاعلام ، تذيع فى أرجاء العالم الجديد ، اننا هنا فى أرض النيل : مهد الحضارة وأم المدنية ــ عدنا نجادل فى مساواة المرأة بالرجل ، وفى خروجها للعمل ، وتحررها من « بقايا الأغلال التى تعوق حركتها حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة » .

كأن مصر لم تتوج « حتشبسوت وكليوباترة وشجرة الدر » قبل أن تسمع الدنيا بحقوق النساء !

وكأن ريفنا لم يشهد ــ منذ كان ــ ملايين النساء هنا سافرات عاملات فى حقول الوادى الأخضر !

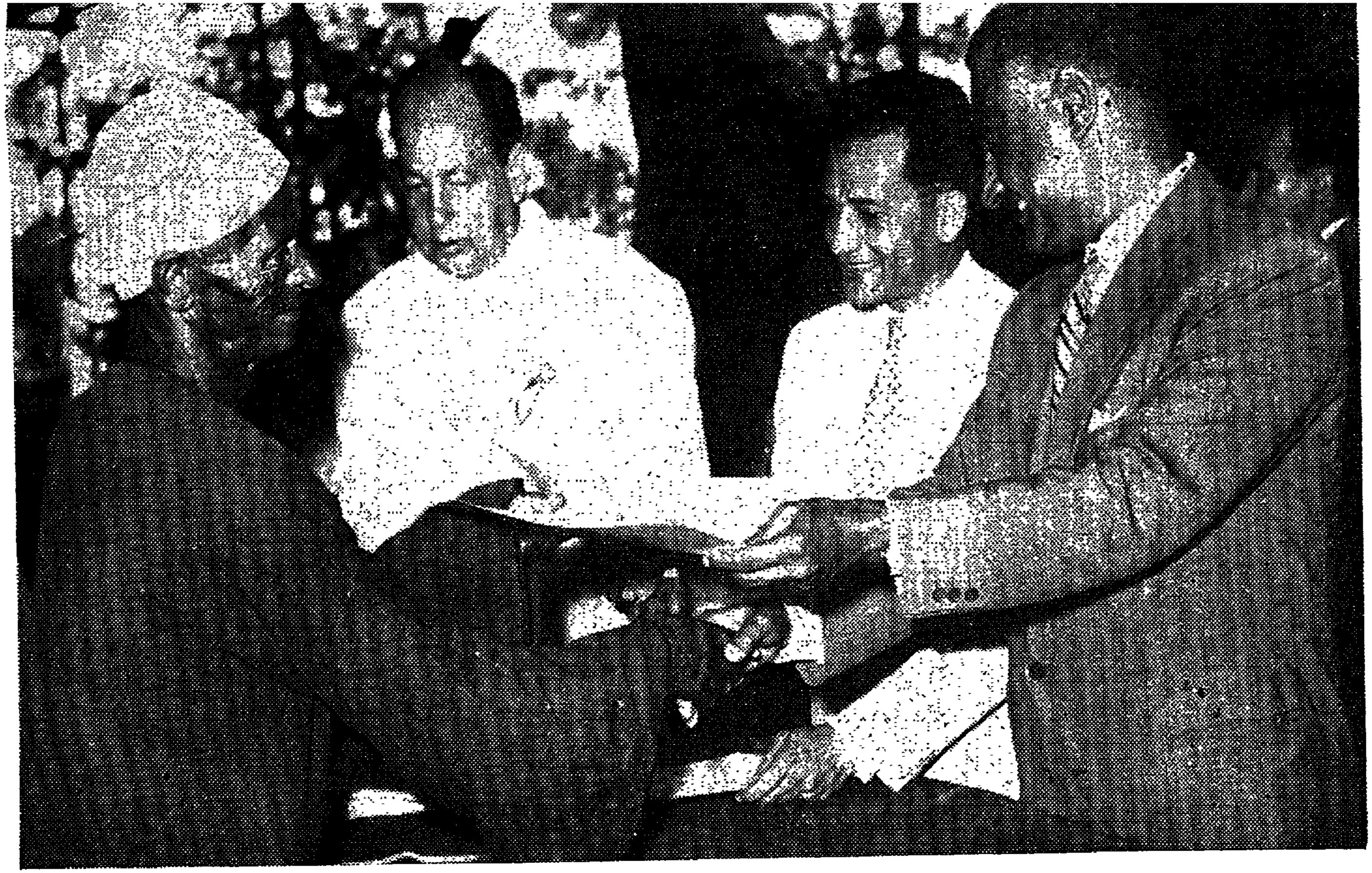
وكأن لم تنطلق أفواج الطليعة ــ من بنات مصر الحديثة ــ من ظلمات الحريم الى آفاق النور والوعى ، فيبهرن الدنيا بما حققن من معجزة التطور !

ويقولون الاسلام !

وأمهات المؤمنين وبنات الأئمة من الصحابة ، كن ملء الحياة وقدسجلن اسماءهن فى أعز مكان من كتاب التاريخ الدينى والسياسى والأدبى للاسلام .

ومصر الاسلامية قد عرفت قبل محنتها بالغزو التركى ، سيدات فقيهات يتصدرن المجالس العلمية ، ويعترف لهن بالمشيخة فى علوم العربية والاسلام، فيجزن رجالا من أعلام المحدثين والفقهاء ..

وقد وعى تاريخ القرن التاسع الهجرى وحده ، أسماء بضع عشرة سيدة منهن ، ذكرهن « جلال الدين السيوطى » فى كتابه « بغية الوعاة » وفيهن



الرئيس يصافح أحد المواطنين عند تسليمه سند التمليك بادفينا

السيدة الفقيهة المحدثة « أم محمد ، سارة » بنت شيخ الاسلام ، الامام السبكى !..

* * *

ولقد قال الممارون فى الأمر :

نقيد المساواة المنصوص عليها فى الميثاق ، بحدود الشريعة الاسلامية .

وهو تقييد كان ينبغى أن يعفينا منه ، أن الميثاق نص بصراحة ، على التزامه بجوهر الدين .

وأقول مع ذلك : تعالوا نحتكم الى كتاب الاسلام ، لنرى ما اذا كان قد وضع حدودا لمساواة المرأة بالرجل ، **فيما هو مفهوم من المساواة بمنطق العقل** وقانون الطبيعة ؟

ولا مفر لنا من هذا الاحتكام ، ما داموا يتكلمون عن حدود للمساواة فى الشريعة الاسلامية ، والله تعالى يقول :

« فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

والآية من سورة النساء !

ومعها ، من سورة النساء كذلك ، قوله تعالى :

« ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا » .

* * *

ولا أعلم أن فى كتاب الله تفرقة بين المرأة والرجل فيما نتنازع فيه

ليس فى القرآن كله ، لا تستوى المرأة والرجل ، وانما الذى فيه أن الرجال أنفسهم **ليسوا سواء ، كما أن النساء** لسن سواء :

« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ، لا يستوون » .

السجدة : ١٨

« قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث ، فاتقوا الله ياأولى الألباب لعلكم تفلحون » .

المائدة : ١٠٠

« وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور » .

فاطر ١٩ : ٢٢

« قل هو يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتـــذكر اولو الألبـــاب » ••

الزمر : ٩

((ومايستوى الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملـوا الصالحـات ولا المسىء ، قليلا ماتتذكرون »

غافر : ٥٨

« وضرب الله مثلا رجلين : احدهما أبكم لا يقـدر على شىء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو عـلى صراط مستقيم » ؟

النحل : ٧٦

« أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليـوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهـــدى القوم الظـــالمين » •

التوبة : ١٩

والآيات كلها صريحة فى أن مناط المساواة ، العلم والعمل ، والصـلاح والايمان ، دون أن يكون للجنس ــ ذكرا أو انثى ــ ارتباط بها أو تعلق ، من قريب أو بعيد •

ولا سبيل هنا الى تأول أو احتمال !

* * *

ونؤمن بقوله تعالى :

« الرجال قوامون على النساء » •

لكن لاعلى الاطلاق ، بل بالقيد المنصوص عليه فى الآية : « بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » •

وليس بما هم رجال وبما هن نساء فحسب !

ونؤمن كذلك بقوله تعالى :

« وللرجال عليهن درجة » •

لكن ليست كذلك مطلقة بغير قيد ، وانما هى مسبوقة بالمساواة الصريحة فى الحقوق والواجبات :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم » .

درجة يستقيم بها حال الأسرة ويستقر البيت ، دون أن يحق للرجل فيها ، أن يأخذه بها غرور **العزة** ، فيفوته ادراك **الحكمة فيها « والله عزيز حكيم »** .

ودون أن تنفى المساواة بين الرجل والمرأة على الاطلاق .

ولا أحتج هنا بأن تفاوت درجات الرجال أنفسهم ، في العلم أو الرتبة أو المكانة ، لايهدر مساواتهم فى الحقوق الانسانية والشرعية والمدنية .

بل أحتكم الى الله ، فأستقرىء كتابه الكريم ، لأرى ما اذا كانت « درجة » **امتيازا خاصا للرجل على المرأة** ، وليست للرجل نفسه على الرجل ؟

الرسل ، عليهم السلام ، تتفاوت درجاتهم بنص الآية :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات » ـ البقرة : ٢٥٣

والصحابة ، رضى الله عنهم ، متفاوتو الدرجة ، بصريح قوله تعالى :

« لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير » ـ الحديد ١٠ .

والمؤمنون ، **وأولو** العلم ، ترتفع درجاتهم بصدق الايمان وبالعلم :
« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير » ـ المجادلة : ١١

والبشر بعامة ، ليسوا سواء فى **الدرجة** ، بل اقتضت حكمة الله أن يتفاوتوا درجات ـ لا طبقات ـ لكى يبلوهم الله فيما آتاهم :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » ـ الأنعام : ١٦٥ .

* * *

وضلال ما بعده ضلال ، أن يقال باسم الاسلام : ان للرجل على المرأة درجة ، لمجرد كونه رجلا !

ولو كان فاسقا ، وكانت مؤمنة !

ولو كان جاهلا ، وكانت عالمة !

ولو كان كلا لا يأتى بخير أينما توجهه ، وكانت عاملة خيرة .

ولو كان خبيثا ، وكانت طيبة .

والذى يقول مثل هذا ، يحرف كلمات الله عن مواضعها ، ويلزمه القول بأن السيدات « خديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبى بكر ، وفاطمة الزهراء » أقل بأنوثتهن درجة من رجال كأبى لهب ، وأبى جهل ، ومسيلمة الكذاب !

وعليه أن يفتينا : أين درجة « امرأة فرعون » عند الله ، من زوجهـــا الطاغية بالاحتكام الى آية التحريم ، التى ضربها الله فيها « مثلا للذين آمنوا » ؟

وأين يا ترى موضع « أم المؤمنين : رملة بنت أبى سفيان بن حرب » من درجة زوجها الأول « عبيد الله بن جحش الأسدى » الذى ارتد عن الاســـلام بعد هجرتهما الى الحبشة ؟..

ان أحدا ممن ناقشوا مشروع الميثاق ، لم يجادل فى مساواة رجال برجال .. ولانساء بنساء ، وانما كان الجدل العقيم فى مساواة المرأة بالرجـــل ، يحرفون بها كلمة المساواة ، فيجعلونها من المسخ الذى يجيز لسائل أن يسأل: هل تعدد المرأة الأزواج بمقتضى المساواة التى أوجبها الميثاق ؟ وبقى أن يخشى مطالبة المرأة بأن يقاسمها الرجل ، سواء بســـواء ، أعباء الحمل والوضـــع والارضـــاع !!

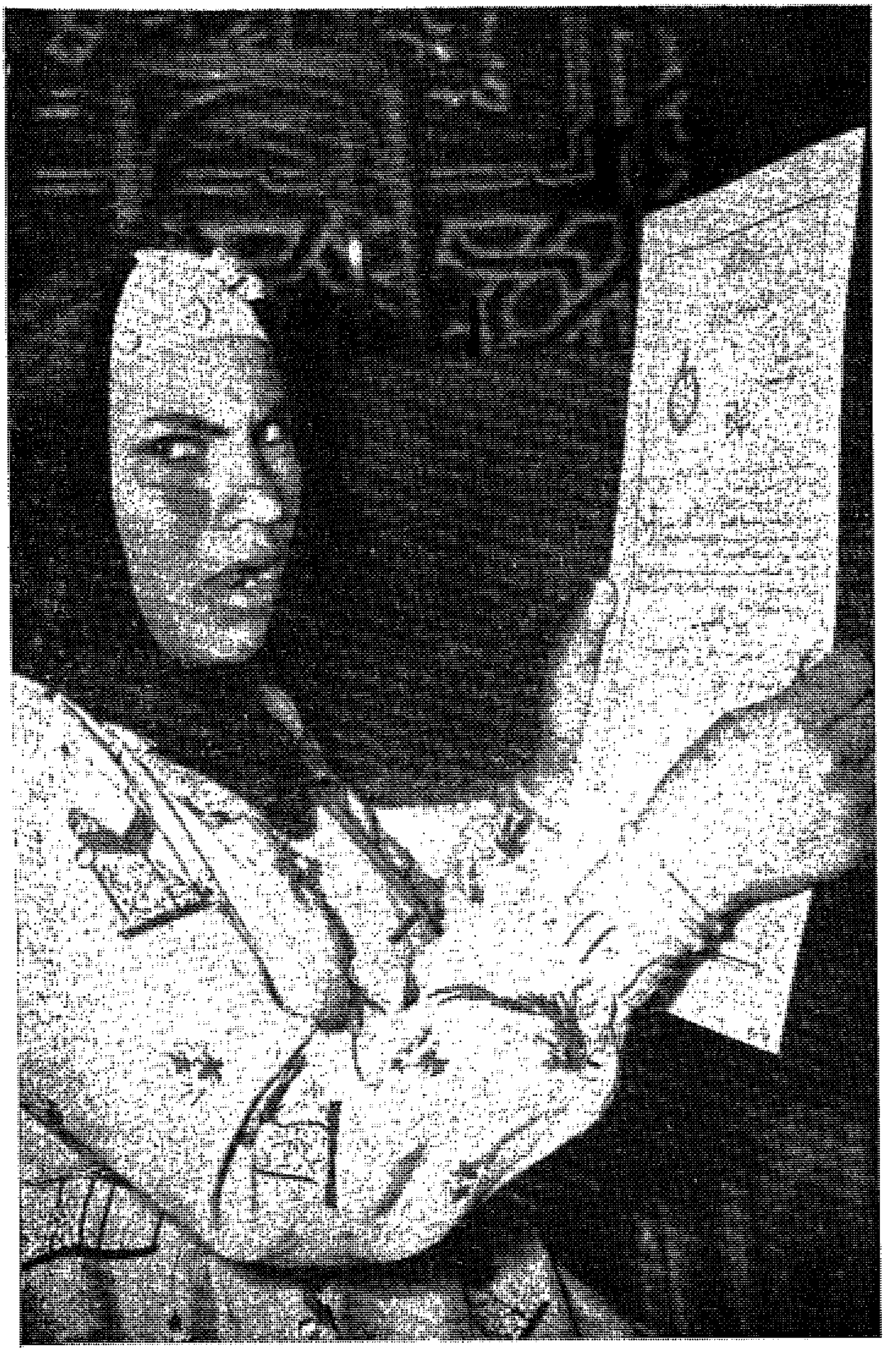
ويقلبون الأوضاع ، فيتصورون أننا بالميثاق سوف نهدر درجة للرجـــال علينا ، قضى بها حكم الشريعة ، وسنة الفطرة ، ونظام الاجتماع !

وأقول : انه ليس أحب الى المرأة السوية ، من أن يكون رجلهـــا أهلا لمسئولية درجته عليها : فالرجال هم آباؤنا واخوتنا وأزواجنا وأولادنا ، وليس يشقينا شىء ، قدر ما يشقينا أن نفتقد فيهم الفضل الذى يستحقون به درجتهم والقدرة على احتمال أعبائها وتبعاتها !

* * *

واحتج محتجون بأن الاسلام لم يسو بين المـــرأة والرجل فى الميراث والشهادة .

ولا نجادل فى أن « للذكر مثل حظ الانثيين » فى الميراث ، بمقتضى حكم الشريعة .. لكننا نجادل فى أن تكون هذه التصفية امتيازا للرجل ، فالمرأة تأخذ حظها من الميراث معفى من الالتزام على حين يأخذ الرجل حظه المضاعف ،مثقلا بأعباء وتكاليف ، فهو ملزم شرعا بالانفاق عليها وعلى أولادها منه ، ولو كانت موسرة وهو معسر .. بل ان لها اذا شاءت ، أن تستدين على زوجها فى حالة اعساره ، وأن تطلب حبسه فى النفقة المفروضة لها عليه ، اذا امتنع عن أدائها طوعا أو كرها .



فلاحة تعلو وجهها الفرحة بعد تسلمها سند التمليك الخاص بها عند توزيع الاراضى

واحتساب شهادة اثنتين بشهادة رجل واحد ، لا تؤخذ هكذا على الاطلاق حجة لعدم المساواة في الحقوق والواجبات . فاذا لم نقل ان هذه الشهادة ، انما نص عليها في آية « الدين » بخاصة :

« **يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ، وليملل الذى عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لايستطيع ان يمل هو ، فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى** » .

واذا لم نقل ان الشهادة في هذا المجال ، قدر فيها أن المرأة قد تنسى لقلة حظها من الخبرة بالمعاملات التجارية ، وضآلة رصيدها من التجربة المكتسبة بالممارسة العملية ، مما اضطر بعض الثريات من نساء قريش ، الى التماس من يقوم عنهن بالمتاجرة في أموالهن نظير أجر معلوم ، على ما نعرف من سيرة « السيدة خديجة بنت خويلد » قبل أن تتزوج من محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام ..

اذا لم نقل هذا وذاك ، فقد بقى أن يقال ان أمر الشهادة ليس فيه مايجحد الحقوق الانسانية للمرأة ، أو يؤيد دعوى الذين يزعمون أن الاسلام يأبى مشاركتها في الحياة العامة ، بل لعل الآية أجدر بأن تشهد لها بالحق في تلك الممارسة .

* * *

ويستشهدون بحديث « **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** » ويكفى أن أحيل هنا على بحث لأستاذنا أمين الخولى ، في نقد هذا الحديث : سندا وموضوعا .

ولست أدرى لم لا يذكرون أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — اعتز بامهاته فقال : ((**أنا ابن العواتك من سليم**))

ولم لا يذكرون حديث الصحابى الذى استأذن الرسول في الخروج معه للجهاد ابتغاء الوثاب ، فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ان أمه حية ، أمره أن يجاهد فيها وقال : « **الزم رجليها فثم الجنة** » .. أوقال : « **الزمها فان الجنة تحت قدميها**))

وماذا عساهم يقولون في حديث الرسول لصحابته وفيهم الأئمة الراشدون :

« **خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء** » ؟!

ها نحن أولاء قد احتكمنا الى الله والرسول ، فان لم يحسم هـذا الذى ذكرنا ، ما نتنازع فيه من مساواة المرأة بالرجل ، فقد وجب أن يحسمه أن المرأة مكلفة شرعا كالرجل سواء بسواء ، وأنها مسئولة شرعا عن أعمالهـا وسعيها ، لايحمل وزرها أب أو زوج ، كما لا يثاب عنها ـ بالنيابة أو الولاية ـ رجل من كان :

« ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذاقربى »

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمـل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض »

ولو سرقت « فاطمة بنت محمد » لقطع أبوها ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدهـا !

ولو أتت احدى نساء النبى ـ رضى الله عنهن ـ بفاحشة مبينة ، لضوعف لها العذاب ضعفين ، كما يضاعف لهـا الأجر على العمل الصـالح ، بحكم كونها قدوة :

« يانساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة ، يضاعف لها العـذاب ضعفين . وكان ذلك على الله يسيرا . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمـل صالحا ، نؤتها أجرها مرتين ، واعتدنا لها رزقا كريما » ـ الأحزاب ٣٠ ، ٣١ .

والمساواة بين الرجل والمرأة ، بل بين البشر جميعـا ، فى التكليف والمسئولية ، تقتضى عدلا ، المساواة فى الحقوق والواجبات . وهذا ماعنـاه الميثاق فى تقريره .

« ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية ، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين ، هو فرصة متكافئة لكل انسان .. ان الله جلت حكمته ، وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر ، أساسا للعمل فى الدنيا ، والحساب فى الآخرة » .

دون أن تعنى هذه المساواة قلب الأوضاع ، وإختلال الموازين ، ومسخ الفطـرة ..

* * *

ثم ماذا عن بقايا الأغلال التى أوجب الميثـاق سقوطها ، لأنها تعـوق الحركة الحرة للمرأة ؟

هنا أيضا تشابه الأمر على كثير منا ، فأشفقوا على الأخلاق من تحرر المرأة .. ومضى بعضهم يتحدث عن أزياء النساء ، ويلفت الى ما يصدمنا فيهـا من عرى وابتذال ..

ونسوا أن هذه ، هى بقايا الأغلال من رواسب عصر الحريم !

حيث كانت المرأة دمية مخدرة ، وظيفتها امتاع الرجل ..

وحيث كانت تتفنن فى زينتها استجلابا لرضاه وتأسر حواسه ببريق أصفادها ، من عقود وأساور وخلاخيل !

وحيث لم يكن التخدير يسمح لها أن تعى ما وراء الصور والأشكال من لب وجوهر ، أو تحلق الى الآفاق العالية للروح والفكر والوجدان .

وسقوط بقايا الأغلال ، هو الذى يرد الى هذه الدمى الممسوخة انسانيتها المهدرة ..

فالمرأة الحرة ، تصون كرامتها عن الابتذال ، وتضن بنفسها على مهانة العرض فى الأسواق !

والمرأة المشاركة بعمق وبايجابية فى صنع الحياة ، لا تجد لحظة فراغ لمثل ذلك العبث !

والمرأة الواعية ، تدرك أن حقها فى الحياة ذاتى وأصيل ، وليس منحة تستجدى من رجل يفتن بحسن صورتها واغراء زينتها !

والمرأة المستنيرة ، تعى أن جداتنا فى قفص الحريم التركى ، كن يلبسن على أحدث طراز لعصرهن ، ويصغين بملء اللهفة الى آخر صيحة فى عالم الزينة والدندشة ، وانما عصريتنا وعى للذات ، واعتزاز بالشخصية ،وادراك للوجود ، وانطلاق حر الى آفاق النور والمعرفة ، فى عزة تصون ، لا يفرض علينا بالاقفال والأبواب ، وفى اباء وترفع ، يأتينا من ذواتنا ، لا من الخفراء والحراس !

ولقد تشابه الأمر على نفر منا ، فخلطوا بين الرجعية والتقاليد ، كما خلط آخرون بين المساواة والمسخ ، وبين التحرر والتحلل .

وسجل محضر رسمى ، لاحدى جلسات مجلس محافظة القاهرة ، كلمة عضو شيخ :

« ان الرجعية كلمة حق يراد بها باطل ، ويجب أن تبقى الرجعية لأن لنا فيها كوابح تلجم التهور والانحلال » .

وكان الحديث عن المرأة وخروجها للعلم والعمل !

ولقد صكت الكلمة مسمعى وأنا التى نشأت فى بيئة دينية محافظة أصرت على احتجاز بناتها ــ وأنا منهن ــ فى البيت ، يتلون القرآن الكريم ويتلقين علوم العربية والاسلام ، ولم يسمح لأية واحدة منا بالخروج الى المدرسة للتعلم .

فلما شاقنى أن أفعل ، لم أجد سبيلا الا أن أتسلل خفية فأؤدى امتحان الشهادات العامة من المنزل • وحين تطلعت الى الميدان الأدبى ، اضطررت الى أن أدخله متنكرة باسم مستعار ، احتراما لأبى الشيخ ، وخوفا من غضبه ، وكانت تجربة خروجى من القسوة بحيث لم تطق أخواتى الخمس معاناتها ، فبقين حيث أراد لهن أبى ، لم يتخطين عتبة البيت الى مدرسة •

واقول مع كل هذا :

« كلا ، بل الرجعية كلمة باطل يراد بها حق ، وليس صحيحا أنها التى **تكبح غلواء الاندفاع وجموح الاستهتار ، وانما العكس هو الصحيح : فالرجعية هى التى تغرى بالجموح والتمرد • وهذه قضية قالت فيها الحياة كلمتها الحاسمة ، بعد كل الذى عانت من مآسى التحلل الخلقى والضياع الروحى والتدهور الاجتماعى ، فى ظل الرجعية !**

والاسلام يأبى الرجعية ، لأنه دين الفطرة ، والفطرة سنتها التطور ، ومحال فى قانون الطبيعة أن نسير ووجوهنا الى وراء • وعبث فى منطق الفطرة أن نتحدى التطور ، ونصر فى عناد على الالتزام بما وجدنا عليه آباءنا فى عصور سلفت ••

وكل رسالات السماء ، تأبى الرجعية ، فما من رسول الا بشر بجديد ، ودعا قومه الى غير ماكان عليه آباؤهم ، وماأضل الذين كفروا ، الا أنهم أبوا أن يتركوا ما وجدوا عليه آباءهم •

« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ـ البقرة ١٧٠

« ••• ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون • واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أوا لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » ـ المائدة ١٠٤

« قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ » ـ هود ٦٢

« قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا او أن نفعل فى أموالنا مانشاء ؟ » ـ هود ٨٧

« بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون • وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون • قال أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم • قالوا انا بما ارسلتم به كافرون » ـ الزخرف ٢٢ : ٢٤

وهذه هي الرجعية الضالة •

وفى ضوء الآيات الكريمة ، نفهم عبارة الميثاق :

« ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة • وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه ، لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية » •

وان ديننا معجزته كتاب ، وآيته الأولى « **اقرأ** » لايمكن أن يجمد عقولنا ويشل حركتنا الحرة المنطلقة فى آفاق الكون •

ودعاة الرجعية ، يتجنون على شريعة سمحة خالدة : تعتبر العرف ، وتجعل مصالح العباد أصلا ، وترى « الضرورات تبيح المحظورات » وتقرر المبادىء والأصول ، تاركة ما عداها لسير الزمان •

وهذا من أسرار عظمة الاسلام وخلوده •

ان جوهره ثابت لا يتغير •

وانما نحن الذين نتغير ، فيجد كل منا فى الدين ملاذه وخيره وهداه ،على اختلاف الزمان والمكان ، وتباين الظروف والأحوال والأجواء ••

ولولا ثبات جوهره مع مرونة حيويته ورحابة أفقه ، لما أظل شعوبا شتى، على تتابع العصور ومر الأجيال ••

ولو حددنا دلالات الألفاظ ، لما جاز أن نخلط بين المحافظة والرجعية :

المحافظة قانون طبيعى وسنة الهية ••

فما من طور من أطوار الكائنات ، ينفصل تماما عن الطور الذى سبقه •

ما من نبات يمكن أن يقوم ، بغير بذرة من زرع سابق •

وما من انسان يعيش اليوم ، وليس فيه عنصر جوهرى من الانسان البدائى الأول ، فى عصور ما قبل التاريخ •

والمحافظة ، لا الرجعية ، هى التى تعصم حقا من التهور ، وتكبح الجماح ، وهى التى تصون أصالتنا وتحمى بقاءنا بتقاليد وأعراف لنا صالحة، **تصلنا بأعز تراث لماضينا** ، وتمنح وجودنا قوة ومعنى •

والشعب الذى لا **يحافظ** على كريم تقاليده وموروث عقائده ، يحكم على نفسه بالتبدد والضياع ، ويبنى حاضره على هواء •

وينص الميثاق على تمسكنا بموروث عقائدنا ، واعتزازه بالقيم الروحية لوجودنا ، لا مجال لصوت يرتفع فينا مناديا بوجوب بقاء رجعية تكبح انطلاقنا،

أو تحاول التشبث ببقايا أغلال يجب ان تسقط ، لكيلا تعوق حركتنا الحرة ، وتحول دون مشاركتنا بعمق وبايجابية فى صنع الحياة .

* * *

وبعد فقد يهون على ، أن أعترف لمن شاء ، بالحق فى أن يكره خروج المرأة الى ميادين العمل ، وأن يرى مشاركتها فى الحياة العامة من أشراط الساعة !

لكن الذى لا يهون أبدا ، أن يتكلم باسم الاسلام !

ذلك لأنه لا ضير علينا فى أن توجد بيننا فئة رجعيـــة ، تنظر الى المرأة بعقلية سلاطين الترك ، وتحن الى الدمية المخدرة فى قفص أطلقوا عليه بحـــق خدر الحريم ، المصفدة بأغلال براقة ، من العقود والأساور والخلاخيل .

فمثل هذا فى حساب الطبيعة ، من الظواهر الاجتماعية التى لا يبرأ منها شعب مهما يبلغ مستواه الحضارى ، ورقيه الفكرى .

وانما الذى يضيرنا كل الضير ، أن يظن العالم بالاسلام الظنـــــون ، ويحسبه دين تخلف لا يستجيب لحتمية التطور ، ولا يصغى الى دعاء التقدم ، ولا يكترث لسير الزمان .

واننا لنؤمن أنه دين خالد ، صالح لكل زمان ومكان ، ونشهد أنه يقدس حرية الانسان وكرامته وسعادته ..

والمرأة ليست انسانا فحسب ، وانما هى أم البشرية ، وصانعة الحيـــاة!

بنت الشاطئ

الميثاق الوطني
.. ثورة ثالثة

إحسان عبد القدوس

كانت الثورة الاولى .. ثورة سياسية على الاحتلال الانجليزى ، وعلى النظام الملكى ، وعلى الاقطاع ، وعلى سيطرة رأس المال على الحكم ، وعلى التبعية الدولية ..

وكانت الثورة الثانية .. ثورة اجتماعية ، اقامت المجتمع الاشتراكى التعاونى ، وقضت على الرجعية ..

والثورة الثالثة .. الثورة التى يعلنها الميثاق .. هى ثورة تخطيط وتنظيم المستقبل ..

والمستقبل هو مستقبل الشعب .. مستقبل يمتد عشرات السنين .. مئات السنين .. فثورة ٢٣ يوليو لم تكن ثورة من اجل اقامة حكم .. ولكنها ثورة من اجل اقامة مجتمع .. والمجتمع الذى تقيمه لاينتهى ولايتعلق قيام هذا المجتمع بأشخاص قادة الثورة ، بل يتعلق قيامه بمبادىء الثورة .. والمبادىء لاتزول ، مادامت تستطيع أن تحمى نفسها ..

ماذا يحتاج المستقبل ؟

انه يحتاج الى قاعدة نظرية للاشتراكية العربية ، تصلح كنقطة ارتكاز لمواجهة التطور .. لمواجهة كل مشاكلنا وكل احتياجاتنا التى يمكن أن تعترض طريقنا خلال عشرات السنين القادمة .. والنظرية ليست خطوطا جامدة .. ليست قيودا على تفكيرنا .. ولكنها نقطة انطلاق التفكير .. وقد يؤدى الانطلاق فى التفكير الى تغير كثير من معالم النظرية أو من تطبيقاتها .. ولكنها تظل دائما القاعدة التى يرتكز عليها التفكير .. القاعدة التى تقف عليها كل العقول المفكرة قبل ان تبدأ فى الزحف النظرى ، أو قبل ان تبدأ فى تطبيق اشتراكى جديد .. حتى لانتحرف فى التفكير النظرى ، أو ننحرف فى التطبيق .. وحتى نحمى تفكيرنا وتطورنا من التضليل ، ومن الفلسفات الدخيلة ، ومن الشعارات المزيفة .. وحتى نحتفظ دائما بشخصية اشتراكيتنا التى تعبر عن طبيعتنا ، فلا نخلطها بالاشتراكيات الاخرى البعيدة عن طبيعتنا ..

وماذا يحتاج المستقبل ايضا ؟

يحتاج الى تنظيم شعبى قوى يستطيع أن يحمى المجتمع من التضليل ، ويستطيع أن ينشر الدعوة ويمكنها من عقل الامة وروحها ، ويستطيع أن يربى اجيالا جديدة تعيش الحياة الجديدة .. تعيشها كحياة لا كثورة .. ويستطيع أن يخرج قيادات جديدة على جميع المستويات تبرز فى ميدان العمل الوطنى .. قيادات واعية مؤمنة تتميز بالكفاءة ، وليست قيادات انتهازية وصولية تتميز بالفهلوة ..

وهذا التنظيم الشعبى لن يستطيع أن يباشر مسئولياته الا اذا حددت سلطاته .. سلطات الهيئة الشعبية العليا ، التى تنبثق منها كل المجالس الشعبية والنيابية ، وتتولى المسئولية الخطيرة .. مسئولية الرقابة الشعبية على أجهزة الحكم ..

وماذا يحتاج المستقبل ؟

يحتاج الى تنظيم رسمى .. أو على الاصح تنظيم جهاز الحكم .. وجهاز الحكم حتى الآن جهاز ثورى ، ويباشر سلطات ثورية .. وقد كنا فى حاجة الى هذه الثورية حتى نتخلص من المجتمع القديم ونقيم أسس المجتمع الجديد .. وأعتقد اننا لازلنا فى حاجة الى هذه السلطات الثورية حتى يتم البناء الجديد ، وحتى نحمى ماتم بناؤه .. ولكن .. على أن تظل هذه السلطة كصمام أمان .. كسلاح مشهر نلجأ اليه فى حالة الحاجة اليه .. ويتحول جهاز الحكم نفسه من جهاز ثورى الى جهاز سياسى .. تحكمه قوانين معلنة ، ويباشر سلطاته عن طريق سلطات قانونية محددة ..

و .....

وبعد ...

ان الثورة ــ كثورة ــ لاتزال مسئولة عن ابنائها .. عن الجيل الذى يعيش فى رعايتها .. وجمال عبد الناصر كأب للثورة .. وأب للاشتراكية العربية .. وصاحب فلسفة سياسية واجتماعية .. سيبقى دائما المسئول الاول عن المجتمع الجديد .. ومهما تطورت النظم الشعبية والسياسية ، ومهما حملت من مسئوليات ، فسيبقى دائما جمال عبد الناصر هو المسئول .. مسئولية الاب الذى يصنع مستقبل اولاده ..

أقول هذا ، لاننا مهما انطلقنا مع تفكيرنا النظرى فى وضع نظم المستقبل ، لانستطيع أن نضع اليوم نظاما يطبق بعد خمسين عاما مثلا .. لاننا اليوم نملك قوة القيادة .. نملك شخصية البطل المتميز .. نملك شخصية الاب .. هذه الشخصية تثير فينا اطمئنانا قد لايتوفر للاجيال القادمة .. وهذا

الاطمئنان هو الذى يدفعنا الى ممارسة التجارب بجراة ونحن واثقون أنه مهما كانت نتائج التجربة ، فان هناك قوة تحمى مستقبلنا .. قوة القيادة .. وهذا الاطمئنان أيضا هو الذى يحكم — لا شعوريا — تقديرنا لكل النظم التى تعرض علينا سواء كانت نظما سياسية أو شعبية .. وهو الذى يحكم تقديرنا للميثاق الوطنى الذى يعرض علينا اليوم ..

انى أكتب هذه الكلمة ، وأنا فى انتظار سماع الميثاق الوطنى ..

فى انتظار الثورة الثالثة ..

كان مشروع الميثاق مفاجأة ..

مفاجأة ضخمة ..

كانت الاغلبية تخلط بين صورة الميثاق ، وصورة « العهد » أو « القسم » .. وكانت تتصور ان الميثاق لن يكون فى صورته ، أكثر من صورة المبادىء الستة التى أعلنتها الثورة فى سنواتها الاولى تعبيرا عن ارادة الشعب .. مجموعة من المبادىء الاساسية نلتزم بها ، ونتعاهد عليها ، ونهتدى بهــا فى الطريق الطويل ..

ثم أعلن الميثاق ، فاذا به كتاب من ١٢٤ صفحة ..

كتاب فى التاريخ ، وفى النظرية ، وفى السياسة ، وفى التطبيق ..

وكانت المفاجأة ..

وأفقنا من المفاجأة بسرعة ، لنكتشف أننا كنا فعلا فى حاجة الى هــذا الكتاب .. وان ماكنا نبحث عنه فى اعماقنا ، هو هذا الكتاب .. وأن الميثاق لم يكن يحتمل أى صورة الا الصورة التى قدمه بها الرئيس ..

ورغم هذا ففى رأيى ان الميثاق لم يتعد حدود المبادىء .. مبــادىء النظرية ، ومبادىء التطبيق .. وسيظل هذا دائما هو الفرق بين الميثاق ، وبين الدستور ومجموعة القوانين التنفيذية ..

كل ماهنالك أن الميثاق لم يكتف بوضع المبادىء العامة ، بل وضــع أيضا المبادىء التى يمكن ان تقوم عليها التفاصيل .. وضع لكل جزئيــة مبدأ يمكن أن تحل على أساسه .. وبمعنى آخر لم يكتف بوضــع المطالب الوطنية فى صورة مبادىء .. بل وضع أيضا المبادىء التى تقوم عليهــا خطة تحقيق هذه المطالب ، ثم مبادىء تنفيذ هذه الخطة .

عندما تحدث الميثاق عن الثورة العربية مثلا .. لم يكتف بالمطالبة بها كضرورة وطنية ، بل وضع المبادىء التى تتحقق بها هذه الثورة .. وقــال أن النضال العربى يحتاج أن يسلح نفسه بثلاث قدرات .. هى :

١ ـ الوعى القائم على الاقتناع العلمى النابع من الفكر المستنير . والناتج من المناقشة الحرة التى تتمرد على سياط التعصب أو الارهاب ..

٢ ـ الحركة السريعة الطليقة التى تستجيب للظروف المتغيرة التى يجابهها النضال العربى . على أن تلتزم هذه الحركة بأهداف النضال ومثله الاخلاقية ..

٣ ـ الوضوح فى رؤية الأهداف ، ومتابعتها باستمرار ، وتجنب الانسياق الانفعالى الى الدروب الفرعية التى تبتعد بالنضال الوطنى من طريقه . وتهدد جزءا كبيرا من طاقته .

هذه البنود الثلاثة لاتحدد المطالبة الوطنية الأساسية فحسب .. بل تحدد مبادىء الفلسفة الثورية ، والنظرية الثورية .. وتحدد مبادىء الخطة العامة أى « الاستراتيجية » . ثم تحدد أيضا مبادىء الخطة التفصيلية أى « التاكتيك » الثورى .

ولكنها فى كل ذلك لم تخرج عن المبادىء ، لم تمتد الى التفاصيل الجزئية فى تطبيقاتها ..

بل ان الميثاق وصل فى تحديد المبادىء الى أبعد من هذا .. وصل الى جزئيات بعيدة .

مثلا .. عندما تحدث الميثاق عن ادارة الانتاج قال : « .. انه لمن الزم الأمور هنا تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها للمستقبل ، كما أنها تستكمل حلقة هامة فى الصلة بين الفكرة والتجربة.. وانه من الأمور اللازمة تشجيع كل المسئولين عن العمل الوطنى ان يكتبوا أفكارهم لتكون أمام المسئولين عن التنفيذ .. الخ » ..

وهذا مبدأ . . رغم انه مبدأ يخص تفاصيل ادارة العمل .

ومبدأ آخر .. « ان التنظيم لابد له أن يعتمد على مركزية فى التخطيط وعلى لامركزية فى التنفيذ » .. هذا المبدأ يضم تحته تفاصيل تطبيقية عديدة تشمل تنظيم الجهاز الاشتراكى كله .. بل تشمل أيضا تنظيم الجهاز السياسى نفسه . وتحديد صلة جديدة بين الجهاز الذى يضع التخطيط ، والجهاز الذى يتولى تنفيذ التخطيط .. وهكذا .

كل صفحات الميثاق وكل سطوره تعبر عن مبادىء .

ونحن فى حاجة الى أن ننتبه الى هذه الحقيقة ، ونحن نناقش الميثاق ونوجه الاسئلة والاستفسارات ..

وقد لاحظت ان اغلبية الاسئلة والاستفسارات التى وجهـت الآن تنصب على تفاصيل التطبيق ، ومشاكل التطبيق ، لاعلى المبادىء نفسها .. كيف نطبق تحديد ملكية الأسرة بمائة فدان ؟ ..

كيف نطبق تمثيل العمال والفلاحين بخمسين فى المائة ؟..

و.. و.. اسئلة كثيرة تبدأ كلها بكلمة « كيف » .. وكيف .. هذه ليس مكانها الميثاق .. ولكن مكانها الدستور ، والقوانين المكملة له .. فعند مناقشة الدستور أو القانون نستطيع أن نسأل « كيف » .. كيف نطبق هذا المبدأ .. وكيف نحقق هذه النظرية .. أما عند مناقشة الميثاق فيخيل الى أن السؤال يبدأ بكلمة « لماذا » .. لماذا حددنا ملكية الأسرة بمائة فدان ؟ .. ولماذا خصصنا للعمال والفلاحين ٥٠٪ من مقاعد المجالس النيابية ...

كيف .. تنصرف الى التطبيق ..

ولماذا .. تنصرف الى المبدأ ذاته ومحاولة شرحه وتفسيره .

فاذا سألت : « كيف يكون التخطيط مركزيا ، والتنفيذ لامركزيا ».. فان الاجابة ستخرج بك حتما عن حدود الميثاق ، وتنتقل بك الى التنظيم السياسى ، والى الدستور ، والى القوانين الوضعية ،

ولكنك لو سألت : « لماذا يكون التخطيط مركزيا ، والتنفيذ لامركزيا » فان الاجابة على سؤالك لن تخرج بك عن حدود الميثاق ، لأنه سؤال فى نطاق شرح المبدأ وتفسيره ..

ولاشك أن كل مبدأ من المبادىء الاشتراكية يواجه مشاكل كثيرة عند التطبيق ..

ولا شك أيضا أننا فى حاجة الى مناقشة هذه المشاكل ومحاولة ايجاد حل لها ..

ولكن مناقشة هذه المشاكل ليس مكانها مناقشة الميثاق ، الا اذا تصورنا حالة واحدة ، وهى حالة يستحيل فيها التطبيق الا اذا خرجنا عن المبدأ الذى يقره الميثاق ..

وقد اشتركت فى عدة لجان لمناقشة الميثاق وكانت الظاهرة فيها جميعها هى مناقشة التطبيق لا مناقشة المبادىء .. قضيت فى احدى اللجان أكثر من ساعتين نناقش مشاكل تطبيق مبدأ تحديد ملكية الأسرة بمائة فدان .. وبدأنا نناقش الفروض .. لو فرض وان الزوج

يملك ٧٠ فدانا ، والزوجة تملك ٨٠ فدانا ٠٠ فمن أيهما تؤخذ الزيادة عن الحد الأقصى لملكية الأسرة ٠٠ وماذنب الزوجة اذا أخذنا منها أرضهـا في حين أن مصيرها معلق بكلمة تخرج من فم الزوج ٠٠ قد يطلقها بعـد تطبيق تحديد ملكية الأسرة ٠٠ فهل تسترد أملاكها بعد الطلاق!؟ ٠٠

والغرض هام ٠ ٠ والمشكلة تستحق الاهتمام ٠٠ ولكن بحثهـا ليس مكانه مناقشة الميثاق ٠٠ فهي مشكلة تطبيقية أو تنفيذية لاتخص المبدأ ٠٠

المبدأ هو تحطيم سيطرة الأسر عـلى الريف ٠٠ فهل يكفي تحـديد ملكية الأسرة بمائة فدان للقضاء على سيطرة الأسر وهل تقر مبدأ القضـاء على سيطرة الأسر على الريف كمبدأ من المبادىء الاشتراكية ؟

هذا هو السؤال الذى يخص الميثاق ٠

وكان هناك سؤال آخر في احدى هذه الندوات ، لماذا نحدد الدخـل الفردى بالنسبة لجميع المواطنين بحيث لايزيد عن دخل المائة فدان ؟ ٠٠

وهو سؤال يخص الميثاق أيضا لأنه متعلق بالمبدأ ٠٠

والمبدأ قائم على أن ليس القصد من تحديد الملكية الزراعية هو تحديد الدخل فحسب ، ولكن القصد الأول هو تحديد السيطرة الاجتماعية عـلى الفلاح ٠٠ ولذلك لايتعلق تحديد الملكية الزراعية ، بتحديد أنواع الدخـول الأخـرى ٠٠

و ٠٠٠

ولا أريد ان أتعرض لكل الأسئلة التي سمعتها أو التي نشرت ٠٠ ولكني أكتفي بملاحظة أن أغلب هذه الاسئلة كانت متعلقة بمشاكل التطبيق ٠ ومشاكل التطبيق مكانها مناقشة القوانين ، لامناقشة الميثاق ٠٠

وملاحظة أخرى ٠٠

فقد خيل الى ان أغلبية المواطنين تلقوا الميثاق وناقشوه بروح طائفية ٠٠ كل طائفة بحثت فيه عن نصيبها ٠٠ الفلاحون بحثوا فيـه عن نصيب الفلاح ٠٠ والعمال بحثوا فيه عن نصيب العمال ٠ ٠ والمثقفون بحثوا فيه عن مكانهم ٠٠ وأصحاب رؤوس الأموال الخاصة بحثوا فيه عن مصيرهم ٠٠

وكانت النتيجة أن معظم الاهتمام ، ومعظم الاسئلة انصبت على بنـود الميثاق الخاصة بطوائف الشعب ٠٠ البنود الخاصة بتحديد الملكية الزراعية والعقارية ٠٠ وتحديد النسب بين القطاع الخاص والقطاع العام ٠٠ وتحديد نسبة تمثيل العمال والفلاحين ٠٠ الخ ٠

وكانت النتيجة أيضا ، أن انصرف الاهتمام الى مناقشة الحقـوق الواردة في الميثاق ، دون مناقشة الواجبات التي خصص لها الميثاق صفحات طويلة واتجاهات واضحة ٠٠

ولاشك أن من حق كل مواطن أن يهتم بالبحث عن مكانه على ضوء مبادىء الميثاق .. هذه طبيعة البشر ...

ولكن .

لن يستطيع أى مواطن أن يطمئن الى أنه عرف مكانه وفهم وضعه الا اذا درس وفهم الميثاق كله .. وكل المبادىء التى يشملها .

ولو كان كل القصد من الميثاق هو تحديد حقوق فئات المواطنين ، أو تحديد اجراءات اشتراكية جديدة .. لما صدر فى صورة ميثاق .. ولصدر فى صورة قرارات اشتراكية أخرى ، كقرارات يوليو ١٩٦١ ..

ولكن الميثاق صدر لتحديد صورة المجتمع .. وليشرح جذور المجتمع وتطوره ، واحتياجاته ، وثورته ، وهدفه ، والقوى المحركة فى داخله ، ونظام الحركة فيه ..

ولن يستطيع أحد أن يرى هذه الصورة بوضوح ، الا اذا تحرر أولا من نظرته الطائفية وأحساسه الطائفى .. ومد نظره واحساسه ليشمل المجتمع كله بكل قطاعاته وطوائفه ..

ولن نستطيع ان نتعاهد على الميثاق ، اذا بحث كل مواطن عن حقوقه ، ونسى أن يبحث عن واجباته .

وملاحظة ثالثة ..

بعض المثقفين وقفوا أمام بعض التعريفات التى وردت فى الميثاق .. وترددوا :

ان هذه التعريفات أو الالفاظ ، وردت بنصها فى مذاهب أخرى .. وفى نظريات أخرى ..

مثلا ..

تعبير « الاشتراكية العلمية » .. استعمله كارل ماركس بنصه للتعبير عن نظريته ..

فهل معنى هذا أن اشتراكيتنا هى اشتراكية كارل ماركس ؟..

لا .. قطعا لا ..

والذى حدث أن صياغة الميثاق قد حررت التعاريف القديمة من معانيها القديمة .. حررتها من الاحتكار المذهبى .. واستعملتها بمعان جديدة !..

وقد كانت بعض المذاهب تحتكر لنفسها بعض التعاريف ..

كانت كلمة « السلام » تحتكرها الشيوعية ·· وبلغ من قوة احتكارها ان أصبح كل من يستعمل شعار « السلام » أو ينضم لمنظمة تعمل من أجل « السلام » يعتبر شيوعيا ·· ثم استطاع جمال عبد الناصر أن يحطم هذا الاحتكار ، وان يجعل من « السلام » دعوة انسانية ، لادعوة شيوعية·· أصبح كل فرد الآن يستطيع ان يدعو للسلام ، وهو مطمئن الى أنه لن يتهم بالشيوعية ··

ورغم التحديد القاطع لاشتراكيتنا فى أكثر من موضع من الميثاق ، وهو التحديد الذى يبعدها عن اشتراكية كارل ماركس ، وعن الفلسفة المادية المحضة ·· رغم ذلك ·· فان جمال عبد الناصر عندما استعمل تعريف « الاشتراكية العلمية » مهد لهذا التعريف قائلا : « ان هناك تجارب أخرى للتقدم ، حققت أهدافها على حساب زيادة شقاء الشعب العامل واستغلاله أما لصالح رأس المال ، أو تحت ضغط تطبيقات مذهبية مضت الى حد التضحية الكاملة باجيال حية ، فى سبيل اجيال لم تطرق بعد أبواب الحياة ·· »

هذا التقديم يبعد اشتراكيتنا العلمية ، عن كل التطبيقات المذهبية الأخرى ·· ثم الشرح الذى جاء بعد استعمال هذا التعريف ، يزيده ايضاحا بحيث لايمكن ان يلتبس اقتناعنا بالاشتراكية العلمية بأى مذهب آخر ·· سواء من الناحية الاجتماعية أو من الناحية الاقتصادية ! ··

وليس هذا هو التعريف الوحيد الذى ورد فى ميثاقنا ، وسبق أن ورد فى مواثيق أخرى ··

هناك تعاريف أخرى كثيرة تضمنها الميثاق ··

وكلها وردت بمعان جديدة ·· بمعان تتعلق بمجتمعنا لابمجتمعات أخرى ··

وكلها كانت دليلا على أننا حطمنا احتكار التعاريف ·· احتكار الكلمات·

وبعد ··

ان الملاحظات حول الميثاق كثيرة ··

والأسئلة التى تتطلب جوابا أكثر ، ولكنى أكتب هذه الكلمة قبل ان يبدأ السيد الرئيس فى شرح الميثاق ·

وأعتقد أن الشرح والتفسير سيستغرق كتابا أضخم بكثير من كتاب الميثاق نفسه ··

وافضل أن أنتظر ··



الرئيس جمال عبد الناصر يزيح الستار عن اللوحة التذكارية بمناسبة زيارة سيادته لموقع السدّ العالى باسوان

ميثاق ثورة .. لا ميثاق دولة..

أريد ان اعطى بعض العذر لأعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية .. فمنذ اليوم الأول لانعقاد المؤتمر وضح ان المناقشات عاجزة عن الوصول الى صميم المبادىء التى يشملها الميثاق .. والوصول الى هذه المبادىء وتفسيرها والتعليق عليها ، كان يحتاج الى وقت .. وقت طويل .. يقضيه الأعضاء فى البحث والدراسة .. ولكن تنظيم سير العمل فى المؤتمر ، لم يترك وقتا امام الأعضاء للدراسة ، فقد بدأت المناقشة عقب اعلان الميثاق بيوم واحد ، وانشغل القادرون على المناقشة بحضور اجتماعات كل صباح ، وجلسات كل مساء ..

وهذا هو العذر الوحيد .. اذا كان يجب ان نتلمس عذرا لأعضاء المؤتمر ..

وربما لو ان الميثاق اعلن ، ثم تركت فترة كافية امام الأعضاء ، لدراسته وبحثه . لظهر فى هذه الحالة بعض المناقشات الجادة العميقة التى تستهدف المبادىء ، لاتفاصيل التطبيق ..

والنتيجة ..

ان المناقشات لم ترتفع الى مستوى الميثاق .. دارت على مستوى القوانين العادية .. والوحيد الذى استطاع أن يزيد الميثاق تفسيرا وشرحا وابرازا لمبادئه . هو صاحب الميثاق نفسه ..

وكانت النتيجة ايضا ان اصبح اهم موضوع اثاره الأعضاء ، واستغرق اكثر وقت المؤتمر ، هو موضوع المساواة بين الرجل والمرأة .. وأصبح نجم المؤتمر هو الشيخ الغزالى ! لا لأن موضوع المساواة بين الجنسين هو أهم ماجاء فى الميثاق ، ولا لأن الشيخ الغزالى أكثر الأعضاء ذلاقة فى اللسان .. ولكن لأن المناقشة حول مساواة المرأة بالرجل كانت رغم تفرعها الى تفاصيل تافهة ، من المناقشات القليلة التى دارت حول مبدأ من مبادىء الميثاق ... والمناقشة حول المبادىء الكفيلة بأن تثير اهتماما أكبر مما تثيره المناقشة حول التفاصيل ..

والمؤتمر بتكوينه الحالى يرسم صورة صادقة لمجتمعنا .

وربما فوجىء البعض بهذه الصورة .. فالى ماقبل انعقاد المـؤتمر كانت صورة مجتمعنا لاتبدو الا فى الصحف وأدوات الاعلام .. التليفزيـون والراديو .. ولكن الصورة التى بدت فى المؤتمر تختلف كثيرا عن الصورة التى كانت ترسمها الصحف وأدوات الاعلام .. وتختلف أيضا عن الصورة التى أبرزتها المجالس النيابية السابقة .. ان التصادم والتناقض الطبقى . فى مجتمعنا وكما بدا فى المؤتمر أكبر بكثير مما كنا نعتقد ومما كانت تصوره لنا أجهزة الاعلام ، والانتخابات السابقة ..

وفى خلال عشر السنوات الماضية ، استطعنا ان نقضى عـلى الاقطـاع وعلى الرأسمالية المستغلة .. واستطعنا أيضا ان نوقف تسـلل النظريات الغربية الينا .. ولكننا رغم ذلك لم نستطع بعد أن نوحد مجتمعنا فى اتجاه واحد .. ولم نستطع ان نذيب الاحساس الطبقى .. وظل مجتمعنـا حتى اليوم يخوض الصراع المحتوم بين الطبقات .

والظاهرة الواضحة فى المؤتمر أن الطبقة التى تعارفنا على تسميتهـا بطبقة المثقفين أقل نفوذا مما كنا نعتقد .. ومما كنا نقدر لها .. المثقفون فى المؤتمر لا أثر لهم .. وهم يبدون فيه كمهنيين .. مهندسين ، واطبـاء ، وأساتذة ، ومعلمين .. أكثر مما يبدون كمثقفين مسئولين مسئولية عامـة عن المجتمع كله .. وكانت النتيجة ان عجزوا عن صد كثير من الآراء الرجعية التى قيلت فى المؤتمر ، وعجزوا عن توجيه المؤتمر فى حدود مناقشـة المبادىء التى وردت فى الميثاق وفى حدود روح المجتمع الواحد التى عبر عنها الميثاق .. وليس معنى هذا ان المثقفين مسئولون مسئولية رسميـة أو ان من حقهم ان يفرضوا آرائهم على المؤتمر .. ولكن ، مادمنا قد افترضنا فيهم انهم يمثلون نضوج الوعى ، والقدرة على الدراسة . فاننا نفترض فيهم أيضا المسئولية الكبرى عن مناقشات المؤتمر .. خصوصا وان الامانة العامة قد أعطتهم الفرص الاكبر للمناقشة .

وقد حاول الأعضاء من تلقاء أنفسهم اذابة الفوارق بينهم ظاهريا .. فجلس بعض العمال والفلاحين بين أساتذة الجامعة والمهنيين .. وجلس بعض ممثلى الرأسمالية الوطنية بين العمال والفلاحين .. واتفق ممثلات القطاع النسائى على أن يتفرقن بين الأعضاء حتى لايبدو المؤتمر وقد انقسم الى رجال .. وحريم .. ورغم ذلك ، كان التكتل واضحا .. كان العمال والفلاحـون يكونون تكتلا فى أقصى اليسار . . وكان المهنيون والرأسمالية الوطنيـة يكونون تكتلا فى أقصى اليمين .. وأصحاب العمائم يكونون تكتلا ثالثا ، فى الوسط .. و ..

وبدت هذه الفوارق اكثر اثناء المناقشات ..

فالعامل يتحدث عن مشاكل العمال الخاصة ‥ والنقابيون يتحدثون عن مشاكل النقابات ‥ حتى المشاكل الداخلية ·

وصاحب رأس المال ، يتحدث عن مشاكل رأس المال ‥

والمرأة تتحدث كامرأة ‥

ولم يكن كل منهم يتحدث عن وضعه فى المجتمع الجديد الذى ترسمه بنود الميثاق ‥ بل كان يتحدث عن مشاكل طائفته بعيدا عن مشاكل المجتمع كوحدة ‥ بعيدا عن الأهداف التى حددها الميثاق ·

وكان الوحيد القادر على جمع هذه الخيوط المتنافرة وتنسيقها داخل مبادىء الميثاق هو الرئيس نفسه ·

وكان الرئيس نفسه هو الذى صد اقتراح انتخابه رئيسا للجمهورية مدى الحياة ‥ ولاشك ان هذا الاقتراح يناقض كل الأسس التى بنى عليها الميثاق ، والتى ترمى الى تمكين الشعب من سلطة الرقابة ، وتمكينه من السيطرة على مصيره ‥ ولا شك أيضا ان جمال عبد الناصر عندما وضع هذا الميثاق لم يحسب فيه حساب شخصه ، ولم يحسب فيه حساب عواطف الشعب نحوه ‥ ولكنه وضعه ليكون أساسا للمستقبل الممتد بعده ‥ ورغم ذلك ‥ رغم هذا المفهوم الواضح للميثاق ‥ لم يتعرض احد من اعضاء المؤتمر لهذا الاقتراح العاطفى ‥ لماذا ؟ ‥ ربما انقيادا لعواطفهم · وربما عجزا عن فهم الميثاق ‥ وربما عجزا عن فهم جمال عبد الناصر ··· وربما هروبا بانفسهم من موقف خيل اليهم أنه قد يسبب لهم حرجا ‥ ولكن ‥ الذى لاشك فيه ان الرئيس كان يسعده ان يبدو المؤتمر اكثر فهما للميثاق· وان يرى من بين الأعضاء من يقوم لصد هذا الاقتراح

و ‥

والرئيس أيضا هو الوحيد الذى استطاع ان يضع تقاليد المناقشة داخل المؤتمر ‥ وقد قام عضو او اثنان يطالبان المؤتمر بالابتعاد عن المناقشات العاطفية ، وعن الهتاف ، حتى يتفرغ المؤتمر للبحث الموضوعى ‥ ولكن احدا لم يستجب لرأى احد العضوين ‥ الى ان تكلم الرئيس ‥ فسكت الهتاف ‥ واختصرت مقدمات الكلام ‥ واتجه النقاش الى الموضوع مباشرة ‥ وصبر الأعضاء على زملائهم المتحدثين ‥

ماذا تعنى هذه الظواهر ؟

انها ظواهر عابرة صغيرة ، ولكنها تحمل معنى كبيرا ‥

انها تعنى اننا لازلنا فى أول مراحل التربية السياسية للشعب ‥واننا

في هذه المرحلة ، لازلنا في حاجة الى القيادة العليا لتتدخل حتى في أدق التفاصيـــل ..

وليس في هذا ماينقص من قيمة الشعب .. شعبنا الصلب الواعى ، الذى عاش طوال عمره واعيا لمشاكله ، واعيا لتصرفات حكامه .. ولكن الوعى شيء ، وممارسة الحقوق الشعبية شيء آخر .. وقد انقضى تاريخ طويل حرم فيه الشعب من ممارسة حقوقه ، فكان في حاجة عندما يبدأ ان يعتمد عـــلى ثقته في قيادته العليا ، وايمانه بها وحاجته اليها حتى في ادق شئونه مباشرة سلطاته ..

وعلى كل حال ..

هذا المؤتمر يمثل حقيقة المجتمع الراهن .. الحقيقة التى كانت ضائعة وراء أجهزة الاعلام ..

ويجب أن نعى هذ الحقيقة وعيا تاما .. وان ندرس كـــل خط في الصورة التى يبرزها المؤتمر .. فمن هذا المجتمع نبدأ المرحلة الجديدة .. والمستقبل كله يعتمد على تطوير هذا المجتمع .. تطوير هذه الصورة ..

والأحساس الذى افتقدناه في المؤتمر ، هو الأحساس بأن المؤتمـــر لايناقش بعضه بعضا فحسب ، ولكنه يناقش نظريات ونظما سياسيـــة رغم انها وضعت على أسس من واقعنا ، الا انها تسجل في التاريخ اتجـــاها جديدا في التفكير ، تشترك في مناقشته كل الهيئات العالمية ..

ان الصحف العالمية تناقش الميثاق ..

والصحف العربية تناقش الميثاق

والمناقشات تدور معظمها حول الأسس النظرية للميثاق ..

وكان المفروض أن تكون جلسات المؤتمر ردا على هذه المناقشـــات ، أو اشتراكا فيها ..

كان المؤتمر في حاجة الى المناقشة النظرية ..

مناقشة مفهوم الحرية في اشتراكيتنا ، مناقشة الحدود التى تفصل بين اشتراكيتنا والاشتراكيات الأخرى ..

مناقشة سلطات التنظيم الشعبى ..

مناقشة العلاقة بين رأس المال الخاص ورأس المال العام ، والوسيلة التى وصلنا اليها للتوفيق بين هدف رأس المال الخاص في الربح وهدف رأس المال العام في توزيع فائض الانتاج .. مناقشة الفرق بين رأسمالية الـــدولة وملكية الشعب .. و..و ..

مناقشات نظرية كثيرة كان يجب أن تبدو في جلسات المؤتمر ، بجانب مناقشة التطبيقات ومدى صلتها بالمصالح الخاصة لكل طائفة .. وكان يمكن

أن تؤدى هذه المناقشات النظرية الى توضيح مبادئنا أكثر أمام العالم الخارجى أولا ، وتسهل عملية الفهم والهضم للمواطنين ..

وقد حاول عدد قليل من أعضاء المؤتمر مناقشة الميثاق مناقشة نظرية ولكن العبء الأكبر من التوضيح النظرى تحمله الرئيس وحده .. حتى انه اضطر أن يجيب بنفسه على خطاب يناقش الفرق بين اشتراكيتنا ، واشتراكية ماركس .. وقد جاءنى سؤال :

ماهو الأساس النظرى لتدخل الدولة فى تحديد نسبة العمال والفلاحين فى المجالس الشعبية .. هل يعنى هذا تدخل الدولة فى نسب التمثيل عامة .. بحيث اذا زادت نسبة العمال والفلاحين عن ٧٠٪ مثلا ، عادت الدولة وخفضتها .. وما هو الضمان الذى يحول دون وصول نسبة العمال والفلاحين فى المجالس الشعبية الى ١٠٠٪ بعد خمس سنوات أو عشر ، مادام لهم الحق فى ترشيح أنفسهم فى كل الدوائر الانتخابية حتى فيما يزيد عن خمسين فى المائة .. واذا حدث هذا الا نكون قد وصلنا الى ديكتاتورية الطبقة .. طبقة العمال والفلاحين .. دون ان ندرى ؟ .

هذا هو السؤال ..

والخطأ النظرى فى السؤال ، أنه اعتبر تحديد نسبة تمثيل العمال والفلاحين تدخلا من الدولة .. ولكن الميثاق ليس ميثاق دولة .. انه ميثاق ثورة .. والتدخل ليس تدخل الدولة .. ولكنه تدخل الثورة .. أى أن هذا الميثاق لايعبر عن مرحلة عادية فى حياة الشعب ولكنه يعبر عن مبادىء ثورة الشعب ، التى ستوضع على أساسها القانونية التى تشكل حياة الناس العادية ..

وكل ثورة تحدد صورة المجتمع الذى قامت من أجله ، وقامت لتطويره .. وكل ثورة تتبع طريقا خاصا فى تحديد هذا المجتمع .. أغلب الثورات اتبعت طريق العنف .. ذبحت .. وشنقت .. أما ثورتنا فتكتفى باصدار القوانين الثورية ..

وصورة المجتمع الذى قامت من أجله الثورة لايمكن ان تكتمل بعد القضاء على الرجعية ، الا بدفع الطبقة التى حرمت طويلا من كيانها ومن التعبير عن نفسها ، الى الامام .. لاعلى اعتبار أنها طبقة قيادية ، ولكن على اعتبار أنها طبقة شعبية .. تتفاعل وتنصهر مع بقية الفئات الشعبية ..

هذه الدفعة .. دفعة ثورية .. تمت بمنطق الثورة ، لابمنطق القانون العادى .. ولم يكن هناك سبيل آخر لاستكمال صورة المجتمع الا بالاعتماد على منطق الثورة ! .

والثورة عندما نصت على نسبة تمثيل العمال والفلاحين ، وضحــــت هدفين متكاملين :

١ ـ تمثيل الطبقة التى حرمت طويلا من التعبير عن نفسها ..

٢ ـ استحالة قيام ديكتاتورية طبقية فى المجتمع الجديد ..

أما كيفية التوفيق بين الهدفين فهذا هو البحث الطويل .. بحث يشمل تحديد من هو العامل والفلاح .. ويشمل تحديد شكل النقابات .. ويشمل وسائل تذويب الفوارق بين الطبقات ..و..و..

وبجانب هذا السؤال ، جاءنى سؤال مضاد :

ألا يخشى على الفلاحين والعمال رغم تمثيلهم بنسبة ٥٠٪ من اكتساح طبقة الرأسمالية الوطنية التى قد تحتكر الـ ٥٠٪ الباقية .. خصوصــــا وان الرأسمالية الوطنية مسلحة بالتجارب الطويلة ، والوعى والانياب المسمومة ضد عدم نضوج وعى الفلاحين والعمال وقلة تجاربهم ؟ ..

وليس هناك جواب على السؤال الا اننا نعتمد على الوعى الشعبى ، وسرعة تطوره ، ليحمى نفسه من أى انتكاسة ..

وبجانب الوعى الشعبى تقف القيادة الثورية العليا .. تقف انتباه .. حتى تحمى الشعب وتحمى الطريق ..

وكما قلت ، ان دور القيادة الثورية لايزال دورا رئيسيا فى مـــرحلة التربية السياسية ..

والميثاق نقطة بداية .. نقطة انطلاق.. يبدأ بعدها العمل الكبير لتكوين شكل المجتمع .. وفى كل خطوة نحتاج الى حذر .. والى حراس .

والميثاق ليس نهاية للثورة ..

ولكنه خط لها ..

فالثورة باقية .. والقيادة الثورية باقية ، مهما تعددت صورهـــا .. الى ان يتم بناء المجتمع الجديد ..

و ..

والاسئلة التى جاءتنى لاتكفى للرد عليها هذه السطور ، انها تحتاج الى بحث طويل .. وربما لن تكفى جلسات المؤتمر لكل البحوث التى نحتاج اليها .. ولكن انتهاء جلسات المؤتمر لايعنى انتهاء البحث .. اننا فى حاجـــة الى تكوين لجان بحث متفرغة داخل نطاق الاتحاد الاشتراكى ، تضع بحوثا .. بحوثا كثيرة .. حول الميثاق ، وتنشرها على الناس . على العالم .

الميثاق ..
ليس مرحلة ..

هل الميثاق يمثل مرحلة ؟

هل يمكن تعديله ، أو كتابته من جديد بعد خمس سنوات ، أو عشر سنوات ؟ والسؤال قائم فعلا ..

ويتردد فعلا ..

والذى أثاره أن الميثاق حدد فترة ثمانى سنوات تستطيع خلالها كل أسرة أن تبيع مايزيد فى ملكيتها عن مائة فدان .. فاعتقد البعض أن هذه السنوات الثمانى التى تمثل نهاية خطة عشر السنوات ، تمثل أيضا المرحلة التى ينتهى عندها الميثاق !

وسبب آخر ..

ان طبيعة ثورتنا أدت الى تقسيم خطواتنا الى عدة مراحل .. وتعدد هذه المراحل ، ترك عند الناس اعتقادا بان كل خطوة لاتمثل الا مرحلة .. وان الميثاق ، ليس الا مرحلة !!

ورغم هذا ..

الميثاق ليس مرحلة ..

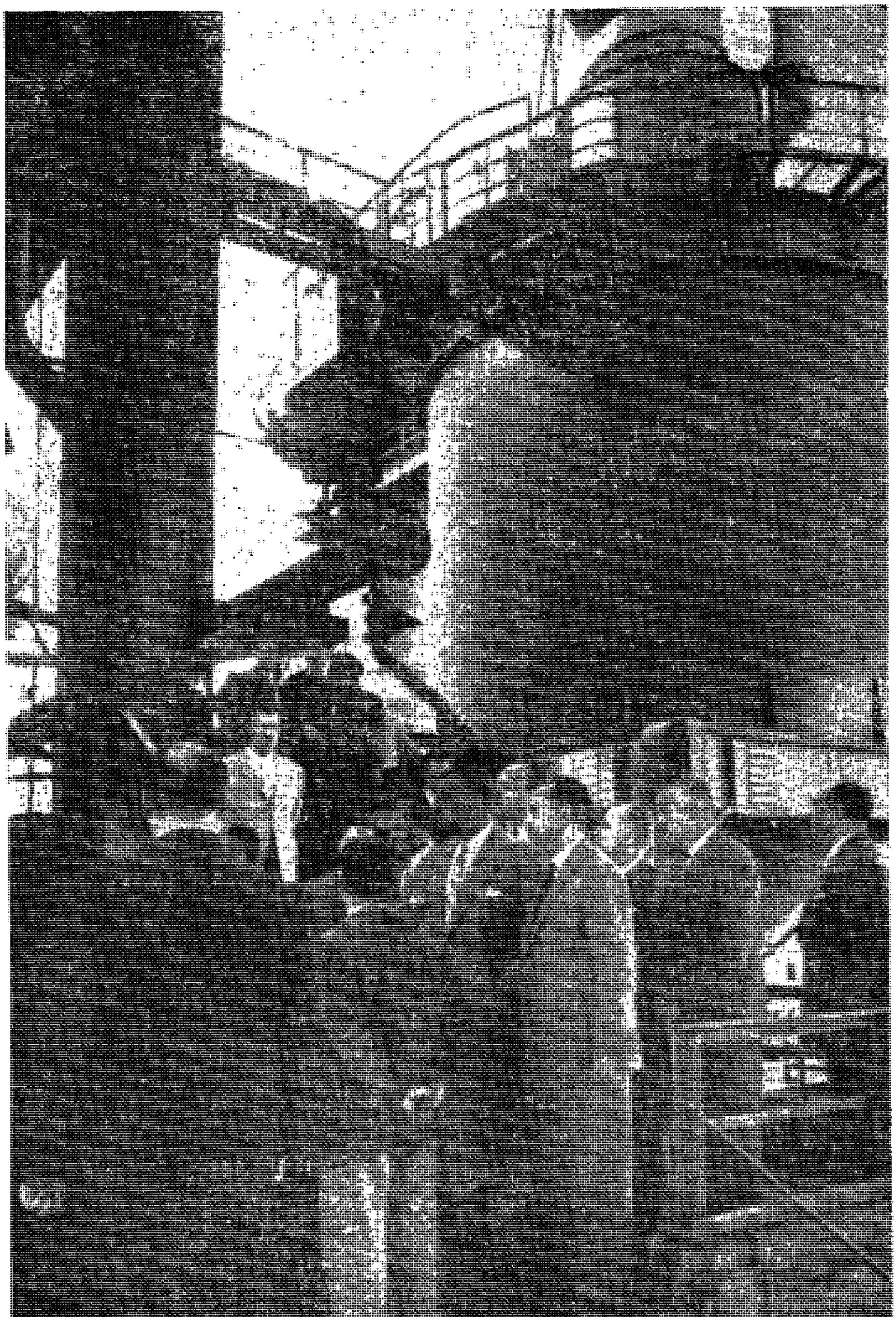
انه الخط الذى يحدد اتجاه جميع المراحل القادمة ، بحيث لايمكن ان تخرج أحدى هذه المراحل عن هذا الخط ، وبحيث تستطيع الآن وانت واقف فى عام ١٩٦٢ أن ترى صورة المرحلة التى يمكن ان تمر بها ، أو تصل اليها فى عام ١٩٨٢ ..

وجميع المراحل السابقة التى مررنا بها منذ قيام الثورة ، كانت أيضا ــ رغم اختلافها ، ورغم التطور السريع ــ مرتبطة بخط واحد يصل بين أولها وآخرها .. وكان هذا الخط يتمثل فى المبادىء الستة التى اعلنتها الثورة .. ولم يحدث أن خرجنا فى مرحلة ما عن هذه المبادىء .. أو تعارضت خطوة من خطواتنا مع مبدأ من المبادىء الستة ..

والميثاق يتضمن مجموعة من المبادىء الاساسية .. ويتضمن أيضا تطبيقات لبعض هذه المبادىء ، رؤى ضمها الى الميثاق ، لأنها تحدد صورة واضحة للمبدأ المنصوص عليه ..

والمبادىء لايمكن أن تتغير أو تلغى ، أو تخضع لأسلوب المرحلة .. بالعكس ..

ان حكمة الميثاق الأولى هى تحديد المبادىء التى لاتتغير ، حتى يشعر كل مواطن بالاستقرار فى مجتمع تحدده مبادىء ثابتة ، وحتى تستقر



الرئيس عبد الناصر فى مصنع الحديد والصلب

خطواتنا فى طريق واحد ، ويستقر تفكيرنا الفردى ، وتفكيرنا كمجمـــوع ، وتستقر نظرتنا الى المستقبل ..

ليس من حق أى هيئة سواء كانت المجلس النيابى ، أو مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى ، أن يغير من هذه المبادىء .. ليس من حقهما مثـلا ، الغاء الملكية الفردية وليس من حقهما الغاء الملكية العامة أو اعادة الاقطاع ، وليس من حقهما تجريد مبادئنا من عنصرها الروحى ..و..و.. كل هذه المبـادىء هى الدعامات الثابتة للمجتمع الجديد ، ولايمكن تغييرها أو تعديلها الا بثـورة أخـرى ..

أما التطبيقات ، فشىء آخر .

اننا نستطيع فى مرحلة قادمة ، ان نزيد تصيب القطاع الخـاص فى التصدير عن ٢٥٪ ، أو نقلله عن ٢٥٪ .. مع بقاء المبدأ ثابتا ، وهـو مبدأ سيطرة القطاع العام على القطاع الخاص .

وكما قال الرئيس ، قد يأتى يوم تذوب فيه الفوارق بين الطبقـات، ونجد انفسنا فى غنى عن تحديد نسبة تمثيل العمال والفـلاحين فى المجالس الشعبية .. وهذا لايعنى أننا عدلنا عن المبدأ ، بل يعنى اننا وصلنا الى مرحلة حققنا بها الهدف الذى يرسمه المبدأ ، والذى احتجنا فى مبدأ تطبيقه الى تحديد نسبة تمثيل العمال والفلاحين .. والهدف هو اذابة الفوارق بين الطبقات سلميا ..

وهذا هو الفرق الكبير ..

الفرق بين المبدأ ..

وبين التطبيقات ..

المبدأ : هو الاستقرار على مدى المستقبل ..

والتطبيقات تتعرض دائما للتطور والتغيير بقدر حاجتنا الى التمسك بالمبدأ وبقدر حرصنا على تحقيق الهدف ..

و .. .

لماذا أبرز هذه النقطة الآن ؟!

لماذا أحاول تأكيد أن الميثاق ليس مرحلة ؟

لان المناقشات التى دارت حول الميثاق خارج جلسات المؤتمر واللجان. أبرزت بقايا من تيار رجعى لايزال يسرى بين صفوفنا ، وأبرزت تيـارا آخر يمثل مذهبا غريبا عن مذهبنا ، يحاول ان ينحرف بنا نحو الفلسفـة المادية الصرفة ..

وصحيح أنها كلها تيارات ضعيفة هزيلة ..

وصحيح أن صوت أصحابها ينطلق خافتا متسللا ..

ولكنها تيارات تعمل .. وتحاول أن تتسلل الى عقول المواطنين ..

والحجة التى يعتمد عليها منطق اصحاب هذه التيارات ، أن الميثـاق

لايمثل الا مرحلة مؤقتة ·· ومادام لايمثل الا مرحلة فان هناك احتمال تغييره أو تعديله ، والانحراف به ناحية اليمين ، أو ناحية اليسار ·

وهذا مستحيل ··

هذا لن يحـــدث ··

لن يتحقق أمل أصحاب الأصوات الخافتة ··

لان الميثاق ليس مرحلة ··

انه مجتمعنا على مدى المستقبل ··

طبقات ·· بلا صراع ···

أريد ان اتكلم بصراحة ··

وقد تؤدى بى الصراحة الى الخطأ ··

بل انى أعلم قبل ان اكتب أن الكثيرين سيعتبرون كلامى خطأ ·· ولكنى أعلم أيضا اننا نجتاز فترة نحتاج فيها الى الصراحة المطلقة ·· حتى لو أدت الى الخطأ ··

والموضوع الذى يثيرنى هو موضوع ((صراع الطبقات فى مجتمعنا))·· وهو موضوع يحتمل تفسيرات كثيرة ، وآراء كثيرة ·· والخطأ الذى يمـــكن أن اتعرض له عند بحث هذا الموضوع هو خطأ فى التفسير ، لا خطأ فى التوجيه ·· وهذا مايشجعنى أكثر على أن أتكلم بصراحة ·

والسؤال الذى يحيرنى دائما ، هو :

هل تعرض مجتمعنا فى تاريخه الطويل للصراع الطبقى ، بالمعنى المحدد لصراع الطبقات ؟! ··

أو بمعنى آخر هل كان هناك صراع اجتماعى تقوده طبقة ضد أخرى ؟

الواقع ·· لا !

ان مجتمعنا ينقسم من الناحية الاقتصادية ، كأى مجتمع آخر ، الى طبقات ·· طبقة العمال والفلاحين ·· والطبقة الوسطى ·· وطبقة الاقطاع والرأسمالية ·· ولـــكن الوعى الطبقى ·· والتكتل الطبقى ·· لم يحـــدث من الناحية السياسية ، بحيث يتيح ظهور قيادات طبقية ، وثورات طبقية بين الطبقات الثلاث ··

·· وكانت احدى مهام الذين اشتركوا فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ، هى اثارة هذا الوعى الطبقى وتكوين تكتلات طبقية ، تعجل بالثورة ·· وكانت هذه مهمة صعبة ·· صعبة جدا ·· لأسباب :

السبب الأول ··

عراقة المجتمع الرأسمالى الذى كنا نعيش فيه ، وتاريخه الطويل الذى عاش بيننا آلاف السنين ·· لم تكن الرأسمالية تمثل طبقة ، ولكنهـــــا كانت تمثل مجتمعا يمد تفكيره وعقليته الى آخر حدود المجتمع المصرى ···

واستطاع بسيطرته على الرزق ، وبسيطرته على التفسير الديني ، وبسيطرته على القوة ، أن يخنق التفكير الطبقي الواقعي .. فأصبح الفلاح يفكر في حل مشاكله بأسلوب الاقطاع ، وأصبح العامل يفكر في حل مشاكله بالأسلوب الرأسمالي ..

والسبب الثاني ..

توالى الاحتلال الأجنبي على مصر آلاف السنين .. فكان الصراع يتخذ طابعا وطنيا ضد الأجنبي ، لاطابع الطبقة ضد طبقة أخرى .. وكل ثوراتنا في التاريخ كانت ثورات ضد الاحتلال الاجنبي .. ولم تكن تقوم بها طبقة من الطبقات ، بل كان يقوم بها الشعب بمختلف طبقاته .. وكانت القيادة غالبا للطبقة الاقطاعية أو الرأسمالية .. أو للزعامات المتطلعة الى الطبقة الاقطاعية والرأسمالية .. كان مصطفى كامل .. باشا..والثلاثة الذىذهبوا الى دار المعتمد البريطاني ليطالبوا بالاستقلال ، كانوا ثلاثة باشوات ..وليس معنى ذلك أني أتهم مثل هذه الزعامات ولكن أريد فقط أن أبرز صورة الصراع .. صراع وطني ، لاصراع طبقي .

وسبب ثالث ..

ان مجتمعنا لم يكن مجتمعا صناعيا بحيث تتكون فيه طبقة عمالية كبيرة ضخمة تستطيع أن تقود كفاحا طبقيا واضحا ضد الرأسمالية ..

و ...

وهذه الأسباب أدت الى ذوبان الاحساس الطبقي داخل المجتمع الرأسمالي .. وأدت الى عدم تمكين الفلاحين والعمال — وهم يملكون الأغلبية — من التكتل في نطاق طبقي وتحت زعامة طبقية ..

والعنصر الذي جد على الوضع الطبقي في مصر عقب الحرب العالمية الأولى ، هو اتساع الطبقة الوسطى وامتداد نفوذها .. وقد استطاعت هذه الطبقة بقدرتها الكبيرة على الحركة من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، وقدرتها على ربط طرفيها بالطبقتين الأخريين .. طرف يمتد الى الطبقة الرأسمالية ، وطرف يمتد الى طبقة العمال والفلاحين .. استطاعت هذه الطبقة أن تتولى الزعامة الحقيقية .. واستطاعت أن تكون المؤثر الحقيقي في توازن القوى الطبقية في المجتمع .. وأصبح مصير العمال والفلاحين معلقا بزعامة الطبقة الوسطى ، كما أصبحت سيطرة الاقطاع والرأسمالية متعلقة بمدى اجتذابها لهذه الزعامات .. زعامات الطبقة الوسطى ... فاذا انحرفت هذه الزعامات تسببت بانحرافها في ضياع حقوق العمال والفلاحين .. واذا استقامت حققت مكاسب للعمال والفلاحين . .

وهذا التطور الذي حدث باتساع الطبقة الوسطى ، لم يترتب عليه ظهور قيادات طبقية بين العمال والفلاحين .. بل لم يؤد الى تكتل طبقي كامل بينهم .. بل ازداد اعتمادهم كأصحاب مصالح على قيادات الطبقة الوسطى .. ظهرت مجموعات ، لاتكتل طبقي .. مجموعات بين العمال .

ولكن هذه المجموعات لم تحتفظ بقوتها لنفسها وللطبقة التى تنتمى اليها .. بل وضعت قوتها بين أيد غريبة عنها فى سبيل تحقيق مصالح عاجلة أو آجلة .. بعض هذه المجموعات وضعت قوتها فى خدمة المذهب الشيوعى .. وهى أضعف المجموعات وأكثرها تفككا .. وبعضها وضع قوته تحت زعامة الرأسمالية .. تحت زعامة أمير من أمراء البيت المالك ، أو تحت زعامة باشا .. والبعض الآخر أسلم قياده لزعامة الطبقة الوسطى ..

كان هذا هو الوضع ..

وضع لايبرز فيه تنظيم طبقى ، ولا قيادات طبقية .. وتتغلب فيه العاطفة الوطنية على الأحساس الطبقى ..

الى ان قامت ثورة ٢٣ يوليو ..

***

ولم تقم الثورة باسم طبقة .. لم تقم باسم العمال والفلاحين كطبقة .. ولكنها قامت باسم الشعب كله الذى يمثل العمال والفلاحون اغلبيته .. بل ان الثورة فى سنواتها الأولى حاولت وهى تفتت الاقطاع ، وتخلص الحكم من سيطرة رأس المال .. حاولت انتشمل الاقطاعيين والرأسماليين برعايتها ، باعتبار انهم قطاع من المواطنين ، الى أن تأكد لها استحالة الاطمئنان اليهم ، فعزلتهم ..

وكان يمكن لهذه الثورة رغم مبادئها التى اعلنتها منذ اليوم الأول ،ان تنحرف بانحراف زعامتها ، كما انحرفت ثورة ١٩١٩ بانحراف زعمائها .. كان يمكن على الأقل أن تكتفى باخراج الانجليز ثم ينحاز زعماؤها الى الطبقة الرأسمالية والاقطاعية لينعموا فى خيراتها .. ولم تكن هناك قوة أخرى ضاربة منظمة تستطيع ان تفعل شيئا فى هذه الحالة .. وكان علينا أن ننتظر عشرات السنين الأخرى ، الى أن نعد جيلا آخر ، تبرز منه طليعة تقود ثورة أخرى ..

ولكن صلابة قادة الثورة ، وايمانهم ، وتمكنهم من القوة ، حال دون انحراف الثورة ..وسارت فى طريقها لتحقق العدل لجميع المواطنين .

وكان أكثر المواطنين حاجة الى العدل ، هم المواطنون الذين نالوا أكبر نصيب من الظلم ..

وبدأت الثورة تعطى الحقوق لأصحابها ..

وقد قال الرئيس فى آخر جلسة حضرها من جلسات المؤتمرالوطنى ان الحقوق التى اكتسبها العمال عن طريق القوانين الاشتراكية ، لم تكن نتيجة مطالبة العمال بها . بل انهم فوجئوا بها .. لم يطالب العمال بنصيب فى الارباح .. ولم يطالب العمال بتمثيلهم فى مجالس الادارات .. ولم يطالب العمال والفلاحون بنسبة الخمسين فى المائة من مقاعد المجالس الشعبية .. انما فوجئوا بكل هذهالمكاسب .. بكل هذه الحقوق ..

ماذا يعنى هذا ..

يعنى أنه لم يكن هناك تكتل طبقى قائم فى مجتمعنا .. ولم تكن هناك زعامات طبقية حقيقية ، ولو كان هناك تكتل طبقى وزعامات طبقية ، لتحققت هذه المكاسب .. مكاسب طبقية .. نتيجة مطالبة سابقة .. نتيجة ضغط .

والذى حدث أن القيادة الثورية .. قيادة كل الشعب .. استطاعت ان تصل الى ضمائر العمال والفلاحين لتقدر حقوقهم ، وتردها اليهم .. كما قدرت حقوق الرأسمالية الوطنية .. وكما قدرت حقوق المهنيين .. وكما قدرت حقوق الموظفين ..

ولكن ..

السؤال الآن ..

السؤال المهم ..

هو :

هل ادت هذه الحقوق التى اكتسبها العمال والفلاحون ، الى استكمال تخطيطهم الطبقى .. والى اشتعال حدة الاحساس الطبقى ..

فى رأيى :

نعم ..

ولم يكن معقولا أن ينال العمال والفلاحون كل هذه الحقوق ، دون أن تقرب بينهم هذه الحقوق نفسها ، وتجعل منهم قوة .. قوة هم فى حاجة اليها لحماية حقوقهم المكتسبة ..

هذه القوة تمثل الكيان والاحساس الطبقى ..

ولكن هناك فرقا بين الكيان الطبقى أو الاحساس الطبقى ، وبين الصراع الطبقى ..

فالثورة عندما منحت هذه الحقوق ، قضت فى الوقت نفسه على الطبقة التى يتعارض كيانها مع وجود هذه الحقوق .. طبقة الرأسماليين والاقطاعيين .. وبذلك قضت الثورة على ضرورة الصراع .. قضت على حتمية الصراع الطبقى الحاد .. الذى كان يجب أن يقوم ، وكان لامفر منه . اذ نال العمال والفلاحون هذه الحقوق مع وجود الرأسمالية والاقطاع .

فالطبقة العاملة اليوم ليست فى حاجة الى أن تدخل فى صراع مع الرأسمالية والاقطاع ..

وفى الوقت نفسه هى فى حاجة الى التعاون مع بقية الطبقات . لأنها طبقات لاتتعارض مصالحها وحقوقها مع مصالح الطبقة العاملة ، فى حدود مبادىء الميثاق .. قد يقوم بينها وبين هذه الطبقات تناقضات ، لامصادمات .. ثم يستمر التعاون ، الى ان يعود الاحساس الطبقى ويذوب داخل المجتمع الجديد ..

والميثاق أكد هذا المعنى .. والتفسيرات التى ادلى بها الرئيس تؤكد هذا المعنى ..

والواقع أن مايحدث فى مجتمعنا لم يحدث فى أى مجتمع متطـــور آخر .. لم يحدث فى تاريخ المجتمعات كلها .. فان ماتفعله الثورة ليس هو اعادة حقوق العمال .. ولكنه تكوين طبقة العمال .. تكوينها كضرورة حتمية للتصنيع .. فحركة التصنيع الكبرى لم تتم على ايدى الرأسماليين كمـــا حدث فى المجتمعات الأخرى .. ولكنها تتم الآن على يد حكومة الثورة .. ولأنها ثورة واعية عادلة ، فهى تمنح الحقوق فى نفس الوقت الذى تتكون فيه الطبقة .. حتى تعفى هذه الطبقة من تاريخ الصراع الحاد الطويـــل الذى تحمله العمال فى المجتمعات الأخرى الاجنبية .. ثم هى تفعـــل كل ذلك بعد ان رسمت صورة واضحة للمجتمع كله .. بكل طبقاته وبكل فئاته .. وركزت هذه الصورة على مجموعة من المبادىء المستقرة .

والمبدأ الكبير بين هذه المبادىء ، هو الايسمح بدكتـــاتورية طبقة من الطبقات ..

والواقع أن « ديكتاتورية الطبقة » لاتعنى عند التطبيق ، ديكتاتورية كل افراد الطبقة ، ولكنها تعنى ديكتاتورية زعامة هذه الطبقة .

ولن يتحقق ذلك أبدا فى مجتمعنا . لأننا لن نسمح لزعامة طبقية بان تتسلل وتسيطر على الحكم ..

ولأن زعامة ثورتنا .. هى زعامة كل الشعب .

***

وبعـــد ..

فهـذا هو رأيى ..

ربما قلته بسرعة ، وربما كان فى حاجة الى تفسير آخر ..

ولكنى قلته بصراحة ..

الميثاق ليس حلا وسطا .. بين الراسمالية والشيوعية

كان رأيى دائما قبل أن نناقش تفاصيل الميثاق وابوابه ، أن نـنـــاقش حكمة الميثاق ، والفلسفة التى بنى عليها .

وحكمة الميثاق تثير من المناقشات سواء داخل المؤتمر الوطنى ، اوفى اجتماعات القاعدة الشعبية قدر ماتثيره التفاصيل التى وردت به .. بل ان الذين يناقشون التفاصيل يجدون أنفسهم فى النهاية يناقشون الاطار العـــام العام للميثاق والفلسفة التى أوحت به ..

وقد قلت فى مقال نشر فى ذلك الحين ان الميثـــــاق لايمثل مرحلة تنتهى بعد استنفاد الغرض منها ، ولكنه يمثل حياة .. يمثل مبادىء مجتمـــع يمتد عبر المستقبل الطويل ..

ويبقى سؤال آخر يتردد حائرا فى بعض العقول ، ويعجز أحيبانا عن أن يعبر عن نفسه باللسان .. أو ربما لم يكن سؤالا .

انما هو مجرد تخيل ..

فبعض العقول تتخيل أن الرئيس جمال عبد الناصر عندما بدأ يكتب مشروع الميثاق ، وضع على يمينه صورة للمجتمع الرأسمالى ، ووضع على يساره صورة للمجتمع الشيوعى ، ثم حاول أن يجد بينهما مجتمعا وسطا .. لا هو رأسمالى ، ولا هو شيوعى !!

وبهذه الطريقة جمع بين الفلسفة الروحية والفلسفة المادية .

ووفق بين الملكية الفردية ، والملكية العامة .. وقضى على الاحتكار الرأسمالى ، وقضى أيضا على سيطرة الطبقة العمالية .

و .. و.. و..

وهذا تخيل خاطىء .. أو .. خيال مراهق ! فدراسة المذاهب والنظريات الاجتماعية ، ودراسة نظم المجتمعات الأخرى ، هى ثقافة كل مفكر اجتماعى .. وجمال عبد الناصر درس فعلا المذهب الشيوعى ، والمذهب الرأسمالى ، ودرس كل المذاهب الاشتراكية .. بل انى أعلم أنه قرأ كل دساتير العالم .. ولكن .. ليس معنى هذا أن جمال عبد الناصر عندما جلس ليكتب مشروع الميثاق ، كان كل همه تقديم محاولة للتوفيق بين الشيوعية والرأسمالية ، أو ايجاد حل وسط بينهما .

لا ..

ان نقطة البداية فى مشروع الميثاق ، هى تخيل صورة المجتمع الجديد الذى نبنيه ... وهو مجتمع قائم بذاته ، يستمد خطوطه من صميم طبيعتنا كشعب ، ومن صميم احتياجاتنا كمجتمع .. مجتمع لم يراع عند تخيله أو عند رسم خطوطه أن يكون وسطا بين الرأسمالية والشيوعية ، ولكن روعى فيه أن يستمد من أصول قائمة فعلا .. قائمة فى طبيعة الشعب ، وفى امكانياته ..

والاشتراكية عموما ليست موقفا وسطا بين الشيوعية والرأسمالية ، أى أن التفكير الاشتراكى لايمتد فى نهايته الى الشيوعية .. كما ان التفكير الرأسمالى لايمتد فى نهايته الى الاشتراكية .. انما هو تفكير قائم بذاته .. الاشتراكية تفكر لنفسها ، ولاتستمد تفكيرها من الرأسمالية أو من الشيوعيه .. ولاتقف فى الوسط بينهما .. انما تقف معهما .

واشتراكيتنا التى وردت فى الميثاق كما انها لاتستمد أصولها من محاولة التوفيق بين الرأسمالية والشيوعية ، فهى أيضا لاتنقل صورة من الاشتراكيات الأخرى .. لاتنقل صورة الاشتراكية الانجليزية ، ولا صورة من اشتراكية

السويد ـ اذا افترضنا السويد دولة اشتراكية ـ ولا صورة من اشتراكية الهند .. و.. و.. انما هي اشتراكية تعكس صورة مستمدة من واقعنا.

وربما الذي أثار الخطأ في فهم مشروع الميثاق لدى البعض ، فاعتبروه محاولة لايجاد حل وسط بين الشيوعية والرأسمالية ، هو أنه ميثاق ينص على اذابة الفوارق بين الطبقات سلميا .. ولكن .. هذا السلام ليس مقصودا به سلام بين الرأسمالية والشيوعية ، ولكن المقصود به هو التعايش السلمي داخل المجتمع الاشتراكي بين مختلف الطبقات الى ان يتم اذابة الفوارق بينها .. ومقصود به ان تتم صورة المجتمع الجديد بالتطور المصحوب بالدفع الثوري ، لاعن طريق حمامات الدم ، واقامة المذابح لطبقة من الطبقات ، أو لمجموعة من الأفراد ..

وأثار هذا الفهم الخاطيء أيضا ، أن الميثاق احتفظ للأسرة بملكية مائة فدان ، واحتفظ للقطاع الخاص بجانب من النشاط الصناعي والتجاري في الوقت الذي دفع فيه العمال والفلاحين الى المقدمة وأشركهم في الادارة والارباح .. فأثار هذا الوضع اعتقادا بأنه محاولة لارضاء الرأسمالية والعمال معا .. كلام فارغ .. فان الهدف ليس ارضاء أحد .. لا الرأسماليين ولا العمال .. ولكن الهدف هو بناء مجتمع جديد ، تتوفر فيه الكفاية في الانتاج والعدالة في التوزيع .. ومن أجل هذا وحده ، وضعت مبادىء الملكية ، مبادىء الادارة ، ومبادىء العدالة .

و ...

وأسباب التخيل الخاطيء كثيرة ..

والمهم أن نؤكد أن الميثاق ليس حلا وسطا بين الرأسمالية والشيوعية ولا محاولة للتوفيق بينهما ، انما هو صورة لمجتمع جديد مستمد من طبيعتنا وواقعنا ..

لماذا ؟

لماذا يجب أن نؤكد هذا المعنى ؟ لان الاحساس بالوقوف في الوسط ، أو الاحساس بمحاولة التوفيق ، يجعلنا عرضة دائما الى الانحراف ..

الانحراف ناحية اليمين ..

أو ..

الانحراف ناحية اليسار .. لان الوقوف في الوسط معناه انك تقف بين المذاهب بلا مذهب ..

والميثاق مذهب ..

وفلسفة ..

وايمان ..

لاوقوفا في الوسط ..



شعب الجزائر الثائر يستقبل عبد الناصر البطل الثائر

الوحـــدة العربيـــة

من خلال الميثـــاق

ناصر الدين النشاشيبي

مارست القاهرة فكرة الوحدة العربية ، وعاشتها ، ونادت بها ، ودعت اليها ، ونفذت أولى خطواتها ، قبل أن يظهر الميثاق فى ٢١ مايو ١٩٦٢ ..

وتجاوبت الشعوب العربية ، من المحيط الى الخليج ، مع دعوة القـاهرة الوحدوية ، ولبت نداءها ، وآمنت بشعاراتها ورأت طرقها وأهدافها ، وانطوت تحت الراية الواحدة ، قبل الواحد والعشرين من مايو عام ١٩٦٢ ، وقبل ظهور الميثاق ..

فالوحدة التى جمعت بين الأم القاهرة والأم العرب ، وأفراح القـــاهرة وأفراح العرب ، وانتصارات القاهرة وانتصارات العرب .. منذ ثورة ٢٣ يوليو الى صفقة الأسلحة .. الى تأميم القنال : الى العدوان الثلاثى الى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، الى بناء الجيش القوى ، واقامة المصانع الكبيرة ، واحتـــلال المقعد السامى بين أمم الأرض وقادتها ودولها .. كل ذلك ، كان حقيقة قائمة ، قبل ظهور الميثاق ، **وما الأيدى التى نسفت آبار البترول وانابيبه فى سوريـا اثر العدوان الثلاثى على بورسعيد ، سوى الأيادى التى آمن أصحابها بالوحدة ، قبل ظهور الميثاق . وما الآلاف التى مشت فى شوارع بغداد تستنكر العـدوان المذكور وتهتف بحياة القاهرة ، سوى آلاف مؤمنة بوحدة الهدف ووحدة المصير . وما عاش سكان الضفة الغربية فى الأردن على صوت القاهرة ، وعند أيامها ، ومع أعيادها ، وفى انتصاراتها ، يفرحون اذا فرحت ، ويرفعون الأعلام اذا احتفلت ويلبسون السواد يوم الانفصال .. سوى شعب مارس الوحـــدة تحت لواء القاهرة قبل صدور الميثاق ..**

كل ذلك جرى قبل أن يصدر ميثاق ٢١ مايو ١٩٦٢ .

ولكن سر الميثاق الكبير أنه حدد هذه المشاعر ، ونظمها ، وصهر قواها ، وأضاء لها الطريق ، وألقى التفسير المنطقى العلمى الواضح على كلمات الوحدة .. والاتحاد .. والمصير المشترك .. والتقدمية العربية .. والوسائل المضادة للوحدة .. والوسائل المؤدية اليها !

وما كان وجود هذا الباب ـ باب الوحدة العربية ـ ضمن أبواب الميثاق ، سوى الدليل أبلغ الدليل ، ان القاهرة ـ رغم كل شيء ـ رغم الجراح ‥ رغم خيانة الانفصاليين ‥ رغم دسائس المستعمرين ‥ رغم مسئوليات القيادة والتوجيه ‥ رغم ذلك وذلك ، مازالت وستبقى مؤمنة ، كل الايمان ،بالوحدة العربية ، عاملة لها ، سباقة بين شعوب العرب ، الى تنفيذها !

ففى مقدمة هذا الباب ـ التاسع من الميثاق ـ دلل الميثاق على أن الوحدة العربية لم تعد بحاجة الى أن تثبت حقيقة وجودها ، بعد أن امتلكت هذه الأمة وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الأمل ! واذا كانت خلافات بين الدول العربية فان الميثاق يستمد من تلك الخلافات برهانا يؤكد فيه وجود الوحدة لا انعدامها على اعتبار أن هذه الخلافات « **تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى ‥** »

أما من الجهة الايجابية ، فان الميثاق يرى فى « **التقاء القوى التقدمية على الأمل الواحد فى كل مكان فى الأرض العربية دليلا على الوحدة أكثر ماهو الدليل على التفرقة** » ٠

ويبحث الميثاق عن شعار الوحدة العربية كما يفهمها فيرى أن « وحدة الهدف » هى الشعار الوحدوى فى تقدم الأمة من مرحلة الثورة السياسية الى الثورة الاجتماعية ‥ مؤكدا أن الأمة العربية فى هذه المرحلة يجب أن تحشد جميع أمكانياتها وجميع خبرتها المستمدة من تاريخها الطويل بالاضافة الى ارادة هذه الأمه على التغير المطلوب ٠

ولكن الميثاق ، يعدد ويؤكد أن الوحدة ـ على عكس انواع أخرى من الوحدة فى التاريخ الأوروبى والأمريكى ـ لايمكن ولا ينبغى أن تكون فرضا أو اقتسارا ! بل ان القوة ـ كما يقول الميثاق ـ عمل مضاد للوحدة ، ضدها ، لامعها ولا لها ٠

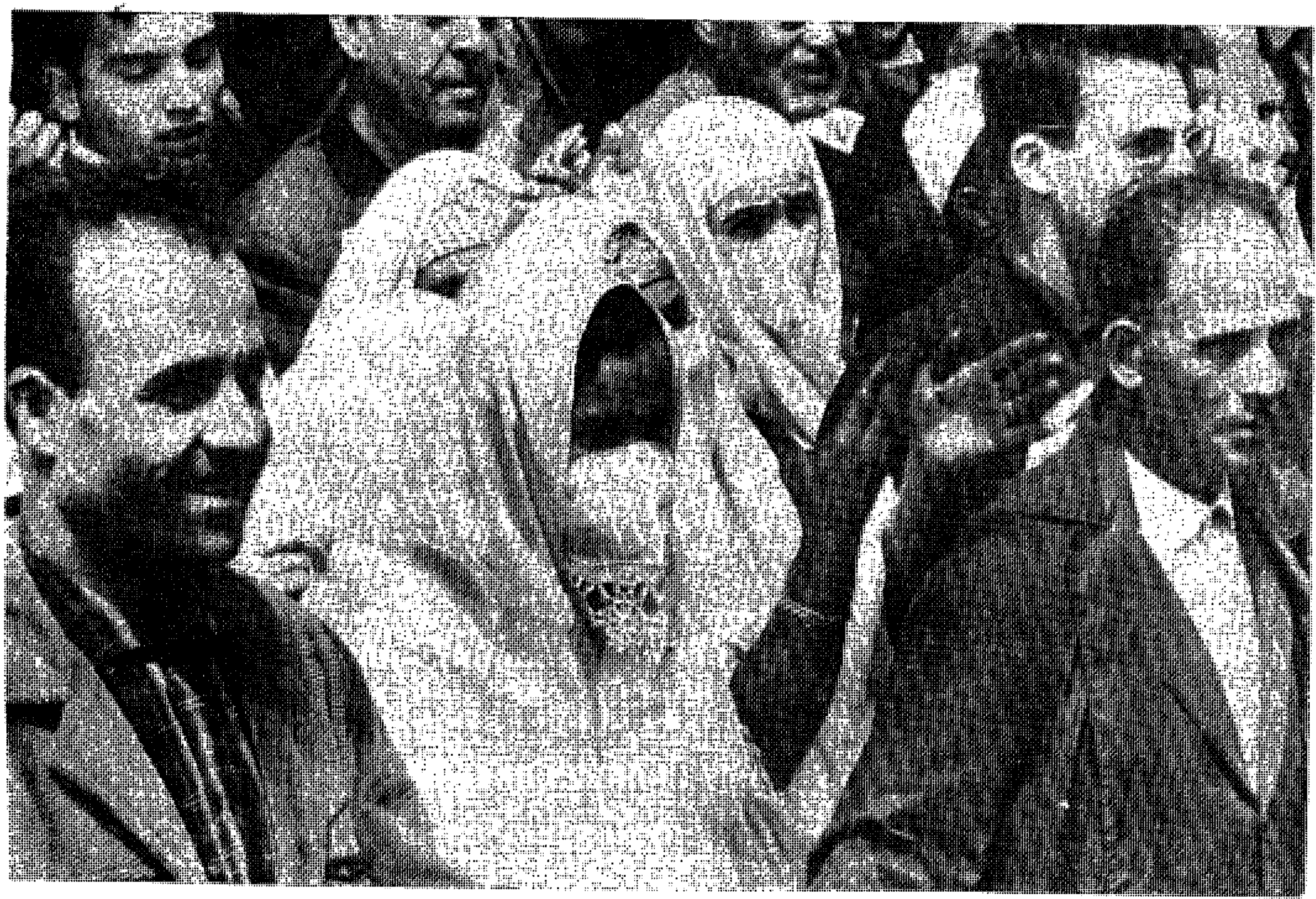
ولا يهم الميثاق أن يصر على شكل دستورى واحد لأية وحدة مطلوبة أو قادمة ٠ فالصورة الدستورية الواحدة تتضاءل أهميتها اذا قلنا ان مفهوم الوحدة عندنا هى كونها الطريق الطويل المتعدد الأشكال والمراحل ‥

كيف اذن تكون معالم طريق النظرة الصحيحة الى الوحدة ‥؟

ويرد الميثاق على هذا السؤال فيقول :

أولا : ان اية حكومة وطنية فى العالم العربى ، تنبع ارادتها من ارادة شعبها ، هى خطوة نحو الوحدة المنشودة !

ثانيا : ان أية وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل ارادة شعبين أو أكثر هى خطوة نحو الوحدة المنشودة !



حتى المرأة العربية في الجزائر شاركت في استقبال الرئيس عبد الناصر

واذا سأل أحدهم :

– وكيف تكون طبيعة العمل من أجل تنفيذ هذين الهـدفين السابقين ، أجاب الميثاق :

أولا : ان الدعوة السلمية هى المقدمة ٠

ثانيا : أن التطبيق « العلمى » للمفاهيم التقدمية هى الأساس ، مع عدم استعمال مراحل التطور تجنبا للثغرات والفجوات ٠

ثالثا : ان جهودا واعية يجب أن تفتح الطريق أمام التيارات الفكرية القادمة

رابعا : ان الجمهورية العربية المتحدة ، اذ تحرص على عدم الخوض فى السياسات والمنازعات المحلية فى الوطن العربى ، الا أنها ـ على ضـــوء ايمانها بأنها جزء من الأمة العربية ، لن تتردد فى أن تنقل دعوتها والمبادىء التى تعتنقها الى كل مواطن عربى !

خامسا : الجمهورية العربية المتحدة ، على ضوء ذلك تساند ـ بشعورها بالواجب ـ كل حركة شعبية ترى فيها انتصارا للمبادىء الأساسية التى تؤمن هذه الجمهورية بها ٠

سادسا : تفتح الجمهورية العربية المتحدة مجالات التعاون بين جميـــع الحركات الوطنية التقدمية فى الوطن الكبير ٠

سابعا : تؤيد القاهرة ، عاصمة الجمهورية ، وجود الجامعة العربية على أساس أنها « خطوة فى الطريق المطلوب ، وجزء يساهم فى تقريب يوم الكل »

وبعد ٠٠

لقد كانت « **الوحدة** » بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة ، حيـــاة ، ومعركة ، وثورة ، ومصيرا ، قبل أن تكون ميثاقا ! واذا كان للميثاق مهمة تنظيم هذه المعانى ، وصهرها ، وتقويم مفهومها ، وتوضيحها ، وبلورتها ٠٠ فان مهمة هذه السطور أن تنفذ الى هذه المهمة ، وتشرحها ٠٠

ومن هنا ، كان الايجاز الواضح فى هذا المقال ٠٠

فالفرق بين الوحدة كما عاشتها القاهرة منذ عشر سنوات ، والوحدة كما نص عليها الميثاق ، هو الفرق بين أن نسرد المجلدات فى دور القاهرة فى نفخ

روح الوحدة والقومية فى الدنيا العربية ، وبين أن نتقيد بتفسير وسرد نصوص الباب التاسع من الميثاق العظيم ..

وسواء كان الحديث عن الوحدة حياة ، أو الوحدة ميثاقا ، فان ثورة ٢٣ يوليو ، قد احالت حلم الأجيال العربية منذ مطلع هذا القرن فى الوحدةوجمع الشمل ، حقيقة قائمة .. قادمة !

.. بفضل الزعيم العظيم .

ناصر الدين النشاشيبي

حفاوة الميثاق بالعلم

للدكتور أحمد الحوفي

– ١ –

لقد كان من الطبيعي أن يحتفي الميثاق بالعلم ، وكان من الطبيعي أن تتكرر حفاوته بالعلم ، واشادته بآثاره في مواضع شتى .

وذلك أن الأمة التي تطور حاضرها ، وتبني مستقبلها العظيم ، لامندوحة لها من الاعتماد على العلم في التطوير وفي البناء .

والحق أن الثورة ليست مهمتها هدم الماضي الفاسد فحسب ، بل أن مهمتها الكبرى ترقية الحاضر ، وتشييد المستقبل .

واذا تخلت الثورة عن هذا الاهتداء بالعلم صارت صرخات تنفس بها الأمة عن كبتها الذي طال ، ثم تهدأ ، ولا تغير من واقعها المختل شيئا .

لهذا كان الميثاق صادقا في قوله « **ان العلم هو السلاح الذي يحقق النصر الثوري ، وهو وحده الذي يجعل التجربة والخطأ في العمل الوطني تقدما مأمون العواقب . وبدون العلم تصير التجربة والخطأ نزعات اعتباطية ، قد تصيب مرة ، ولكنها تخطيء عشرات المرات** »

– ٢ –

واذ كانت الأمم الناهضة تراجع ماضيها لتستنبط منه دروسا تهديها في حاضرها ومستقبلها ، فان مصر اذا ماقلبت صفحات تاريخها القريب تبينت أن يقظتها السياسية والاجتماعية كانت دائما مع اشراقة العلم .

فعلماء مصر كانوا ملاذ الشعب من جور المماليك والعثمانيين ، وعلماء مصر كانوا قادة الشعب في مقاومة الحملة الفرنسية ، وفي الثورات المتوالية على نابليون وكليبر .

وعلماء مصر الذين درسوا فى أوروبا عادوا الى وطنهم وقلوبهم عامرة بالعزم على انهاضه ، وهم الذين بذروا بذور التطور التى مالبثت أن تنوعت ثمارها بعد زمن قصير ، فانطلقت مصر فى خطاها بعد أن كبلتها قيود الجهل أحقابا ، واستهوى تقدمها أنظار المتطلعين إلى التقدم من جيرانها ، فوفدوا اليها، وانضموا الى أحرارها حتى صارت مصر منذ منتصف القرن التاسع عشر مصدر اشعاع للأفكار الحرة ، ومنبرا للاحرار من ثوار العرب .

وعلماء مصر هم الذين عبأوا الشعب فى مناصرة عرابى على الاستبداد والاستعمار ، فلما منيت الثورة بالانكسار خفت صوت العلماء حينا ، لكن لم يلبث أن انطلق مدويا ضد توفيق وضد الاستعمار ، حيث لاسلاح للعلماء والمتعلمين الا الكلمة منطوقة ومكتوبة ، لكنها كانت أقوى من سلاح الخصوم ، وأشد فتكا ، منذ جلجل صوت مصطفى كامل الى أن دوى صوت سعد زغلول .

وعلماء مصر هم الذين تزعموا الاصلاح الدينى والاجتماعى والفكرى والاقتصادى كمحمد عبده وقاسم أمين ولطفى السيد وطلعت حرب ، وعشرات من أمثالهم ، وضع كل منهم فى صرح النهضة لبنة أو لبنات .

— ٣ —

فماذا تبتغى مصر من العلم ؟

وماذا تريد من العلماء ؟

ولماذا علق الميثاق عليه الآمال ؟

الحق ان الآمال المنوطة بالعلم والعلماء آمال جسام ، لكنها ميسورة التحقيق اذا ماصحت النوايا وصدقت العزمات .

١ — فمصر تريد من العلم أن يطور حاضرها ، ويصنع مستقبلها على أحسن ماترتجى وتريد أمة ذات عراقة وطموح ، فى جد دائب وسرعة متقنة، ليعوضها عن التخلف الذى كبلها به الجهل ، فجرى العالم المتحضر المتحرر وهى تحبو ، وطار فى السماء وهى تسحف .

ومن الخطأ البالغ الخطورة أن تظل الغاية من التعليم تخريج موظفين للعمل فى مكاتب الحكومة ، بل لابد من أن تكون غايته تمكين الفرد من القدرة على تشكيل حياته ، وتمكينه من المساهمة فى تطوير حياته وحياة الامة .

وهذه الأمنية ، بل هذه الارادة تقتضى من كل عالم أن يجاهد فى مجال علمه ، مدفوعا بالغيرة المتحمسة ، لتحقق مصر فى زمن قصير ماحققه غيرها فى زمن طويل .



الرئيس عبد الناصر يسلم أحد المتفوقين جائزته فى عيد العلم

وتقتضي من رجال الجامعات والبحوث العلمية أن يكونوا طلائع تتقدم الشعب لتكشف له طرق الحياة الراقية •

وليس شك في أن النضال الوطني المعتمد على العلم الكاشف الهادي يستطيع ان يبدأ من حيث انتهى سابقوه أو من حيث كادوا ينتهون ، ولهذا يضمن لنفسه قوة انطلاق في أن يدرك ركبهم أو يسبقهم •

وفي هذا يقول الميثاق : « **لقد تخلفنا عن عصر البخار وعصر الكهرباء • ولقد كلفنا هذا التخلف كثيرا ، ومازال يكلفنا كثيرا ، مع أن ظروف القهر الاستعماري الرجعي هي التي فرضته علينا ، لكننا مطالبون الآن – وعصر الذرة يشرق فجره على الدنيا – نبدأ الفجر مع الذين بدأوه •**

ان الطاقة الذرية من أجل الحرب ليست هدفنا ، ولكن الطاقة الذرية في خدمة الرخاء قادرة على أن تصنع المعجزات في معركة التطوير الوطني •

٢ – تريد مصر من العلم أن ينال كل مواطن قسطا من الثقافة ، ترتفع بأفكاره عن مهاوي الجهل ، وتشعره بكرامته الانسانية ، وبقيمة النعمة الكبرى التي منحه الله اياها ، وهي العقل ، لأنها ثقافة نابضة بالقيم الجديدة ، عميقة في احساسها بالانسان ، صادقة في تعبيرها عنه ، تضيء جوانب فكره وقلبه ، وتحرك عزائمه الى نصرة الحق والحرص على الحق •

واذا ماكانت ثقافة ، وكان تعقل ، وكان تفكير صائب ، سلمت عقائد الشعب من الأباطيل ، وبرئت أعماله من التقليد الأعمى ، وصفت الأديان من غشاوات الأوهام التي خالطتها ، واستطاع الشعب أن يصوغ قيما اخلاقية جديدة مغايرة للقيم التي خلفها الماضي المستبد الجاهل •

ولاشك ان الشعوب تستمد طاقات روحية من مثلها العالية التي نصبتها الأديان السماوية ، أو نصبها ماضيها الحضاري العظيم ، فهي تستمسك بها وتعتصم في نهضاتها وتقدمها ، وفي صبرها على الشدائد ، وفي شجاعتها التي تتغلب بها على ما يعترض طرقها من عوائق وعراقيل •

ومن هنا كان العلم مطالبا بأن يعيد الى الدين صفاءه ، وان يغذي القلوب والعقول بالمثل العالية التي يدعو اليها •

واذا ماصدر الشعب في ارادته عن استنارة استطاع أن يحقق لنفسه ديمقراطية سياسية سليمة ، بعيدة عن تأثير الرجعية المستغلة وتسخير المال ••

٣ – **وتريد مصر من العلم تبصير الشعب بتاريخه** ، ليتبين معالم مجده التي حاول الاستعمار أن يطمسها في ركام أكاذيبه ، وليتبين جنايات الاستعمار على مرافقه وعلى أحراره •

ولقد عاشت مصر دهراً كان الاستعمار وأبواقه يسيطرون فيه على مناهج التعليم ، ويصبغونه بالصبغة التى تروقهم وتخدم أطماعهم ، فشوهوا مجدنا العربى والاسلامى وتنقصوا من أقدار عظمائنا وأبطالنا ، ولقنوا الطلاب تاريخ أعداء الوطن فى إطار مزخرف ، وتاريخ المستعمرين فى هالة من التمجيـــــد ، ورددوا على مسامعهم وعلى أنظارهم أكذوبة هى أن مصر لاتصلح الا للزراعة ، حتى كاد هذا الزعم يستقر فى القلوب من كثرة ترديده •

٤ - وتبتغى مصر من العلم أن تبتكر الوسائل لانهاض الصناعة ، لأنها الدعامة القوية فى صرح الاقتصاد الوطنى ، والوسيلة التى تنتج للوطن مايحتاج اليه من آلات ، وتيسر عليه تصنيع كثير من محصولاته ، على أنهـــا تستوعب مئات الألوف ممن ضاقت بهم الرقعة الخصبة ، وهى الى جانب ذلك كله تمد الوطن بالسلاح الذى يتقى به العدوان ، ويحمى مكاسب الثورة •

وان العلم ليستطيع أن يشكل من الصناعة قوة بناءة تتجاوب مع الخطط المرسومة المدروسة ، وتحقق الأغراض المقصودة ، لأن الصناعة لاتخضع لعوائق غير منظورة تصعب السيطرة عليها كما تخضع الزراعة والتجارة •

ويستطيع العلم أن يمد الوطن بالآلات الجديدة التي تكفـــل له تعويض تخلفه الماضى ، وان يكسب للصناعة المصرية مكانة ممتازة تستطيع بها أن تتقدم المنافسة فى الأسواق الافريقية والآسيوية •

ويستطيع العلم أن ينهض بالصناعات البحرية فى وطن يمتد مسـافات طويلة على بحرين يتوسطان العالم •

ويستطيع أن يبتكر الوسائل فى استغلال المناجم والمخبوءات التى تزخر بها التربة فى الصحراء الشرقية والغربية •

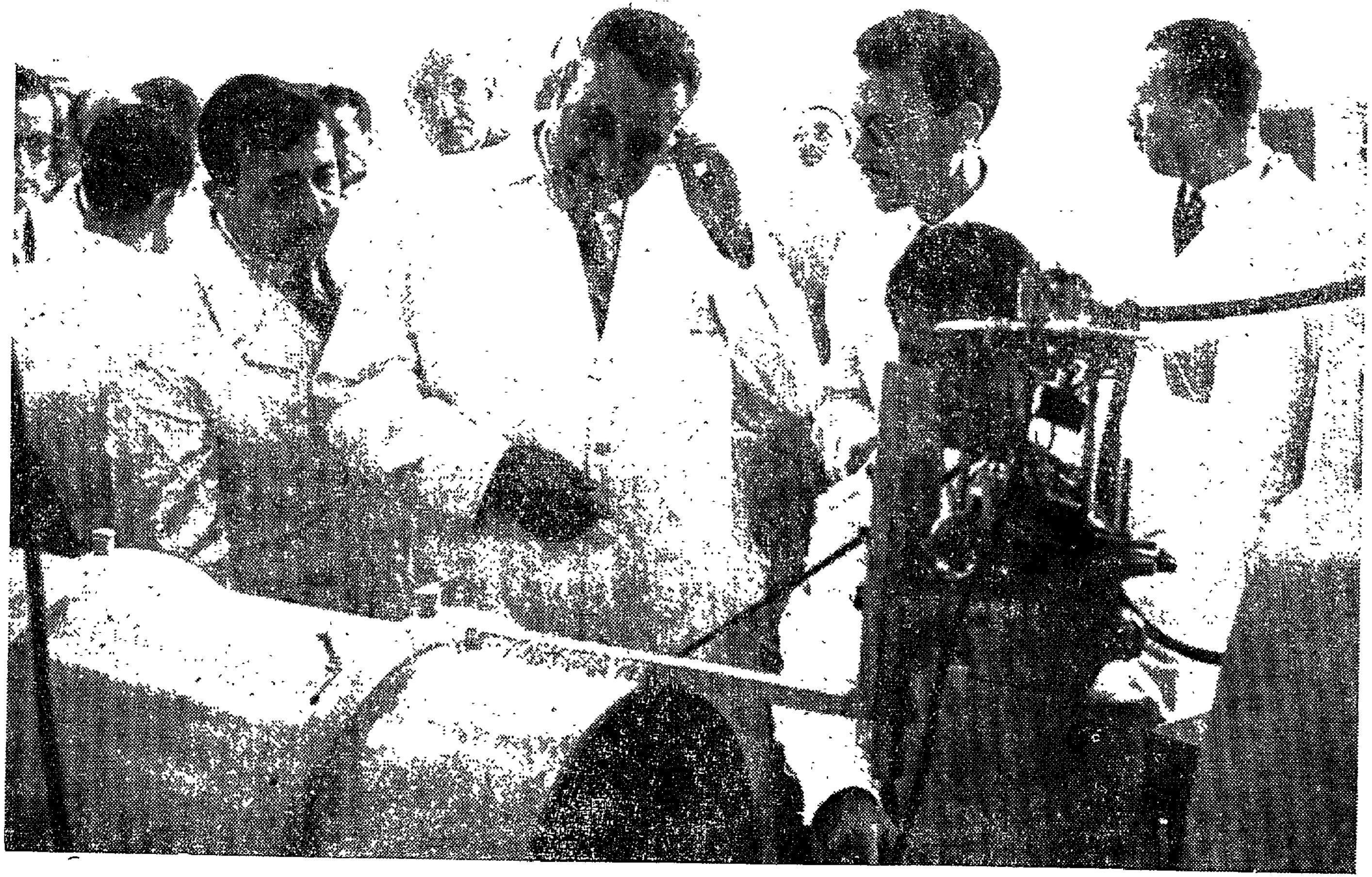
٥ - وتريد مصر من العلم تطويراً شاملا للزراعة •

واذا كانت مصر هبة النيل ، فان الثمرات هبة العمل • وقد تطـــورت وسائل الزراعة فى العالم المتحضر تطوراً كفل وفرة الانتاج ، وأرباح المنتج •

والمساحة المزروعة فى مصر مازالت كما كانت منذ مئات السنين ، مع أن سكانها تضاعفوا •

فلما قامت الثورة أرادت أن تعالج هذه المشكلة ، فسنت قانون الاصلاح الزراعى ، وشرعت فى بناء السد العالى ، وشجعت التعاون الزراعى وأصلحت مساحات من الصحراء •

لكن العلم مطالب بأنواع أخرى من الحلول •



فى الطاقة الذرية الرئيس يتفقد سير العمل بها

مطالب بأن يقهر الصحراء ، ويغزو البوار ، ليمـــد الخضرة على جانبى الوادى ، حتى تتحول كل قطرة من ماء النيل الى خضرة تنبض بالحياة والنفع .

ومطالب بأن يساعد على كثرة الانتاج الزراعى ووفرة الثمرات ، بالارشاد الى الطرق الصحيحة فى اعداد الأرض، وتغذية الزرع بالكيميائيات ، واستنباط أنواع جديدة من البذور ، ومحاربة الآفات الزراعية بالمبيدات .

ومطالب بان ينمى الثروة الحيوانية ، ومنتجات الحيوان .

ومطالب بالمساهمة فى نشر الصناعات الزراعية بالريف ، لشغل الأيدى العاطلة ، ولاستغلال كثير من الموارد والمحصولات التى يصيبها العطب والاهمال ..

ولا شك أن تصنيع الريف يرفع مستوى الفلاحين ، ويربطهم بالقرى ، فلا يهجرونها الى المدن المكتظة بالنازحين .

٦ ــ وتتطلب مصر من العلم أن يساهم نظريا وعمليا فى ارساء قواعد الاشتراكية والديمقراطية السليمة ، بتنوير الشعب كله ، لأن الثورة فى حقيقتها عمل شعبى وتقدمى ، لتحقيق الاشتراكية والديمقراطية ولا معنى للاشتراكية الا بتحقيق الكفاية والعدالة فى المجتمع .

ولا قيام للديمقراطية بغير سيادة الشعب ، ووضع السلطات فى يده ، لتحقيق أهدافه .

وليس من المستطاع ولا من المعقول أن يكون الحكم اشتراكيا ديمقراطيا فى شعب جاهل .

٧ ــ وتريد مصر من العلم القضاء على الفرقة المصطنعة التى افتعلها الاستعمار بين الشعوب العربية ، بما قسم من أقاليم وبما بث من فتن ، وبما أقام من حواجز .

وان العلم ليستطيع أن يساعد على تحقيق القومية العربية ، بايقاظ الوعى المستنير المقتنع بالأدلة العلمية ، وبالكشف عن أهدافها السامية ، لتسترجع الأمة العربية وحدتها وقوتها وعزتها .

وتريد مصر من العلم القاء أضواء على المشكلات العالمية ، وتسليط الأضواء على مشكلات آسيا وافريقية ، وبث الأفكار الداعية الى السلام وعدم الانحياز .

٨ ــ ثم تريد مصر من العلم انارة الطريق للنقد النزيه البناء ، المنبعث عن رغبة صادقة فى الاصلاح ، لأنه يرشد العاملين الى تصحيح اوضاع ينبغى أن تصحح ، ولأن اخفاق الحقائق او تجاهلها تعود اضراره على الشعب المناضل الطموح .

الميثاق والأسرة

الأستاذة مفيدة عبد الرحمن

« الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » .

انه من الأحداث الهامة — لا اقول في شهر مايو سنة ١٩٦٢ ولا في عام ١٩٦٢ ، بل في القرن العشرين جميعه : صدور الميثاق الوطني واذاعته في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ .

ومنذ صدور الميثاق ، دأب الكتاب والمفكرون في تبيان مزاياه وما اشتمل عليه من توجيه وارساء أسس العدالة والكفاية بما يجعل أمتنا العربية الكريمة في مقدمة أمم العالم أجمع .

وقد عنى الميثاق في مقدمة ما عني به : نظام الأسرة وأسباب حمايتها ، لأن في حماية الأسرة ، حماية للمجتمع كله ، وتأصيل للرقي ، وتأسيس للرفعة المنشودة ، بل وباعث على النهوض بالوطن جميعه اذ وطننا ما هو الا مجموع الأسر التي تعيش فيه .

يقول الميثاق : « ان الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع ولابد ان تتوافر لها كل اسباب الحماية التي تمكنها من ان تكون حافظة للتقليد الوطني ، مجددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطني » .

والميثاق حين ذكر ذلك ، فانه لم يذكره الا بعد أن عالج كل المقدمات المؤدية الى حفظ ذلك النظام وتقويمه والنتائج المترتبة عليه .

فقد تكلم في « حرية رغيف الخبز » وهي كلمة لها معناها ومرماها ، فمن حرية رغيف الخبز تنبثق حرية الرأي وحرية الفكر، بل لا أكون مغالية اذا قلنا ان منها تنبثق سائر الحريات .

كما تكلم الميثاق كذلك عن « حل مشاكل الشعب » وانها يجب أن تستمد من تجاربه الشخصية ، نابعة من جذوره الأصيلة لا من تجارب الشعوب الأخرى وان مصير الشعب العربى ، بل الأمة العربية يتقرر هنا فى عاصمة الأمة العربية لا فى العواصم الأجنبية ولا على موائد المؤتمرات الدولية أو فى قصور الرجعية المتحالفة مع الاستعمار البغيض فلابد لذلك كله أن تحل مشاكل الشعب على أسس بيئته ونشأته وحضارته واحتياجاته ..

فالميثاق قد عنى أول ما عنى بالأسرة وكيانها فوفر لها كل أسباب الهدوء والاستقرار والرفاهية حتى تعمل وحتى تنتج العمل والانتاج الموفور الذى يركز دعائم الاقتصاد الوطنى والذى يوفر العمل للجميع فلا يحس المواطن أنه انما يعيش عالة على وطنه الحبيب ولكنه يعطى ليأخذ ، يعطى جهده وعرقه وحبه واخلاصه ، بل ودمه لوطنه ، ليأخذ الصحة والمعرفة والثقافة والعلم والعمل والكرامة ، بل والفخر .

وقد تكلم الميثاق كذلك عن « خلق نوع من التكافؤ الاقتصادى بين المواطنين » مع زيادة كفاءة القطاع العام الذى يملكه الشعب لتستطيع بذلك الأمة أفرادا وجماعات ان تصوغ فيها اخلاقية جديدة لاتؤثر عليها القوى الضاغطة المتخلفة من تلك العلل التى عانى منها مجتمعنا زمانا طويلا .

وانه مما لا شك فيه ان الأسرة اذا ما توفرت لها أسباب الحماية تمكنت من ان تكون مجتمعا صالحا متحررا .

واذا ما قال الميثاق الوطنى « أسباب الحماية » فانما يعنى بذلك أسباب الحماية من الجوع والمرض والجهل والخوف اذ أن هذه الأسباب ان أصيبت الأسرة ببعضها فانما يدب فيها الخور والانحلال والضياع ، وهذا ما جاء الميثاق للقضاء عليه ، للقضاء على عوامل الهدم وتثبيت أركان البناء وتشييده على أسس من الخلق والعلم والوعى .

ويمكن أن يقال بحق ان الميثاق ما جاء الا من أجل الأسرة ، جاء ليرفع من شأنها ويأخذ بيدها لتقوم هى بدورها البناء الفعال فترفع من شأن وطنها وتقيم صرح البناء الشامخ الذى نأمله جميعا ، فلزم لذلك ان تتوفر أسباب الحماية للاسرة فيكفل لها :

أولا — حق الاسرة فى الرعاية الصحية .

ثانيا — حق الأسرة فى العلم بقدر ماتحتمله مواهب افرادها واستعدادهم

ثالثا — حق الأسرة فى العمل الذى يتناسب مع افرادها وكفايتهم ودرايتهم بل وخبرتهم .

رابعا ـ تأمين افراد الأسرة ضد الشيخوخة وضد المرض •

والميثاق بتأمينه الأسرة وتدعيمها بكل هذه الضمانات والكفالات ضمن قيام شعب وأمة واحدة ساعية الى الأمام فى البناء والرقى •

وقد استوحى الميثاق كل هذا من صلب الدين ومن التشريعات الالهية المحكمة التى سنها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده وألزم بها من استخلفهم على أرضه •

فمن بدء الخليقة خلق الله تعالى آدم ووفر له سبل الهدوء والعيش وكفاه مؤونة المأكل والمشرب والملبس ، فقال جلت قدرته :

« ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لاتظما فيها ولا تضحى »

ونخلص من ذلك أن الميثاق قد جاء مهتديا بما أمر به الله عز وجل وسنه لعباده •• فآن للاسرة التى عانت شظف العيش والذلة والمهانة والمرض والهوان أن تسعد وتنعم بالصحة والعافية وتنهل من مناهل العلم ما شاء لها أن تنهل وأن تقف مرفوعة الرأس موفورة الكرامة بين شعوب العالم أجمع اذ قد سمع صوتنا عاليا بعد أن أزحنا عنا كاهل الاستعمار وقضينا على أعوانه من الانتهازيين والرجعيين وأصبحنا نسامى الدول العظمى بل ـ **والله** ـ نفوقها فى التمسك بقوميتنا وعروبتنا ومثلنا العليا •

وقد شمل الميثاق وأكد حق الأسرة التى هى عماد المجتمع فى الحياة الكريمة وجعل الصدارة فيها للعامل والفلاح بعد أن أحس انهما قد حرما على مر الأجيال وهما الكادحين العاملين ، حرم العامل والفلاح من حق الحياة ، من حق التعلم ، من حق العلاج ، بل ومن حق العمل •• أما الآن فهو السيد الذى يشارك رب العمل فى الانتاج حتى يحس أنه هو شريك حقا فى العمل حتى يحرص على الشركة ويعمل على ازدهارها ونموها فأصبح كائنا حيا بعد انكان كمية مهملة لا يقام له وزن أو حساب ، وكذلك الشأن فى الفلاح •

فالأسرة فى المجتمع هى قوامه وعدته ••

وأكد الميثاق انه لابد من تعديل القوانين وتطورها حتى تسير جنبا الى جنب مع تطورنا وتقدمنا وها نحن نجد لجان تعديل القوانين ومنها لجنة قوانين الأحوال الشخصية التى تعمل جاهدة لتوفر للأسرة الحياة السعيدة الهادئة الهانئة المتماسكة التى يحنو افرادها بعضهم على بعض وبذلك نخلص الى مجتمع متماسك متفان فى الحرص على صالحه وصالح افراده •• فالأسرة السعيدة هى عماد الوطن السعيد •

كما أكد الميثاق كذلك كفالة الرعاية الصحية لكل مواطن وبالتالى للاسرة وقد قامت الدولة بوضع الأسس المدروسة لخطط التنمية والخدمات على ضوء

الاحصاءات الرسمية السليمة مما يكفل للاسرة الحق فى العلاج فيجد فيه المريض مكانه بالمستشفى وعلاجه ميسرا سهلا فنضمن بذلك استقرار الأسرة صحيا ليتفرغ أفرادها للعمل المثمر المنتج الذى تتطلبه البلاد ما دام قد سعد وتمم بصحة كاملة بعيدا عن العلل والأمراض التى فتكت بالأسرة زمنا طويلا •

وكذلك أكد الميثاق حق المواطن فى العلم فاصبح مشاعا للجميع وبدون مقابل حتى لا يحرم منه مواطن •

وبعد ان كفل الميثاق حق الفرد فى الحياة الكريمة وحقه فى العلاج والعلم وفر لكل مواطن حق العمل بل أوجب عليه العمل اذ لاحياة الا لمن يعمل فاصبح للفرد حق العمل الذى يتناسب مع كفايته واستعداده •

وما دام قد أصبح للاسرة كل هذه الضمانات وتكفلت الدولة فى الميثاق لسائر المواطنين العيش الرغد الكريم والرعاية الصحية الكاملة والتعليم بسائر درجاته وجب على كل مواطن أن يقابل هذا بالحرص على صالح الوطن الذى تستظلنا سماؤه الصافية •• وتكلؤنا ارضه الغنية فلا نألوا جهدا الا وبذلناه ساعين الى الخير عاملين فى اخلاص وحب وصفاء لرفعة وطننا الغالى متقربين بذلك الى الله سبحانه وتعالى الذى قال فى كتابه الكريم :

« انى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض » •

مضيه عبد الرحمن

الطريق الثورى

الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

١ ـ الميثاق تعبير جماعي عن ارادة الشعب العربى فى حياته الجديدة ، يصور ما يأمل أن تكون عليه الأمة العربية في جميع النواحي ، سياسيـــة كانت أم اجتماعية ، أم اقتصادية ، أم ثقافية ، أم فنية .

انه قصة كفاح ، وطريق عمل ، وأسلوب حياة ، ومذهب فكر .

قصة كفاح الشعب العربى فى نضاله مع قوى الاستعمار والرجعية ، كتب فصولها بدماء الشهداء وعرق المكافحين جيلا بعد جيل ، حتى بلغ الأوج فى ثورة يولية ١٩٥٢ ، ليرفع الستار عن فصل جديد يتميز بطريق للثـــورة جــديد .

لقد اتخذ الشعب العربى منذ ذلك التاريخ لنفسه فلسفة جـديدة فى الحياة شعارها التقدمية ، ودخل فى سباق مع الزمن ، وصمم ان يصنـــع بيديه تاريخه ، ينسج خيوطه من العرق والدماء ، ويسطر حروفه بعصارة الفكر الوضاء .

وعندئذ وقف وقفة قصيرة بعد عشر سنوات يستعرض الخطوات التى خطاها فى طريق الثورة ، ويحاسب نفسه ماذا صنع ، والى أى مـــدى بلغ فى مراحل الشوط ، ويتحفز الى وثبة اخرى تدفعه الى الامام ؟.

وأهم من ذلك كله فى قائمة الحساب ، وتتبع الخطأ والصواب ، أسائر هو فى الطريق الصحيح الموصل الى الأهداف ، أم انحـــرف الى مسارب جانبية ، قد تدفعه الى التكوص والرجعية ، فتصرفه عن الغرض ، وتبـــدد ماانطلق من طاقات العمل ، وتطفىء ما اشتعل فى نفسه من نور الأمل .

ولقد رأى الشعب العربى بعد ان سدد قوائم الحســـاب أن الطريق الثورى الذى فتح ابوابه هو طريق الأمل وسبيل الحياة ومطية التقدم فكتـــب على نفسه العهد فى الميثاق ان :

« الثورة هي الطريق الوحيد للنضال العربي »

الطريق الثوري هو الباب المفتوح نحو كل تقدم الى الامام •

ان الطريق الثوري هو منهج الفكر واسلوب الحياة في فلسفة العروبة التقدمية •

فلا غرابة أن ينقطع الباب الأول من ((**الميثاق**)) الى تفصيل القول في هذا الطريق • ووصف الخطوات التي يجب على المرء ان يسلكها للسير فيه ، وبيان الفرق بين هــذا الطريق وبين أساليب الفــكر والحيــاة والمنطق التقــليدية •

واذا كان الميثاق فلسفة تعبر عن العروبة في مرحلتهــا التاريخية الحاضرة ، وكانت الفلسفة اما منهجا واما مذهبا ، أو قل انها منهج يوصــل الى مذهب ، ففلسفة ((**الميثاق**)) هي الثورة منهجا ، والتقدمية مذهبا

٢ — ولقد حتمت الظروف ان يتخذ العرب هذا الأسلوب الثوري ، وهي التي فرضته فرضا عليهم ، لانه منطق الحياة أولا والمنطق المســتمد من تاريخهم ثانيا •

انه منطق يعتمد على تراث العرب المستمد من طبيعة الاسلام ، بحكم امتزاج اللغة بالدين منذ نزول القرآن • وقد نهضت الحضارة العربية وامتدت شرقا وغربا ، واتسعت لشتى العلوم والفنون ، منذ أن نفخ في روحها الدين الجديد وما ينطوي عليه من حرية فكر ، واعتماد على العقل ، وجمع بين زينة الحياة الدنيا وسعي الى الآخرة ، مع نبذ التقاليد البالية والعقائد الفاسدة ، مع النظر الى الناس كافة دون ايثار أعجمي على عربي الا بالتقوى ، أو تفضيل شخص على آخر لطبقته أو رتبته وعلى الجملة •• **التسوية بين الناس على اساس واحد •• هو الايمان والتقوى •**

وهذه كلها مبادىء جديدة تعد ثورة كبرى في تاريخ الانسانية ، وحــدا فاصلا بين عهود الاستعباد في الماضي ، ومرحلة التحرير والتقدم في المستقبل •

كانت الانسانية منقسمة فريقين ، السادة والعبيد ، وأصبحت بعــد ذلك فريقا واحدا ذابت فيه الفوارق بين الطبقات • ومن ثم ، بعــد أن كان هناك نوعان من الفكر الأول يتلاءم مع طبقة السادة ويمتاز بالنظر المجرد ، والثاني يتفق مع الجمهور والعامة ويتسم بالعمل والخضوع لما يشرعه ارباب النظر ، كان لابد من ابتداع منطق جديد لاينفصل فيه النظر عن العمل • ولا يعمل لمصلحة طبقة دون طبقة •

ومن مصلحة الطبقة صاحبة النفوذ والسلطان ، وهي عادة فئة قليلة ، أن تستقر الأمور ، وتثبت الأوضاع ، ولايتحرك الجمهور للمطالبة بحقــوقه المغصوبة وعلى رأسها الحق في الحياة الكريمة • ولذلك كان منطق الســادة

منذ ان ابتدع المنطق وظهر علما مستقلا على يد ارسطوطاليس منطق «ثبات» لا منطق حركة . انه منطق مستقر ، لا منطق ثورى ، انه منهج للتفكير يتلاءم مع المتربعين على عرش السلطان ينظرون الى جماهير الشعب نظرهم الى عبيد يسخرونهم لمصالحهم ، لامنهج حياة يتفق مع مطالب الملايين الغفيرة من الناس ، ويحقق للانسانية ما تبغى من تقدم ورفاهية .

ومن هنا كان منطق الاسلام فى طبيعته مغايرا لمنطق اليونان .

وهذا الطريق الثورى الذى جاء مع ظهور الاسلام هو الذى احدث الهزة الكبرى فى تاريخ العالم ، وحفظ تراثها من الضياع ، وتقدم بالبشرية كلها ما يقرب من عشرة قرون من الزمان .

ان الجمود وقوف عن السير الى الأمام ، فلا تلبث الجماعات بعد جمودها وتوقفها عن الحركة أن تتأخر عن الركب وتتخلف عن النمو والتطور .

ولا بد للمسير من قوة دافعة ، وللحركة من محرك .

اما النظار ، فانهم يجلسون على عرش الفكر ، لا يتحركون ، بل يتفرجون على الذين يتحركون ، فلا يحسون باحساسهم ، ولا يشعرون بآمالهم وآلامهم . فلا عجب أن يكون منهجهم فى الفكر والحياة هو منهج « المتفرج » .

وأما الجمهور ، وبالإصطلاح الحديث « الشعب » ، فانه يعمل ، ويتحرك ، ويسير ، ويجرب ، ويحس ، ويتالم ، ويضحك ويبكي عن خبرة فى الحياة . ومن هنا كان منهجه منهجا حيا ، متصلا بالحياة نفسها ، التى تمتاز بالحركة والتحرك ، والتغير . ولابد أن يكون هذا المنهج « متحركا » حتى يتلاءم مع الحركة التى يجرون فى دولابها ، ولا بد أن يكون هناك « دوافع » ، و « محركات » تدفعهم الى الحركة والسير والنمو والتطور والتقدم .

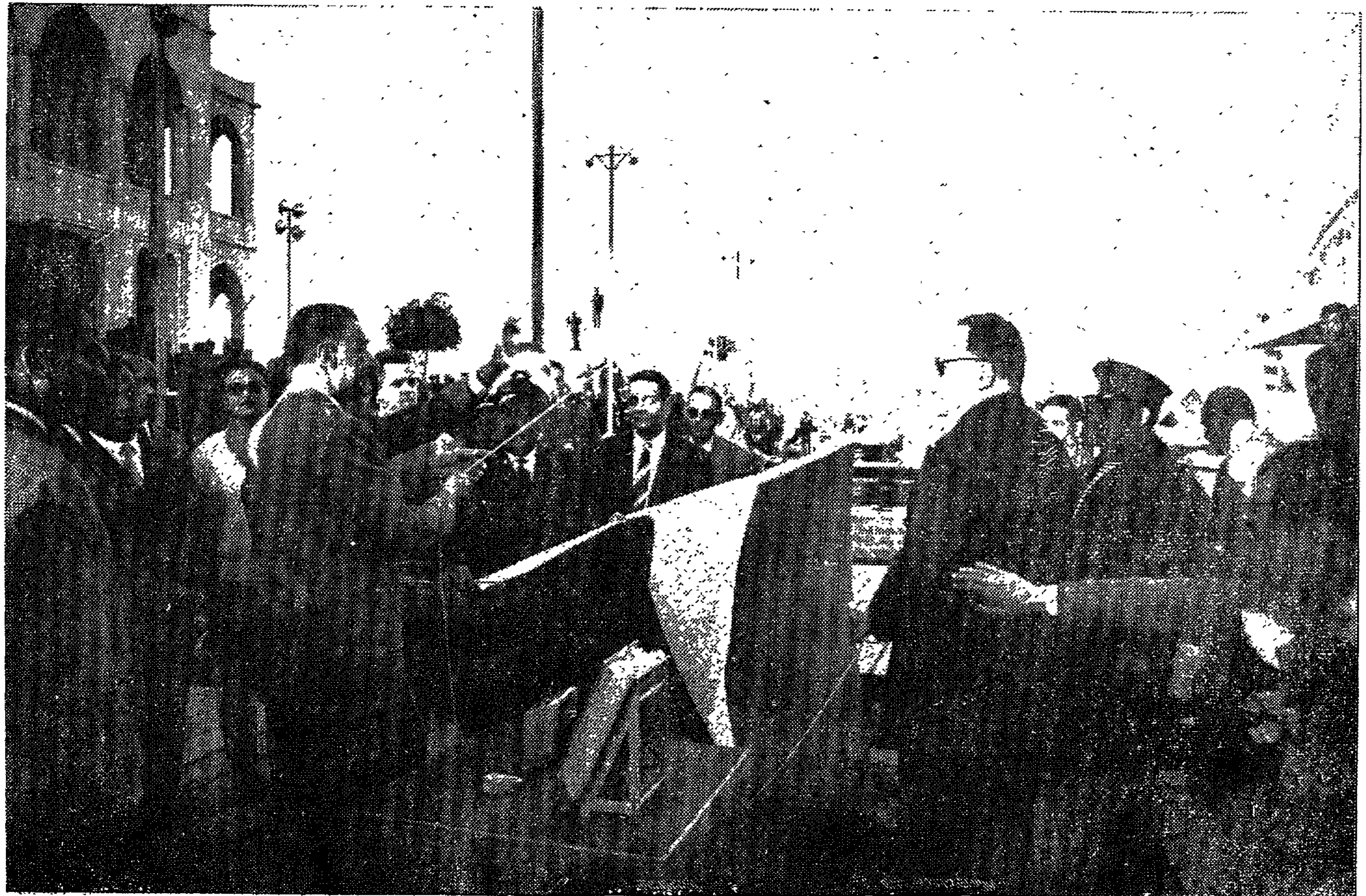
وكل محرك فهو قوة دافعة .

وكل قوة دافعة فهى دينامية .

والدينامية فى الحركة الانسانية ، والتقدم الاجتماعى ، ليست كالدينامية المحركة للأجرام السماوية ، أو الآلات البخارية المتحركة ، ولكنها دينامية حية تشبه تلك التى تدفع النبات والحيوان من باطن الى النمو .

وهذه الدينامية الحية تمتاز بوثبات تسمى فى النشاط الانسانى ثورات ، بل انها ثورات مستمرة متصلة ، ولولا ذلك لبطل الكائن الحى عن النمو .

كذلك الحراك الاجتماعى فانه الى هذه الثورات أحوج .



السيد الرئيس يرفع علم الجمهورية العربية المتحدة على القناة

وكلما واجه المجتمع حقيقة تاخره عن المجتمعات الأخـــرى ، وأحس بتخلفه ، وشعر بأنه مستغل مستعبد ، سواء أكان هذا الاستغلال من شعب آخر في صورة من صور الاستعمار ، أم كان من طبقة تسـتعبده لمصلحتهـا الخاصة ، نهض يثور على هذا الوضع ، ويتحرك لتغييره ، ويسير نحو حيـاة كريمة افضل .

ومن هنا كان لابد له ان يسلك الطريق الثورى .

ولا سبيل له الا ان يمضى فى هذا الطريق .

انه طريق الحركة الايجابية ، لا طريق الوقوف والثبات والسلبية .

ولهذا الطريق بداية ووسط ونهاية ، كالحال فى كل طريق .

وبداية الطريق ان يتخلى **الشعب** فى تفكيره عن التقاليـــد البالية ، والرواسب المعطلة لحركته ، والسلبية التى تحد من نشاطه ، حتى يبـــدأ بداية جديدة نظيفة من كل شائبة ، بريئة من كل باطل فاسد .

وهذا مافعله الشعب المصرى فى قصة ثورته التى حكاها « الميثاق » فى بابه الأول حيث يقول :

« الشعب المصرى أدار ظهره نهائيا لكل الاعتبارات البالية التى كانت تبدد قواه الايجابية .

وداس باقدامه على كل الرواسب المتخلفة من بقايا قـــرون الاستبـداد والظلم .

واسقط جميع السلبيات التى كانت تحد من ارادته فى اعادة تشكيل حياته من جديد »

ان رسوخ التقاليد جيلا بعد جيل يكسبها منزلة من القداسة والثبات تجعل الناس تتمسك بها ولا تبغى عنها حولا أو بها بديلا . **ولذلك نعى الله فى قرآنه على القائلين بأنهم وجدوا آباءهم على هذه الأحوال** ، وأمرهم بالنظـــر الحر بعين العقل لتبين الصالح من الفاسد ، حيث يختلط الحابل بالنـــابل ، ويعز التمييز الصحيح . والبناء على أساس سليم .

وعندما أراد الفيلسوف « **ديكارت** » ان يضع للناس منهجـا جـــديدا للفكر » ضرب لهم مثلا بسلة مملوءة بالتفاح فيها السليم وفيهـــا الفاسد ، فكيف السبيل الى تمييز السليم اللهم الا بأن نفرغ السلة كلها ثم نمتحـن التفاح واحدة واحدة فلا نقبل الا ما كان صحيحا . كذلك العقـــل مملوء بالأفكار التى تختلط فيها الصحيحة بالفاسدة ، ولا سبيل الى تمييز الصحيح **الا لتفريغ العقل مما فيه من أفكار ، ثم امتحانها بعد ذلك فكرة فكرة .**

ونحن فى مرحلتنا الحاضرة فى حاجة ـ بالنسبة الى مخلفات الماضى البالية وتقاليده العتيقة ـ الى شيء شبيه بذلك ، ان نلقيها كلها جانبا ثم نأخذ فى امتحانها .فلا نسمح الا بقبول ماكان موافقا لصريح العقل ، ملائما للحياة فى العصر الحاضر ، عصر العلم والتقدم الذى بلغ حد استخدام الذرة فى اغراض السلم والحرب ، عصر غزو الفضاء .

٣ ـ تغيير الطريق اذن ضرورة لا مناص منها حتى يلحق الشعب العربى بالتقدم الهائل فى اساليب الحياة .

ولا مناص من اتخاذ هذا الطريق الثورى لأنه السبيل الوحيد الى بلوغ الهدف .

ولكن السير فى هذا الطريق يحتاج الى قوة دافعة كبيرة ، تكافىء الرغبة فى اللحاق بالأمم المتقدمة ، والتى لا تزال تتقدم ، وتتفق مع المسافة الطويلة بين مابلغته الشعوب الأوروبية فى القرون الثلاثة الأخيرة ، وما عليه الشعب العربى فى حالته الراهنة ، وهى مسافة لانزاع أنها كبيرة .

ان القوى الدافعة للأفراد والشعوب ليست من قبيل الطاقات المادية ، كالبخار او الكهرباء أو الطاقة الذرية ، واكنها قوى روحية معنوية ، تسمى فى الانسان بالارادة والعزم والتصميم .

وهذا أول مايفصل بين المنطق التقليدى وبين المنطق الثورى .

فالمنطق التقليدى عبارة عن مقدمات اذا وضع بعضها الى جانب بعض لزم عنها نتائج بالضرورة . وهذا ضرب من التفكير الثابت . **أما منطق الثورة** فهو منطق متحرك ، يحتاج الى قوة دافعة تنقل الأفكار من مقدماتها لتصل بها الى نتائجها . ومن اجل ذلك لا بد لهذا المنطق من تدخل العزم والارادة ، أى الأخذ بالاعتبارات النفسية والاجتماعية الى جانب النظر الفكرى المجرد .

وكلما كانت الارادة قوية ، وكان العزم صادقا ، استمر الشعب فى طريقه الثورى ومضى الى آخر الشوط ، حتى اذا بردت نار الارادة ، وخمدت شعلة العزيمة ، اخذ السير يبطىء شيئا فشيئا حتى يتوقف . ولذلك كانت ارادة الشعوب فى حاجة دائمة الى وقود يشعلها ويدفعها الى الاستمرار فى الاشتعال .

ان الزيت الذى توقد به نار الارادة مزيج مركب من عناصر مختلفة لا يكفى عنصر منها وحده لتحريكها .

فالارادة الشعبية فى حاجة الى ايمان وعقيدة ، وثقة بالنفس ، والتقاء ارادات الأفراد وتوافقها ، وقيادات مخلصة مستنيرة ، ومناقشات حرة لتبادل الآراء تنتهى بالاقتناع عن دليل ، وتفضى الى رسوخ العقيدة .

ان السر في تمسك الشعوب بالتقاليد القديمة على الرغم من فسادهـا وعدم مسايرتها للظروف الجديدة هو تغلغلها في النفوس حتى تبلغ جذورها الأعماق فيصعب بعد ذلك اقتلاعها لشدة تأصلها ، وعمق الايمان بها .

فالايمان بالأفكار ضرورة لا بد منها للعمل بها ، كل ما في الأمر أننا نطالب بالايمان البصير المؤيد بنور العقل لا ذلك الايمان الأعمى الذى يقـوم عـلى التعصب والهوى .

والايمان ضروري من جهة أخرى لأن الطريق الثورى مجهول ، ومستقبله غيب ، وهو الى ذلك محفوف بالمخاطر غير مأمون العواقب .

فمن ذا الذى يضمن النجـاح ،ويشـق حجب الغيب للاطـلاع على المستقبل ، سوى الله تعالى ، الذى أمر الناس بالاعتماد عليه ، والتمـاس العون منه ، والايمان به ، بشرط أن يعمل المرء بما يتفق مع الخير ، وأن يسير في طريق الصلاح .

ان الطريق الثورى كما قد يحطم كل شيء ، ويخربه ويهدم ، ويهلـك الحرث والزرع ، ويسفك الدماء البريئة ، ويشيع الشر والفساد ، كذلك قد يبنى كل شيء ، ويخلق ويبدع ، ويقيم العمران ، ويشيع العـدل ، وينشر الخير ، ويمضى في سبيل البناء والاصلاح .

وطريق العروبة الذى آثرت ان تسلكه وعقدت عليه العهد والميثاق هو الثورة البناءة التى تشيد الحضارة والعمران في مستقبل محفوف بالخطر ، ضارب في صميم الغيب .

ان ايمان الشعب العربى بالله ايمان بالغيب ، لأن الذين يؤمنون بالغيب ثم يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ، على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون ، كما جاء في محكم التنزيل .

وقد فطن « الميثاق » الى اهمية الطاقة الروحية كقوة دافعة محركة ، فجاء في آخر الباب الثامن « ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع ان تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة ، كما انها تسلحها بدروع من الصبـر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصـاعب والعقبات » .

وليس هذا المبدأ جديدا على فلسفة العروبة ، كـل ما في الأمر أنه صيغ بأسلوب حديث يستخدم المصطلحات العلمية الحديثة كالطاقة وغيرها. ذلك ان الله هو القائل في كتابه :

« يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقـوا الله لعلـكم تفلحون » .

فالإرادة الصادقة التى تحتاج اليها الشعوب فى بناء حضاراتها لابد فيها من هذه الأمور الأربعة وهى الصبر ، والمصابرة ، والمرابطة ، والتقوى . وهذه عوامل نفسانية واجتماعية وأخلاقية ودينية كلهـا تجتمع لصالح الانسان .

ويحتاج صدق الارادة ، وصحة العزيمة ، الى الثقة بالنفس

ان الثقة بالنفس أساس كل نجاح ، وشرط كل عمل انسانى خلاق . وهى أساس الصبر ، وعماد المصابرة والوقوف أمام التحديات من كل نوع سواء أكانت صادرة عن بشر يحاولون استعباد غيرهم واستغلالهم ، أم كانت تحديا طبيعيا . والطبيعة التى يعيش الانسان فى وسطها ليست كلها خيرا ، لأن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ولكن الانسان ينتزع خيرات الطبيعة انتزاعا بتسخيرها والسيطرة عليها وفهم اسرارها وتوجيه هذه الأسرار لمصلحته ، بشق الترع ، وبناء السدود ، والغوص فى باطن الأرض بحثا عن المعادن وغير ذلك من الفنون والصناعات التى تحتاج الى الصبر والمصابرة والجهاد ، فالثقة بالنفس وراء كل عالم كبير ، أو قائد عظيم ، أو شعب راق .

ولا مراء فى أن ارادة الشعوب اقوى من ارادة الأفراد . **كما جاء فى الأثر** ان « **المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا** » ولذلك كان العمل الجماعي أعظم من العمل الفردى . ونحن الآن نعيش فى عصر لا تنفع فيه الفردية . حتى البحوث العلمية أصبحت ثمرة التقاء جهود العلماء ، بحيث يصعب القول من هو العالم الفرد الذى اطلق الصاروخ ، انما الصواب انه ثمرة هيئة من العلماء . وهكذا الحال فى كل شأن من شئون الحياة الحاضرة . **وهذا هو السر او بعض السر فى اتخاذ « الميثاق » شعار الوحدة ركنا من اركانه الى جانب الحرية والاشتراكية .**

واذا كانت المشاركة الجماعية تقوى الارادة ، فان الاقتناع بالفكرة الزم لتقويتها . والاقتناع يقوم على الوعى وعلى الفهم والاستنارة العقلية بمعرفة الظروف والأسباب والغايات والأهداف .

ان الشعب العربى فى مرحلته الراهنة التى يحاول فيها القفز من حالة موغلة فى التأخر والتخلف الى حالة اخرى مشرقة بالأمل والتقدم ، **لا بد له من توعية كل فرد من أفراده بكل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى يعيش فيها ، والتى يحاول تغييرها ، حتى ينبع التغيير عن ايمان واقتناع وبصيرة ، وذلك لا يكون الا بتبادل الرأى ، واحتكاك الفكر بالفكر ، والمناقشة الحرة فى الندوات ، وقرع الحجة بالحجة ، تحت اشراف قيادات حكيمة مستنيرة .**

ان استمرار هذه المناقشات والندوات كفيل بأن يقدم للارادة الغذاء العقلى المتصل ، والذى بدونه تخبو نار الارادة ، فلا تستطيع المضى فى الطريق الثورى •

لقد اندفع الشعب العربى فى الطريق الثورى بفضل الارادة التى تسلح بها وحملته على اجنحتها فى بداية الطريق ، ودفعته الى الأمام شوطاً طويلا •

فما هى الضمانات التى لا بد من اتخاذها حتى لا يضعف ويتخاذل وتتشتت جهوده ، كما قضى على ثورات كثيرة من قبل فانحرفت عن طريقها ؟ وما الحلول التى يجب اجراؤها لتتناسب مع طبيعة العمل الثورى ؟

ولقد فطن «« الميثاق »» الى ضرورة هذه الضمانات ، ولم يفرضها على الشعب فرضا ، ولكنه استخلصها من تجارب الثورة العربية الكبرى فى تاريخها الحديث الى ان بلغت مرحلتها الحاضرة ، والخصها فى أمور خمسة هى كما جاءت فى آخر الباب الأول :

اولا ــ ارادة تغيير ثورى ترفض اى قيد أو حد الا حقوق الجماهير ومطالبها •

ثانيا ــ طليعة ثورية مكنتها ارادة التغيير الثورى من سلطة الدولة لتحويلها من خدمة المصالح القائمة الى خدمة المصالح صاحبة الحق الطبيعى والشرعى وهى مصالح الجماهير •

ثالثا ــ وعى عميق بالتاريخ وأثره على الانسان المعاصر من ناحية ومن ناحية أخرى لمقدرة هذا الانسان بدوره على التأثير فى التاريخ •

رابعا ــ فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية يأخذ منها ويعطيها ، لا يصدها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد •

خامسا ــ ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان »» •

وينبغى أن نضيف فى هذا المقام التجربة الكبرى فى تاريخنا القومى ، وهى تجربة الثورة الاسلامية فى بدء ظهورها . انها تجربة انسانية تضح فى كل زمان ومكان ، ذلك أن الاسلام وجد نفسه بازاء ثلاثة أصناف من الناس هم المؤمنون والكفار والمنافقون ، والأخيرون أشدهم خطرا وأبعدهم أثرا على كيانه • فاذا طبقنا هذه القاعدة على الثورة العربية الحاضرة رأينا الأصناف الثلاثة واضحة كل الوضوح ، فهناك المؤمنون بالثورة المخلصون لها ، وهم الذين جاء ذكرهم فى «« **أولا** »» و «« **ثانيا** »» و «« **خامسا** »» من الميثاق . ولست أدرى لم سكت الميثاق عن المنافقين ووضع الضمانات الكفيلة بالحد من شرهم وطعناتهم المسمومة ، لأن طعنات الأصدقاء أمعن فى القتل والفتك من طعنات

الأعداء • فالاعداء ظاهرون ، يتحدون أصحاب الثورة ، ويصارعونهم ، وهذا الصراع يعود بالخير على الثورة لأنه يحفزها الى الحركة مع التحـــدى ، ويحملها على الحذر ، وينبهها الى موطن الخطر ، ويجعلها دائما متــــأهبة للعمـــل •

لابد فى الثورة من صعاب وعقبات ليكون للثورة معنى ، بل ليصبح لهـا كيان •

ان الطريق المفروش بالورود والرياحين ليس بحال من الأحوال طريق الثـــوار •

ان الذين يزينون للثورة طريقا ممهدا سهلا هم المنـــافقون ، الذين لا يصدقون القول ، ويخونون العهد ، ولا يبذلون نفسا ولا مالا ، ويثبطـــون الهم ، ولا بأس عندهم أن يبيعوا الثوار الأحرار بثمن بخس للخصوم والأعداء •

ان مجرد تخاذل المنافقين ، ووقوفهم من الحركة الثورية السريعة موقفا سلبيا ، يضعف الارادة الشعبية ، ويجعلهم عبئا ثقيلا فى الطريق الثورى •

ان التوعية النظرية بضرورة سلوك الطريق الثورى ليست كافيـــة فى ضمان اجتذاب جمهور المنافقين ، بل لا بد من اشراكهم مشاركة عمليـــة فى اعمال ثورية يتعلمون فيها بالخبرة والممارسة منـــزلة الكفاح ولذة الصراع ومتعة العمل فى سبيل التقدم •

٥ ـ نحن الآن فى منتصف الطريق الثورى •

ولابد من اجراءات ثورية تتناسب مع السير فى هذا الطريق الثورى •

لقد كانت الثورة هى الطريق الوحيد للنضال العـــربى للتخلص من الأغلال ، ومغالبة التخلف ، ومقابلة التحدى الأجنبى • وقد صور الميثـــاق فى بداية الباب الثانى أن الثورة العربية وهى أداة النضال العربى وصورته المعاصرة تحتاج الى أن تسلح نفسها بقدرات ثلاث :

« أولا ـ الوعى القائم على الاقتناع العلمى النابع من الفكر المستنير ، والناتج من المناقشة الحرة التى تتمرد على سياط التعصب أوا الارهاب •

ثانيا ـ الحركة السريعـــة الطليقة التى تستجيب للظـــروف المتغيرة التى يجابهها النضال العربى ، على أن تلتزم هذه الحركة باهداف النضـــال وبمثله الاخلاقية •

ثالثا ـ الوضوح فى رؤية الأهـــداف ومتابعتها باستمرار ، وتجنب الانسياق الانفعالى الى الدروب الفرعية التى تبتعد بالنضـــال الوطنى عن طريقه وتهدر جزءا كبيرا من طاقته »

هذه الاسلحة الثلاثة تجتمع تحت عنوان واحد هو « الحل الثوري » أو « الاجراءات الثورية » في مقابل الحلول العادية التي تعتمد على المنطق التقليدي ، منطق الثبات .

ونحن نميل الى تغيير ترتيب هذه القدرات ، فنبدأ بالأهداف ، ثم بالحركة نحو بلوغها ، ثم الاستعداد العلمي لها .

واذا كان الاتفاق بين جميع الناس في الوقت الحاضر على العلم وطرائقه، والعمل على تطبيقه ، تاما مجمعا عليه ، فان الخلاف الذي قد يتسع بينهم الى حد التناقض يقوم على الأهداف .

حرب أم سلام ، الاهتمام بالزراعة أولا أم بالصناعة ، اطلاق النسل أم تحديده ، وغير ذلك من المشكلات الكبرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، أمثلة على تبلبل الفكر من جهة الاهداف . ونحن لانجد هذا الخلاف في العالم العربي وحده ، وانما هو خلاف عالمي يدور في كل مكان . وكان موجودا في كل زمان .

ذلك أن الأهداف وتحديدها لايخضع لاعتبارات موضوعية تقوم على العلم وحده ، ولكنه يقوم على اعتبارات انسانية يحددها الذوق والمزاج ، وهي التي تعرف باسم « **القيمة** » .

الذين يؤثرون مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة يفضلون الراسمالية ، والذين يؤثرون المجتمع على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة يفضلون النظام الاشتراكي .. والفرديون في جميع صورهم يجعلون من أهدافهم التمسك بالعمل الفردي ، والعزلة ، والمعيشة في مسكن مستقل ناء ، وكنز المال ، والتفرد في الزي والملك ، والاستئثار بالسلطة ، والاعتقاد في الامتياز الطبقي الى آخر ذلك . أما الاشتراكيون بصفة عامة فان أهدافهم على العكس من ذلك ، يذوبون في المجتمع ، ويتوافقون واياه ، ويضحون بأنفسهم في سبيله ، ويتنازلون عن مصالحهم الخاصة الفردية في سبيل مصلحة المجموع .

وانت تجد داخل المعسكر الفردي اختلافات ، كما تجد داخل المعسكر اختلافات كذلك حول الأهداف . وهذا شيء طبيعي لا ينبغي أن نخشاه ؛ لأن الطبيعة البشرية تمسك بالطرفين جميعا ، ما دامت فطرة الانسان تجمع بين النزعتين الجماعية والفردية .

ولذلك كان « الميثاق » متفقا مع الطبيعة البشرية في هذه الناحية ، اذ نادى بالحرية والديمقراطية ، كما قرر الاشتراكية والوحدة .

ليس المهم اذن ان تختلف الأهداف ، وانما الذي يهمنا في المحل الأول أمران :

الأول – وضوح الهدف مما يترتب عليه وضوح الطريق الموصل اليه .

الثانى – الاتفاق على الاهداف حتى لا تتشتت جهود الشعب العربى فى نضاله ، وبخاصة اذا اتخذ فريق منهم أهدافا معاكسة لأهداف الفريق الآخر .

لقد أمكن فى السنوات الأخيرة التقدم بمباحث القيمة ، والاتفاق على تحديدها بطريقة أقرب الى العلم والدقة ، وذلك حين ترك الفلاسفة النظر فى القيم ذاتها وبحثوا فى الشروط التى تحققها ، والوظائف التى تؤديها . وهكذا يمكن اتفاق الشعب العربى الى حد كبير على أهدافه الكبرى اذا نظر اليها من هاتين الجهتين ، من جهة شروطها اللازمة لها ، ووظيفتها التى تؤديها الأمة العربية . وبذلك تخضع الأهداف للتفكير الموجه القائم على العلم ، لا على مجرد الأمل الذى يطوف بالخيال .

فاذا كان العرب فى ثورتهم الحاضرة قد اتفق معظمهم على الاشتراكية هدفا ، كما حدث بعد ثورتى اليمن والعراق الأخيرتين ، وكما حدث من قبل فى ثورة الجزائر وقبلها فى ثورة الجمهورية العربية المتحدة ، فليس أمر هذا الاتفاق نتيجة مصادفة أو تعصب ، لان الظروف العالمية كلها تحتم الأخذ بهذا الاتجاه ، وهى سائرة فى هذا الطريق باشكال مختلفة .

ولنضرب مثالا آخر بتحديد النسل واباحته من حيث الهدف . ان البحث العلمى يوضح أن الآخذين بمبدأ الاباحة هم العامة والجمهور ، فاذا بلغ الجمهور من الثقافة الاجتماعية والعلمية الحد الذى يعرف فيه مدى تضاعف عدد سكان العالم بوجه عام . وتضاعف السكان فى البلاد العربية ، مع بقاء المساحة المنزرعة والتى تقبل الزراعة على ما هى عليه ، ومبلغ ما يحتاج اليه الفرد فى الوقت الحاضر من جهد فى تربيته وتعليمه ، كل هذه الشروط تجعل الأفراد يؤمنون بوجوب تحديد النسل ، والاتفاق على هذا الهدف .

ان الأسلوب العلمى فى التفكير كفيل بأن يوحد أهداف الناس ، ويوضحها فيكون سبيلا الى وحدة الجماعة . حقا لقد خطا العلم الحديث بالانسانية كلها خطوة كبيرة نحو الوحدة العالمية الشاملة .

٦ – فاذا وضح الهدف ، وأصبح موحدا متفقا عليه ، تفتح الطريق الثورى اليه ، ولكن هناك فرقا بين الاجراءات العادية ، والاجراءات الثورية .

الاجراء الثورى عنيف ، قاطع ، سريع ، لابد ان يصل الى الهدف محطما فى طريقه جميع العقبات ، متخطيا جميع الصعاب . وفى ذلك يقول الميثاق فى استهلال بابه الثانى :

« ان وسائل العمل التقليدية لم تعد قادرة على ان تطوى مسافة التخلف الذى طال مداه بين الأمة العربية وبين غيرها من الأمم السابقة فى التقدم • ولابد والأمر كذلك من مواجهة جذرية للأمور •• الخ »

وكثيرا ما يلجأ العلم الى مثل هذه الحلول الجذرية ، والاجــراءات الثورية الحاسمة باسم العلم نفسه ، فالطبيب حين يرى ساق المريض قــد تعفنت ولم يعد يصلح فيها علاج ، يأمر ببترها ، والا تعرضت حياة المريض نفسه للخطر المحقق .

ان المستوى العلمى العام للشعب العربى لا يزال منخفضا ، فنحــن لا نزال نكافح الأمية ، وننشر التعليم ، ونحاول أن نرفع مستواه ، وحــين يبلغ الشعب العربى المستوى الذى ننشده سيكون من اليسير اتباع أساليب أقل عنفا من الاجراءات الثورية المطلوبة • بل ان هذه الاجراءات الثــورية مطلوبة ولازمة لحل مشكلة التخلف الثقافى ، ورفع مستوى التعليم •

لا نود الخوض فى التفصيلات وذكر المشكلات واحدة بعد واحدة ، فهى معروفة •• معروضة للحل ، كثر حولها البحث ودار الكلام • ولكننا نود ان نشير الى علة ينفرد بها الشعب العربى ، نعتقد انها السبب فى احجامه عــن المبادرة الى تغيير الأحوال القائمة • تلك هى ايمانه الفاسد بنظرية القضــاء والقدر وما تفضى اليه من تواكل . فقد ساد منذ القرن السادس الهجرى فى العالم العربى نظرية تنسب كل ما يقع للانسان الى الله ، وتنزع عن الانسان كل قدرة ، وتلغى فيه الحرية والمسئولية ، مع ان الاسلام الصحيح لا يقول بذلك والا لم يصح ثواب ولا عقاب . ومن هنا ترك الناس الحبل على الغارب فى انتظار الحل الربانى ، ولم يسمعوا قول الله تعالى :**((ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابانفسهم))** •

واذا كان من تراثنا الرحمة ، فان الرحمة التى تتجاوز الحد المعقــول تؤدى الى الضعف والتواكل والانحلال • الرحمة بالطفل اذا زادت عن حــدها افسدته ودللته ، وعودته على الاعتماد على غيره ، وعلى عدم المبادرةوالحركة السريعة لبلوغ الهدف •

ان مانص عليه الميثاق من وجوب الحركة السريعــة الطليقة لن يتيسر الأخذ به الا بتربية الجيل الصاعد منذ ان يولد تربية علمية صحيحة تخــلو من التدليل والتواكل ، وتنحو به نحو الاعتماد على النفس ، والثقة بهــا ، والمبادرة الى العمل والكفاح لتنفيذ الأغراض ، والقاء الشباب فى مجــالات العمل الحر ليتعلم بالممارسة والخبرة كيف يتحرك ويعمل ويثمر •

ان اعداد الشباب اعدادا علميا سليما هو السبيل الى مضى الشعب العربى فى الطريق الثورى الى نهاية مداه .

ان بناء الشباب أصعب من بناء المصانع والسدود ، لأن عقول الشباب وسواعدهم هى التى تبنى الأمم بالعزم ، وترفع من شأنها بالعقل ، وتحفظها من الضياع بالخير .

أحمد فؤاد الأهوانى

الروح من معالم الميثاق

الأستاذ البهى الخولى

اولا ـ طبيعة الميثاق

١ ـ ليس الميثاق تقويما سياسيا أو اجتماعيا ، أو اقتصاديا لأعمال الثورة ، ولاتقويما للمنهاج الذى تعتزم تنفيذه فى المستقبل ، بل هو تقويم « للروح القومى » صانع الثورة ، وتقويم للأطار العام الذى تتخلق فيه ملامح مستقبلنا ..

نعم فالميثاق من أوله الى أخره تقويم صالح لروح الشعب ، يتابع مساره فى حقب التاريخ من أقدم العصور الى اليوم .. ثم يقف على ربوة من الحاضر مستشرفا راصدا مايكون من أمر ذلك الروح الضخم فى المستقبل ، وما عساه يحدث من تغييرات ثورية يعبر بها عن مشيئته ، ويطرح بها عن كاهله مايريد ..

٢ ـ والميثاق باعتباره تقويما للروح المصرى لايسرد لنا تاريخ الحقب ؛ بل يمجد لنا روح ذلك التاريخ ، وايجابيته التى تفاعل بها مع كل ماحوله ، وما أفاض الأسلام عليه وبث فيه من بصائر النور وطاقات الحياة والقوة .. وانظر قوله : « وهى ـ أى مصر ـ لم تعش حياتها فى عزلة عن المنطقة المحيطة بها ، بل كانت دائما بالوعى ـ وباللاوعى فى بعض الأخبار ـ تؤثر فيما حولها وتتأثر به ، كما يتفاعل الجزء مع الكل ، وتلك حقيقة ثابتة تظهرها دراسة التاريخ الفرعونى صانع الحضارة المصرية الانسانية الأولى ... وكان الفتح الاسلامى ضوءا أبرز هذه الحقيقة ، وأنار معالمها ، وصنع لها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى » .

٣ ـ وهذا تقويم واضح حكيم للروح القومى فى فرعونيته واسلامه ؛ وتنويه دقيق موجز بفضل الأسلام فى تزكيته واعلائه .. ولايسعنا الا الثناء المطلق حين يمضى الميثاق فى تقويم الدور الرائع الذى اداه ذلك الروح فى اطار مناهج الاسلام فيجعله أعظم الادوار على الاطلاق ، وذلك قوله « **وفى أطار التاريخ الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام**

الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة الانسانية ، وقبل ان ينزل ظلام الغزو العثمانى على المنطقة باسرها ، كان شعب مصر قد تحمل ببسالة منقطعة النظير مسئوليات حاسمة لصالح المنطقة كلها »

٤ ـ فاذا جثم الظلام بالغزو العثمانى على البلاد ، توقفت ارادة الشعب عن مواصلة ابداعه ومسئولياته ، واضطر الروح الضخم أن ينطوى على نفسه فيما يشبه القوقعة : يجمع طاقاته ويسعر قواه فى انتظار الفرصة التى يستأنف بها عمله الايجابى ، تاركا للمخدوعين يظنون به الاستسلام ، أو أن أمره قد انتهى الى غير مرجع ٠٠٠ وذلك يصدق أيضا على أيام محنتنا بأسرة محمد على والاحتلال الانكليزى ، وفى هذا يقول الميثاق : « ومن عجب أن هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه أنها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات فى تاريخ مصر بحثا فى أعماق النفس ، وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد .. لقد ارتفع صوت محمد عبده فى هذه الفترة ينادى بالاصلاح الدينى ٠٠ الخ » ٠٠

٥ ـ وهكذا يمضى الميثاق متابعاروحنا الضخمخلال انطلاقه الى ابداع المجد، وخلال انطوائه فى ظروف المحنة لتجميع الطاقات وتسعير القوى ٠٠ حتى يبلغ بنا مرحلة الانطلاق الى العمل الثورى عام ١٩٥٢ فيقرر أن روح الشعب هو صانع الثورة وأن الجيش لم يكن سوى أداة لتنفيذها وذلك قوله : « ان أعظم مافى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أن القوات التى خرجت من الجيش لتنفيذها ، لم تكن هى صانعة الثورة ، وانما كانت أداة شعبية لها » ٠٠

ثانيا : تقويم الضمير الثورى

١ ـ ايمان الثورة بالروح العام للشعب :

ذلك مدى تقويم الميثاق لجوهر الروح المصرى فى القديم الى بدء مرحلة العمل الثورى .. أما تقديره له عند بدء ذلك العمل ، فهو هو لم يتغير ، اذ يعلن ايمانه بالعبقريات الكامنة فى ضميره ، ويقول عنه فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ « وفيه استطاع الشعب المصرى أن يعيد اكتشاف نفسه ، وأن يفتح بصره على أمكانيات هائلة كامنة فيه » ٠٠ واذ قد بلغ الايمان بروح الشعب القديم والحديث هذا المدى ، فلا جرم أن يتخذه الثوار رائد ثورتهم ، وملهم أهدافهم ومبادئهم .. **هذا هو الذى يقرره الميثاق اذ يقول : « لقد كان هذا الشعب العظيم هو المعلم الأكبر الذى راح يلقن طلائعه الثورية اسرار آماله الكبرى »** ٠٠

وذلك هو مفتاح ضمير الثورة الذى يفضى بنا الى حقيقتها فهى مؤمنةبروح الشعب الى أبعد مدى ٠ فروح الشعب عندها مستودع بصائره ومبادئه ومثله

وطاقاته الدافعة الايجابية .. وبهذه الذخائر الباطنة صنع التاريخ الماضى ، ويصنع التاريخ الحاضر ، ويعلم الثوار ويلهمهم أسرار آماله.. وذلك فارق مابين الضمير الثورى المؤمن .. والضمير غير المؤمن .

٢ – الثورة ضد المبادىء الصماء :

فانا نعرف من الثوار فى بلاد أخرى من لايؤمن بروح ولا ضمير ، فالفرد عندهم – أى فى نظرهم واعتقادهم – كيان مفرغ من كل روح خلاق مبدع .. فاذا تفاعل مع الواقع فى أفق الاقتصاد والمادة ، تولى الواقع خلق روح له بما ينشىء فى ضميره ويحدث بينه وبين سواه من صداقات وعواطف وقواعد للمعاملات والآداب ... أى أن الفرد لايصنع الواقع ، بل الواقع هو الذى يصنعه .. **والشعب لايصنع التاريخ ، ولايلهم القادة ، بل التاريخ هو الذى يصنعه ، ويسوق جموعه فى تياره قطيعا لا ارادة له ولا اعتبار ..**

ومن عجب أن يكون الميثاق بتنويهه بالروح على هذا النحو تحديا صريحا – بل ضربات قاصمة – لمنازع المادة والالحاد ، ثم نرى من دعاة تلك المنازع من يكتب عن الميثاق ويطلب أن يوضح للشعب أهدافه وغاياته ، وتلك من الكتابات المسمومة التى يستدرجون بها الأذهان الى مايريدون .. ... فان الغايات انما يضعها الشعب لنفسه ، ولا يضعها له أحد ... ان غايات الشعب انما يقررها له مافى ضميره من عقائد ومبادىء ومثل .. اما الشعب الذى توضع له الغايات ، فهو الذى يعرفه هؤلاء مفرغا من كل مواهب الابداع الروحى ، كانه قوالب من طين ينفخ فيها اله الواقع أو اله المادة مايريد .

٣ – ايمان الثورة بالروح الخاص فى الفرد :

وكما يؤمن ضمير الثورة بالروح العام فى الشعب ، يؤمن بالروح الخاص فى الفرد ... الفرد المسلح بكل خصائص الارادة والاختيار ... الذى يحمل فى ضميره عقائده ومثله ، فتوجهه بكل حرية الى « صنع مستقبله ، وتحديد مكانه من المجتمع ، والتعبير عن رأيه ، والاسهام الايجابى فى قيادة التطور وتوجيهه » .

وذلك مقابل الفرد الذى لا أرادة له فى أن يختار مكانه فى المجتمع ، بل يختار له ذلك المكان ، ولايسمح له فى تطوير أو قيادة ، أو مثقال ذرة من ارادة ، الا بالقدر الذى يسمح به للترس المغمور فى ثنايا الآلة الضخمة ..

٤ – ايمان الثورة بالدين :

وضمير الثورة – بعد هذا ، وقبل هذا – يؤمن بالدين كله ، ويأبى لها أن تكون حركة مدنية أو علمانية لاترتبط بدين ، ولاتعول على عقيدة ..

وهنا نرى الميثاق ـ على عادته فى النظر الى الروح من كل شىء ـ ينظر الى الاديان النظرة التى تستصفى الروح ، وتستخلص الجوهر ، لا النظـرة التى تحصى وتفصل ، وتجعل الدين علما محفوظ القواعد والفروع فى بطون الكتب وادمغة الرجال ... فهو روح ، وقيم ، وثورات ، وجوهر ايجابى لايتصادم مع حقائق الحياة ..

وما أبعد الفرق بين ثورة مطموسة تهدد الدين كله فى غرور وجهل، وتلقن أطفالها فى المدارس أنه مخدر للشعوب ، وانه خرافة لاتستند الى واقع .. وبين ضمير مؤمن « **يوجب للعقيدة الدينية قداستها فى حياتنا الجـــديدة الحرة » ويهيب فى ـ قوة ان يكون « واجب المفكرين الدينيين الأكبر هـــو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته »**

أننا فى عصر الثورات والانقلابات ، ومد تقدمى جارف سيغمر آفاق الدنيا قاطبة ، ان عاجلا ، وان آجلا ... والشارة الخطيرة ، أو النزعة الخطرة التى يستبينها المراقبون فى هذا التيار ، أن قادته وموجهيه يتطرفون أو يعلنون عن تقدميتهم بنبذ الدين والاستخفاف بقيمه ، بل أن منهم من يعلن عليه الثـورة سافرة لانه سبب التخلف والجمود ، فاذا رأينا ثورتنا بين الثورات تعلن : «**ان قيم الدين قادرة على منح الانسان طاقات لاحدود لها من أجل الخير والحق والمحبة والأديان السماوية كلها فى جوهرها ثورات انسانية استهدفت الانســان وسعادته »**

وتقرر : « ان جميع الأديان ذات رسالة تقدمية » فان ضمير المـؤمن فى أى مكان لايسعه الا ان يقر هذا الاتجاه، وان يزكيه بكل طاقة ممكنة ، وان يعتبره نعمة من الله يتجدد حقها من الشكر بتجدد اثرها فى المجتمع ..

وحسبنا بعد ذلك أن نرى فى الفقرة التالية أثر الدين فى تحويل الانسان الى طاقة ايجابية تبدع أو تنتج للانسانية أفضل مثلها وقيمتها : «ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الأيمان ، وعلى منحه طاقات لاحدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » ... وليست تلك القيم ـ اذن ـ مخدرا أو أفيونا ينيم الشعوب ، ويسلبها طاقات الأيجابية والابداع » .

وبعد أن يشير الميثاق الى خصوصية « الثورية ، والتقدمية » فى رسالات السماء ، وأنها لاتتصادم مع حقائق الحياة ، يقرر أنها دستور لحقوق الانسان فى : الحياة ، والحرية والفرص المتكافئة ، وذلك اذ يقول : « ان جوهر الاديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية ، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها اعماله باختياره الحر ، ولايرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس ، وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم »

ثالثا : تقويم العمل الثورى

١ ـ عبقرية الأنسان ورسالته :

والايمان بالدين وطاقاته سر عميق يمد بصر الانسان الى ماوراء الحدود، ويكسب ضميره بصائر تدرك المعنويات كما يدرك المرء الامور المحسة بالبصر العادى .

والبصائر النافذة على هذا الاعتبار حس عميق للمرء ، يدرك به ان الروح وحده هو منجم عبقريات الانسان ، لا عبقرياته فى العلم الطبيعى، بل عبقرياته المبدعة لمثل الخير والحق والعزة والحب ٠٠ وتدرك الى جانب ذلك أن ابداع المرء لهذه المثل هو أشرف عمل له فى الحياة ٠٠ بل أنها لتدرك ان الانسان لم يجىء هذه الارض الا لتكون مهمته اقرار تلك الطاقات فيها .. اقرارها سلوكا فاضلا ، واوضاعا للحق والخير والسلم ..

٢ ـ انتاج الانسان وانتاج الطبيعة :

فليس رسالته أن ياكل ويشرب .. أو ينمى الموارد والثروات ، فذلك تضييق لمعنى الحياة ، وبخس لقيمتها ، وتضييق لآفاق الانسان يجنى عليه بأن يعيش على غير طبيعته محدود المواهب ، محدود الأمل فى الخير والحق .

ان كل شىء فى الطبيعة الحية والجامدة ينتج ، فاذا لم يكن للأنسان من ثمرة سوى ان يستهلك ماتنتجه الطبيعة ، فهو مخلوق عقيم تعس لاشرف له ... ان الطبيعة تنتج له ، لينتج هو شيئا آخر لاقدرة لها عليه ، ومن أجله جاء هذه الحياة ... فاذا قلنا المواهب الخلاقة .. أو الطاقات المبدعة ، فلسنا نعنى ابدا قدرته على تثمير الارض ، ومضاعفة الانتاج ، فذلك ماتقوم به الآلة بأكثر مما يؤديه هو .. انما نعنى قدرته على ابداع الخير حين يحيا فى حقيقة نفسه ، لافى مطالب بدنه وأغراء حسه ٠ فيكون سلما لنفسه ، سلما لغيره ، مبدعا فى كل حال أكرم مثل الحق والخير ، حارسا ـ على كل آن ـ لما لنفسه ولغيره من قيم الحرية والكرامة .

٣ ـ اصول التقويم فى منطق الثورة :

فاذا استقام المرء فى عمله على هذه الجادة ، فقد سلمت له الحياة على نمطها الأمثل ، واذا أدركت أمة ما تلك الحقيقة ، وعملت لها ، وجعلتها دستور مبادئها ، فهى خير امة أخرجت للناس ، وليس وراء ذلك من خير لأمة أو فرد ، وليس فيما يبذل من جهد لغير تلك القيم والمثل ، الا امتداد النقوة والهوان على الأصل الذى نبعت منه .

وقد ادرك الميثاق أصول ذلك التقويم : فجمع الهمة له ، وثبت الاقدام على منهجه ونبذ لعنة العاكفين على عبادة الحسن فى آفاقه الضيقة ، فأعلن فى وضوح وقوة : « **ان شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادىء السامية.. ان شعبنا قد عقد العزم على ان يعيد صنع الحياة على أرضه بالحرية ،والحق .. بالكفاية والعدل .. بالمحبة والسلام** » .

واذا فهم غيرنا ضرورة الاقتصاد على غير وجهها ، فجعله غاية جهده ، ومدار سعيه ، فغايتنا الانسانية تجعل لنا فى فهمه وجها آخر يقرره الميثاق بقوله : « وليس العلم للمجتمع عقبة تفرض على العلماء أن يلتزموا بمشاكل الخبز المباشرة وحدها ، ان ذلك يصبح تفسيرا ضيقا لرغيف العيش الذى نريده » .

وعلى قدر ماأشاد الميثاق بالأدوار الثورية التى اعتمدت الوسائل الحسية لتنظيم مجتمعنا عاد يقرر : « **واذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا ، واشرف الغايات والمقاصد** »

٤ ــ عداء الثورة لخطر التقويم الحسى :

وقد القى هذا الفهم العميق لفلسفة الحياة وحقيقة الأنسان واجبا على الثورة تلقاء النزعات السطحية التى يغذيها الغرور بأخلاط مشوشة من الثقافات الاجنبية ، وماتلقفت من قشور المذاهب عن ماركس وغيره ، فجردت عزمها لصيانة ضمير الأمة مما عسى أن يلقى فيه أرباب تلك النزعات .

وخطر هؤلاء ليس فيما يبدو من خلافهم لأنظمة حكمنا ، واوضاع اقتصادنا فحسب ، بل يبدو أكثر من ذلك فيما يتسلل بهم الى النفس البشرية من شر ماحق .

فأرباب تلك النزعات يعمدون الى غموض الأهداف فى أذهان بعض الجماهير الساذجة ، وبدلا من ان يبددوا هذا الغموض ، ويأخذوا بأيدى تلك الجماهير الى آفاق حقائقها ، واكتشاف أنفسها ، يتخذونه وسيلة لتزييف الأهداف وتقريب مداها فى لقمة العيش التى يتعجلون ، وبذلك ينضمر أو يتقوض الوجود الروحى الواسع فى ضمائر أولئك المساكين .. وهى جناية على الضمير الانسانى ، وعلى الانطلاق القومى الذى لايجديه الا أن ينبعث عن طاقات حافلة. لاعن طاقات قد تقلصت حتى آلت الى فراغ لاغناء فيه .. وفى هذا يقول الميثاق : « ان تحريك طاقات الشعب الى العمل ، لايجب أن يتم عن طريق اغراق الجماهير فى الأمل » ان التغيير الكبير بطبيعته يصاحبه تطلع بعيد المدى الى الأهداف المرجوة من النضال .. وليس من حق فى هذه المرحلة ان نخدع الجماهير

بالمنى » .. ويصف الميثاق تلك النزعات الطائشة بأنها « **مراهقة فكرية** » ويعلن انها (**خطر ينبغي التصدى له ، والقضاء عليه .. فان الذين يجمدون الكفاح الوطني بتفسيرات تحد قدرته على الانطلاق انما يقللون من قدرة المجتمع بقدر ضعفهم .... ان التقدم الوطني لاتحققه كلمات محفوظة عالية الرنين .. ليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من فراغ ، والا كان يتقدم الى الفراغ ذاته** » .

وذلك كله يضع بين أيدينا أصول التقويم الصادق للعمل الثورى : فمن ذهب يقيس عملا من تلك الاعمال بحصيلته من الانتاج ، أو بمظهره الحسى وحده، فقد قاس بمقياس سطحى .. ولاسبيل الى صدق التقويم الا ان ترد الاعمال كلها الى القباس الذى لايختلف أولو البصائر على اعتماده ، وهو الغاية .. وبشرف الغاية ، يكون شرف العمل .. وبتفاهة الغاية تكون تفاهته .. وبين طرفى الشرف والتفاهة تتعدد المنازل صعودا أو هبوطا الى مالاحصر له . .

رابعا تقويم الاطار العام للعمل الثورى :

والكلام فى الاصول التى يقوم بها العمل الثورى يفضى بنا الى التساؤل عن الاطار العام الذى يتم فى نطاقه ذلك العمل حسا ، ومعنى ، ليؤدى مهمته .. وينتهى الى غايته . .

فالانسان فى الحقيقة لايصنع عمله ؛ انما تصنعه له عقيدته حين يتفاعل معها فى ايمان ، ورغبة ، وصدق .. فاذا تحقق هذا التفاعل وضحت للمرء غايته من الحياة ، ونشأت فى ضميره بواعث العمل لهذه الغاية .. وعلى قدر أصالة العقيدة فى ذاتها ، تكون أصالة الغاية ، وجمال البواعث ..ويكون للاعمال حظها من الحيوية والقيمة ...

فالعقيدة على هذا هى الاطار الذى تتخلق فيه « **حقيقة العمل** » فى ضمير صاحبه .. تتخلق أهدافه ، وبواعثه ، ويقدر له حظه من القوة والرفعة ... وذلك هو الاطار الروحى للاعمال .. **فما حقيقة الاطار الذى اتخذته الثورة لتتخلق فيه مقومات أعمالها ؟ ..**

والعمل حين يتكون فى نطاق العقيدة وتتخلق له بواعثه ، وقيمته ، واهدافه ليس الا روحا اونية ، يجب أن يخرج من حيز الغيب المخبوء فى الصدر الى عالم الحس والشهادة ، فيتخذ لنفسه مظهرا من الواقع ، وصورة تمثل مبادئه ، ويعلن بها عن حقيقته ... وذلك هو الاطار الحسى للاعمال .. **فما حقيقة الاطار الذى اتخذته الثورة ليكون شعارا لعقيدتها ومبادئها ؟...**

١ ــ الاطار الروحى :

اما الاطار الروحى فقد قومه الميثاق على أدق ماقرر الاسلام من ذلك ، فهو : ايمان بالله والدار الآخرة ٠٠ وذلك اذ يقول فى وضوح : « ان الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة امام البشر اساسا للعمل فى الدنيا ، والحساب فى الآخرة » ٠ « ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولايرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل ، والمرض لغالبية الناس ، وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم » فالايمان بالخالق الأعظم جلت قدرته واضح فى هذا الكلام ، وكذلك الايمان بالدار الاخرة ولكن شاهدنا فيه **ان الميثاق يحفل بتلك العقيدة باعتبارها الاطار الذى يجد به المرء مسئوليات الآخرة ماثلة بين عينيه ، تلهمه الواجب وتخطط له أصول عمله على صفحة ضميره النقية ٠**

ا ــ فمادامت أعمالنا فى الدنيا انما تتم لحساب الآخرة ، فلن يرقب ضمير المؤمن فى شأنها الا مرضاة رقيب الدنيا الذى ستعرض عليه كل ذرة من تلك الأعمال فى الآخرة ٠٠ وذلك باب خطير فى اعداد الضمير وتسديد العمل وتربية الشعوب والأفراد على فضائل النزاهة والجد والصدق ٠٠ لانعرض له فى هذا المقام ٠

ب ــ ومادامت موازين الآخرة لاتحفل الا بالقيم الروحية العليا ، حيث لااعتبار هنالك لمال ولابنين ، فيخلق ذلك فى نفس المرء نهمة الى تحقيق القيم ، وزهدا فيما عداها من لهو أو شهوة ٠٠ وذلك باب فى علو الهمة واعداد أذواق الجمال لانعرض له فى هذا المقام ٠٠

فالميثاق بذلك كله لايريد لنا أن نبدأ من فراغ ، بل أن نبنى على تراث موصول بأصدق عقائد الحق ٠٠ ولكنا نلاحظ مع الأسف ان عوامل التجديد والنشاط قد شملت كل مرافقنا ، الا تنشيط منابع العقيدة التى طمرت تحت مخلفات الفساد ، وانقاض قرون الجهل والركود ، ومع أن الميثاق أهاب بأجهزة الدولة أن ينشط كل منها فى نطاق مهمته وتحقيق ماأسند اليه فانا لم نر لأجهزة الدعوة الدينية ــ على تعددها فى بيئات مختلفة ــ أثرا يدل على أنها أعادت النظر فى مخططاتها القديمة وأخذت بوسائل العرض الحديثة تحيى فى الانسان عقائده التى ترد اليه اعتباره ، وتهب للحياة جمال المعنى ، وتقسم المجتمعات على سمت مسئولياتها الأصيلة ٠

ان عقيدة الجزاء الأخروى لاتعتبر من قبيل الغيب الا بالنسبة لعلمنا البشرى المحدود ، أما بالنسبة لواقع الكون فهى تقرير لحقيقة موصولة ، بحياتنا القائمة كل الصلة ٠٠ وهذا يقتضينا أن لايكون حظنا منها هو مجرد التسليم بمفهومها الغيبى ، بل أن نقيم عمود حياتنا على أساسها ــ كما

يطلب الاسلام والميثاق ــ فاننا اذ نفعل ذلك انما نصحح الأوضاع ، ونقيم أعمالنا على قوانين صلاحها التي تاتلف بها مع نواميس الكون العام ...ونحن في بدء نهضة .. وطور ثورة ، ومالم تبلغ أعمالنا عمق النواميس الأصيلة ، وتعتدل على وضعها السوى فلن نجنى منها سوى وضع لاروح له ، لايسعد فردا ولا يحقق رسالة .. والتبعة أولا وأخيرا على أولئك الذين وسد اليهم الأمر ، فلم يؤدوا أمانته .

٢ ــ الاطار الحسى :

أما الاطار الحسى فهو النطاق العام الواقعى الذى تفرضه الوجدانات والعقائد على الواقع ، وتقيم به أوضاع المجتمع ، وتحقق به ذاتها ..

١ ــ فان ضمير المؤمن اذ يتحرى مرضاة الله فى تخطيط عمله الدنيوى لحساب الآخرة ، انما يحقق ذلك فى محيطه الواقعى ، فيتحرى فى الناس مواطن الضعف والحاجة ، يواسيهم بنفسه ، وجهده ، وماله ، ويبذل فى تحقيق رفاهتهم وتخفيف آلامهم مايستطيع ..

ب ــ واذ نكون نهمة المرء فى تحقيق قيم الآخرة ومثلها العليا ،فسيكون للمال بين يديه توجيه آخر غير توجيه ذوى الترف والشهوة والحرص .. سيكون المال وظيفة روحية واجتماعية ، لاوسيلة لمآرب الاستعلاء ومتعة الحس .

واذ يبلغ المرء من رهافة الحس بآلام الناس وحاجتهم ماذكرنا سابقا .. واذ يدور المال فى المجتمع على توجيه وظيفته الروحية والاجتماعية ، يكون ذلك ذروة ماينشد المخلصون من أوضاع اشتراكية سديدة ، أذ هذان الاصلان هما روح الاشتراكية وحقيقتها ، وليس فى غيرهما أى معنى يمت اليهما بصلة ..

ومعنى هذا أن عقيدة الجزاء الأخروى ــ وما اليها من عقائد أخر ــ اذا تفاعلت فى قلوب أبنائها وحى وجدانها فى ضمائرهم حق الحياة ، لم تجد لنفسها اطارا حسيا تحيى به فى واقعهم سوى اطار الاشتراكية التى بينا .. ولا نستطيع أن نتصورها قد آثرت اطارا رأسماليا ، أو شيوعيا يقوم على شقاء الشعب بالسخرة أو سوء الاستغلال أو نحوهما مما يجلب سخط الله لامرضاته .

وقد يقول بعض الناس ان ذلك دين وليس اشتراكية .. وذلك حق اذا جعلنا الاشتراكيات الغربية هى النموذج لمفهوم الاشتراكية ، ولكن هؤلاء ضلوا حقيقة الاشتراكية ، ولم يدركوا من مفاهيمها سوى الاسم ، فراحوا تحت صيحات الألم وآثار الظلم يقيمون لها فى بلادهم نظما بلا روح ،وأوضاعا

بلاحقائق ، لم يكتب لها الاستقرار ، ولن يكتب لها يوما من الايام ، وكل ماعرف لاحسنها من آثار — ان كان فيها حسن — أن شعبا من شعوبها لم يذق فى ظلها أى طعم للسعادة .

أما نموذجنا الذى بيناه فهو اسم وحقيقه .. ومظهر وروح .. ووضع تمتد أصوله الى منابع الدين الحق وقد طبقناه فأتى ثمرته حين اعتقدنا عقيدته الصالحة .. واذا رجعنا الى دعوة أبى ذر رضى الله عنه وجدناه المثال الأوفى للاشتراكية القائمة على خطوط الحساب الأخروى ، اذ كانت الآخرة هى الوجدان الحاضر فى ذهنه ، وعصبه ، ودمه يوجه عليه كل قول له وعمل فى حياته الخاصة والعامة .. واذا نظرنا الى سيرة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، وهو يمثل طرف الغنى فى الاسلام الفينا وجدان الآخرة يزوى قلبه عن زينة اللباس حتى يرى بين عبيده كأحدهم ، ويعزف بنفسه عن شهوة الأطعمة ، ويخشى أن تكون شارة التقصير عن منازل اخوانه .. ويضع ماله الضخم بعد ذلك لوظائفه الروحية والاجتماعية ، حتى كان المجتمع كله عيالا عليه : ثلث يقرضهم ماله ، وثلث يقضى عنهم ديونهم ، وثلث يصله ويقضى حوائجه .. الى آخر مانرى من مثل كانت الآخرة هى همهم الحاضر فى كل أمر ، فتمت بهم شعائر الاشتراكية الاسلامية على أوفى ، وأتم مثال .

فنحن الذين سبقنا هؤلاء الغربيين الى تحقيق الوضع الأمثل على مارسم لنا الله سبحانه .. أما هم فدخلاء عليها ، شأنهم فيها شأن كل دخيل على أمر يجهل حقيقته ، أو يتعمد كفرها ونبذها ..

ذلك مايجب أن نعلمه فى محيطنا الشعبى عن مفهوم الاشتراكية ،وقد بدأ اسمها يدور على الأسماع والأقدام . والالسنة ، ولم يكن لنا به عهد منذ قرون لأن الملوك والطغاة كانوا يكرهونه ، وأول من نادى به فى عصورنا الحديثة السيد جمال الدين الأفغانى ، والاستاذ الأمام محمد عبده رحمهما الله .

واذ كان الايمان بالدار الآخرة لايثمر فى الضمائر وواقع المجتمع سوى حقيقة الاشتراكية ، فأنا نرى الميثاق يدرك ذلك ادراكه الحق ، ويبشر باشتراكية دينية تقوم اطارا فى واقعنا لما توحى به عقيدة الآخرة من بواعث ووجدانات .. وقد وردنا ماذكره عن الآخرة ، ولاسيما قوله : « **ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس ،وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم** »

فاذا كان اتخاذ الدين أساسا لتقرير حقوق الانسان وتحريره من الطبقية الظالمة يميز اشتراكيتنا من اشتراكيات الغرب ، فهو يجعل تلك الاشتراكية مؤمنة تقوم أوضاعها اطارا يمكن عقائدنا أن تحقق نفسها وتؤدى رسالتها فى واقع الحياة .

خامسا : الاشتراكية وتحقيق الذات

١ ـ واذن ـ فالاشتراكية هى المرحلة الأخيرة أو الاطار النهائى الـذى تستوى فيه عقائدنا قوة عاملة ، فى الحياة .. عاملة بأيدينا . ناطقة بألسنتنا .. مفكرة بعقولنا .. منفعلة بوجداننا .. وبعبارة أخرى هى الاطار الذى تتحقق لكل منا « ذاته العليا » المؤلفة من عقائد سليمة ، وصفات كريمه وخصائص انسانية ، ووجدانات صادقة فى حب الخير ، وقوى قادرة على ابداع المثل العليا

ولقد يبدو للفهم السطحى الذى ينتهى برغيف العيش الى تفسيرات ضيقة ، أن فى هذا القول غلوا فى تقدير الاشتراكية .. فالاشتراكية عند كثيرين « غاية » لا «وسيلة» غاية ينتهى اليها الأمر بتأمين المرء على رغيف عيشه وليس وراء ذلك من معنى للحياة ولامدى لهمة الانسان .. أى أن العدالة .. والكرامة .. والحرية وماإليها من قيم انسانية انما تطلب ، وتراق من اجلها الدماء ويخلد فى سبيلها الشهداء ، وتتفاوت فيها أقدار المجاهدين من أجل هذا الرغيف !!

والمعلوم أن الانسان انما يبذل الرخيص ليحصل على ماهو أنفس ، وقد تكون الدماء والحياة ـ على نفاستهما ـ أرخص من الحرية والعدالة وسائر قيم الانسان ، فهو يبذلها طلبا لها فى الدنيا ، أو ظفرا بها فى الحياة الأخرى . فاذا ذهبنا نقول : ان رغيف العيش هو التاج الذى يتوج قيم الانسان ، وفى سبيل هذا التاج يرتخص كل مادونه ، فقد أهدرنا كل منطق ، وجردنا انفسنا بل الوجود كله من كل قيمة .

فهؤلاء الذين يروعهم أو يهولهم أن يكون للاشتراكية ذلك التقدير ، ما يهولهم ذلك الا لأنهم يرون الحياة أمرا عفويا أو عشوائيا جاءت به المصادفة المحضة لغير معنى فهم يحيونها لغير غاية وحسبهم من الحياة على هذا اشتراكية تدور عليهم بالرغيف جريان الجراية على مجلوبى السخرة أو دواب الحظائر .. أما الاشتراكية التى قلنا انها الأطار الحسى للضمير الذى يرقب مرضاة الله، ويوجه المال لوظائفه الروحية ، ويهتم لأمر الناس بما يهتم لأمر نفسه ، فهى نوع من « الحضانة » تكتمل فيها نوازع الروح ، ومقومات المثل حتى تدرج من صدور ذويها كائنات حية مزدهرة تؤدى مهمتها للمجتمع فاذا ابتلى الضمير الانسانى بحضانة تحكمها سياط السخرة أو مطامع الاستغلال كانت وكرا باردا يصوح براعم القيم فى الصدور ، فلا يدرج منها الا مثل الحقد واليأس والجريمة « **والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكدا** »

٢ ـ فالاشتراكية ـ اذن ـ وسيلة وليست غاية .. قد تكون غاية ـ لوقت ما ـ حين كفاح المظالم ومجاهدة الطغاة ، ولكنها لاتلبث أن تنقلب بين

أيدى الثوار المصرين وسيلة لتخريج الأبطال الذين ينفحون ضمير الحياة عن ضمائرهم بعطر الحب وأنفاس الثقة والاخلاص لله .. **ويوشون طرازها بما في المواقع من جميل المثل باشرف الحلى .**

واذ كان ذلك هو تقويم الاشتراكية ، فمن حقنا ان نلتمس في صراحة ماذا أراد الميثاق لحضانة ضمائرنا وحياطة مثلنا ؟..

لقد قرر الميثاق من معالم الاشتراكية حقوقا أساسية لكل مواطن ،كحق الرعاية الصحية .. وحقه فى العلم بقدر مايتحمل استعداده ومواهبه .. وحقه فى العمل الذى يتناسب مع كفايته واستعداده .. وحقه فى التأمين ضد الشيخوخة والمرض .. ولكن هذه حقوق أشبه بقواعد .. والقواعد قوالب لاتكاد تنم لك عما يستكن فيها من روح .. ونحن انما ننشد الروح فى الميثاق . وقد جعلنا كلمتنا بعنوان : « **الروح فى معالم الميثاق** »..والاشتراكيه كما قلنا اطار يحضن خصائصنا الروحية وتتكون فيه لكل منا مقومات « ذاته العليا » أى مقومات انسانيته الصحيحة .. فما حقيقة ذلك الأطار ؟

قد يكون فيما قدمنا من « تقويم الأطار العام » غناء ، ولكن طلبتنا فى هذا المقام تمام الوضوح ، وقد أعطانا الميثاق فى ذلك مالاحاجة بعده الى مزيد فقد أعلن أن العمل الثورى انما تم بعدة ضمانات أساسها جميعا : « ايمان لايتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية ، التى بعثها بالحق والهدى للانسانية فى كل زمان ومكان » .. **واعلن الى ذلك الاعتماد على انفسنا فى استخلاص التجارب من واقع ظروفنا ، ونبذ التقليد الأعمى لغيرنا : « ان الحلول الحقيقية لمشاكل أى شعب لايمكن استيرادها من تجارب شعوب غيرها »**

وحسبنا صراحة وطمأنينة أن نسلم من آفة التقليد وتفاعة النقل عن الغير ، وأن تكون عصمتنا ايمانا « لايتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسيه »

٣ — على أنه قد يكون من المفيد أن ننقل عن الميثاق مايشير الى بعض عناصر الدفء التى ستحضن خصائصنا ، ويستكمل فيها كل فرد منا مقومات وجود الحق ..

● « ان التقدم عن طريق النهب ، أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الحديثة » ، فيجب أن يرفع استغلال الانسان للانسان ، وان تكون الفرص متكافئة للجميع ، وأن يكون لكل انسان سعيه . وان لايكون لأى فرد الا ماسعى .

● « ان عائد العمل — أى الدخل الناتج منه — بالطريق الرأسمالى يعود كله الى قلة من الناس ، يفيض المال لديها لدرجة أن تبدده فى الوان من الترف الاستهلاكى يتحدى حرمان المجموع »

وتلك آفة يختل بها توازن المجتمع : فان اقتصاد أى أمة اذا تضخم فى بعض الأجزاء ، وضمر فى الآخر ، كان نذير العلة القاتلة ٠٠ ذلك الى ان الاستجابة لدواعى الترف من الوجهة الاقتصادية مهلكة للمال فى لاشىء ، والمال شريان القوة الحسية فى الأمة فاذا تدفق فى لاشىء آلت الى الضعف أو الهلاك ٠٠ومن الوجهة الروحية تضعف الوجدان ، وتقتل خصائص القوة فى النفس ، وتطغى فيها عوامل الاستغلال والغرور ٠٠ وقد حرمه الاسلام على مانعرف ، اذ جعل المبذرين أخوان الشياطين ٠

ذلك الى أن بقاء المجموع بلا نصيب يملكه الا الحرمان ، يشعر الفرد بضيعة ، كأن وجوده لاشىء ، أو كأنه دخيل على المجتمع ، فما برحت الحيازة الاقتصادية دعامة الوجود الروحى للفرد : ترفع معنويته ، وتبرز كيانه ، وتقوم له عصبا اجتماعيا يصله بالمجتمع ، ويصل المجتمع به ، فلا يشعر بضيعة أو غربة ٠٠ فاذا قام الترف ــ مع ذلك ــ يتحدى الجوع والحرمان بتبديد المال فى مفاسد الأهواء واشباع الغرائز كان بطرا يعقب الغيظ ، والذل ، والنفاق والنقمة ، وهى عوامل تدمير لايقوم عليها بناء أمة ٠٠ وقد برىء الاسلام من ذلك البطر ، ونفى الايمان عن ذويه ، فانه « ليس بالمؤمن من بات شبعان ، وجاره جائع الى جنبه » ٠

● واذ كان ذلك هو شؤم الرأسمالية فان الطريق الاشتراكى ــ بما يتيحه من امكانية تذويب الفوارق بين الطبقات ــ يوزع عائد العمل على كل الشعب ــ لاعلى قلة منه ــ طبقا لمبدأ تكافؤ الفرص «٠٠ وبذلك نتلافى آفات الطريق الرأسمالى بتوزيع العائد كله على كل الشعب ، فيكون لكل فرد نصيبه فى الثروة القومية الذى يدعم كيانه ، ويبرز شخصيته ، ويلم وجوده المشتت فى وضع اجتماعى محدد ٠

٤ ــ تلك طبيعة الاشتراكية التى يعتمدها الميثاق وسيلة لتحقيق الذات لقوميتنا ، ولكل فرد منا ٠

وقد ذكرنا أن الذات هى المزاج المؤتلف من مجموع العقائد والصفات والخصائص الفاضلة . فاذا تحقق لذلك المزاج هذا الوضع الاشتراكى كان من أول ثماره ــ ولابد ــ الشعور بوحدةالمصير وترابط مصالح الأفرادبعضها ببعض وضرورة تبادل الرأى فيما يمس تلك المصالح أو يتعلق بها ٠٠ بل قد يجرى ذلك التبادل والتشاور فطريا طبيعيا بدون قانون أو محاكاة للغير لتنظيم التعاون على مايكفل الصيانة والنمو للصالح المشترك ٠

وذلك فى بساطة هو «الديمقراطية» ٠٠ ولانستطيع أن نتصوراشتراكية تقوم على المثال الذى قدمنا دون أن ينشأ معها ذلك الوضع الحتمى الشورى٠٠ كما لانستطيع أن نتصور شورى أو ديمقراطية فى أطار يذهب فيه قلة بثروة البلد ، وتبقى الكثرة بدون ملك ما ٠٠ فان حيازة الملك من شأنها ان

تبعث الغيره عليه فى نفس صاحبه .. ومن ثم تبعته على صيانته والجد فى تسمير والتماس التعاون والمشاركة فى كل مايحقق ذلك .. وليس من طبيعة الأسياء أن تنبعث الغيرة فى وجدان المحروم للمشاركة فى تنظيم مصالح لانصيب له فيها .. وفى هذا يقول الميثاق : « ان الحرية الاجتماعية لايمكن ان نتحقق الا بفرصة متكافئة أمام كل مواطن فى نصيب عادل من الثروة الوطنية »

فاذا تحقق الوضع الاشتراكى ولزمه أثره الديمقراطى الحتمى ، فقد تمت للفرد حريته التى هى نقطة الانطلاق الى تحقيق مايريد من قيم ومثل ، وفى هذا يقول الميثاق : ((ان الاشتراكية مع الديمقراطية هما جناحا الحرية وبهما معا نستطيع ان نحلق فى الآفاق العالية))

٥ — ويجب أن نفرق بين الحرية ، وتحقيق الذات . على نحو مانفرق بين صحة البدن وواجباته التى لاتؤدى الا بتلك الصحة .. فقد يفقد البدن صحته فتنركز الجهود فى استعادتها دون تفكير فيما عدا ذلك ، فأذا استعادها شرع فورا فى الحركة والسعى والجهود التى يؤدى بها واجبه .

وكذلك الحرية ، ليست هى « الذات العليا » للانسان . بل هى الصحة التى تؤدى بها تلك الذات مبادئها وتحقق بها نفسها .. فاذا فقدت تلك الحرية ، فقد فقدت الصحة التى لايؤدى الواجب الا بها .. وحينذاك تنحصر الجهود فى استرداد تلك الصحة بمدافعة أسباب المظالم التى تعانى منها الذات مايعانى الروض النضير اذا أصابته ريح فيها صر .. فاذا استوت للذات حريتها فقد تهيأ لها الدفء والصحة ايذانا بالثمر وأداء الرسالة للحياة .

فصحة البدن ليست هى الجهود التى يؤدى بها الواجب ، فقد نرى الرجل الصحيح متبطلا لاعمل له مؤثرا أن يكون كلا على المجتمع — انما هى « حالة الاعتدال » التى يتسنى بها للبدن أن يتحرك وأن يعمل .

وكذلك الحرية ، ليست هى الذات ، فكثيرا مانرى من لاخلاق لهم ينحرفون بها الى مثل سيئة فى الفساد والرذيلة — انما هى ((حالة السلامة)) من أعاصير البغى ونكباء الفتن .

وذلك المعنى الدقيق هو الذى نتبينه اذا أعدنا قراءة مجازات الميثاق ونسبيهاته التى ضمنها قوله : **« ان الاشتراكية مع الديمقراطية هما جناحا الحرية .. وبهما معا نستطيع ان نحلق الى الآفاق العالية » فذلك التحليق هو تحقيق المثل الرفيعة ، ومابرح العلو رمزا لشرف الهمم وسمو آفاق النفس ..**

سادسا : تقويم المستقبل

١ ــ وبعد فقد قلنا أول هذه الكلمة : ((ان الميثاق من أوله الى آخره تقويم صادق لروح الشعب يتابع مساره فى حقب التاريخ من أقدم العصور الى اليوم ٠٠ ثم يقف على ربوة من الحاضر يستشرف راصدا مايكون من أمر ذلك الروح فى المستقبل)) ٠٠

ومن هذه الربوة بعد انتهاء قراءة الميثاق يجد كل قارىء نفسه راصدا مستشرفا ، سائلا : الى اين المصير ؟ ٠

ولسنا بحاجة الى أن نفترض غير مابين ايدينا للاجابةعن هذا السؤال فالحاضر امتداد الماضى ، وكلاهما ابداع الروح القومى ، فأذا تركنا ذلك الروح يتمطر فى رحلة الأزلية يشق عباب الزمن الى المجهول ، على هدى من بصائره، ودفع من طاقاته المباركة ، كان المستقبل امتدادا للحاضر وتتمة له ٠

٢ ــ ومما لاشك فيه أن مرحلة العمل الثورى لم تنته بعد ، فمايزال العمل قائما بها على أشده : هدم يعقبه بناء ٠٠ وبناء يعقبه تغيير ٠٠ وتغييريتم باحياء موات ، أو تهذيب مشعث ، أو تقويم معوج ، أو تكميل ناقص ، أو نقض مبرم أو ابرام منقوض ٠٠ أى أن صعيدنا الثورى لم يستقر على حال بعد ، وهذا يصدق على كل مقوماتنا الاجتماعية فى الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، والسياسة ، والتشريع ، والآداب ، والمثل والعقائد ٠٠ ومايزال الجهد الثورى دائبا على ابراز معالم المجتمع الجديد وتخليق سائر ملامحه ٠٠ وقبل أن تتخلق تلك الملامح ، ويستكمل الكيان معالمه يكون الحكم له أو عليه ضربا من الجهل والسذاجة ، وسوف ننتظر وقتا يطول أو يقصر حتى يكتمل ذلك الكيان ، وفى هذا يقول الميثاق : ((ان ازالة التصادم الطبقى ٠٠ لايمكن ان يحقق تذويب الفوارق مرة واحدة ، ولايمكن أن يفتح الباب للحرية الاجتماعية ، والديمقراطية السليمة بين يوم وليلة))

٣ ــ ونحن لانعنى بملامح المجتمع الجديد أو معالمه مايقام الآن من سدود ومصانع ومؤسسات ونحوها ، بل نعنى مايبذله الروح القومى الذى استكشف نفسه وعرف ماينطوى عليه من طاقات ومثل ومبادىء وعقائد ــ من تغييرات يطرح بها الملامح الدخيلة التى طبعها عليه المستعمر وأعوانه ، ويبرز مكانها ملامحه الأصيلة التى تستقر بها عقائده ومثله ٠

ولايخالجنا شك ــ والطلائع الثورية تستهدى ضميرها القومى ــ أننا سائرون الى مجتمع أصيل يرسى بناءه على قواعد من الايمان بمثله والايمان بالله عز وجل ، وهذا مانطالعه فى الميثاق اذ يقول : ((ان شعبنا يملك من ايمانه بالله ، وايمانه بنفسه مايمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه ٠

ومما يؤكد تلك الثقة أن الايمان بالدين ومايمنح الشعوب من طاقــــات ليس هو فى تعدير الثورة رأيا ينبع ، أو تقليدا يحتذى ، بل هو عروة النجاة التى نرى الميثاق يمكن قبضته منها حتى لتراه فى المناسبات التقدمية البحتة لاتذابها . معولا كل التعويل عليها ، فعندما اشاد بدور العلم فى نهضتنا ـ مثلا ـ بدأ يؤكد ضرورته لنا بقوله : « ان العمل الثورى لابد له أن يكون عملا علميا .. واذا تخلفت الثورة عن العلم ، فمعنى ذلك أنها مجرد انفجــار عصبى تتنفس به الأمة عن كبتها الطويل ، دون أن تغير من واقعها شيئا » ويمضى فى بيــان مكان العلم فى حاجتنا ذاكرا فى أسف ماكان من تفريط فى الماضى حتى ينتهى بصيحة حره مصممة : « اننا لانستطيع أن نتقاعس لحظة عن الدخول منــذ الآن فى عصر الذرة » .. حتى اذا اشرأبت أعناق المراهقة الفكرية لهذا الايمان بالعلم المادى ، وظن أهلها الا مكان للروح الى جانبه ، والا معول على شىء سواه فى الثورة . فاجاهم الميثاق بأخذة مذهلة اذ ينتقل فجأة من هذا التصميم العلمى البحت الى ملاذ الروح الخالص فيقول : « على أنه يتعين علينا أن نذكر دائمــا أن الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات .. ان الطاقــات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة ، كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بها جميع الاحتمالات »

فهذا الايمان بالدين والروح هو ضماننا فى المستقبل الذى نؤمله ،والرائد الذى يحدو عزائمنا الى مالدينا من مبادىء وأهداف ، وقطب النجم الــذى يحدد لنا الاتجاه ، ونتبين به خطانا على سواء السبيل .

البهى الخولى

حتمية الحل الاشتراكى وتأميم المصارف وشركات التأمين

دكتور جمال الدين محمد سعيد

١ ـ مجتمع ما قبل الثـــورة :

ورثت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ مجتمعا يقوم على تحالف السيطرة الأجنبية مع الاقطاع والرأسمالية المستغلة • مجتمع يقوم على الفساد والرشوة والمحسوبية • فالمستعمر كان يسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية ويوجهها الوجهة التى تخدم مصالحه الخاصة ومصالح أعوانه من الاقطاعيين والرأسماليين ويجد العون فى تحقيق أهدافه ومآربه فى الملكية الفاسدة الطاغية وفى الأحزاب والشيع المتطاحنة والتى كانت مجرد دمى يحركها الاستعمار كيف يشاء •

كان مجتمع ماقبل الثورة مجتمعا يسوده التفاوت الطبقى العميق مما أدى الى فقدان الشعب لحقوقه وكرامته ، كان الظلم والاستغلال الاجتماعى الذى شهده المواطنون الشرفاء عنيفا الى حد لم تشهده دولة فى العصر الحديث. لقد أدى الى احتكار اقلة للميزات فى النظام الاقتصادى والى سيطرة ٥٪ من عدد السكان على كافة القوى الاقتصادية وتحكمها • كان التخلف الاقتصادى والاجتماعى والثقافى رهيبا وانعدمت الديمقراطية والفرص المتكافئة •

كان على الطلائع الثورية أن تهدم هذه الأوضاع الفاسدة لتبنى مجتمعا جديدا يحقق آمال ومصالح الشعب الأصيل ، فأعلن الرئيس جمال عبد الناصر منذ اللحظة الأولى وفى أول أيام الثورة المبادىء الستة المشهورة وهى :

١ ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه •
٢ ـ القضاء على الاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم •
٣ ـ القضاء على الاحتكارات •
٤ ـ اقامة عدالة اجتماعية سليمة •
٥ ـ اقامة جيش وطنى سليم •
٦ ـ اقامة حياة ديمقراطية سليمة •

أما المبادىء الثلاث الاولى فكان المقصود بها تصفية الاعتبارات القديمة التى بددت قوى الشعب واسقاط الرواسب المتخلفة من قرون الاستبداد والظلم الغزاة الأجانب بجيوشهم الرابضة فى منطقة قنال السويس ، والاقطاع الذى كان يستبد بالأرض ، وسيطرة رأس المال ، والاحتكار الذى سخر مواردالثورة لخدمة مصالح شرذمة من الرأسماليين •

أما المبادىء الثلاث التالية فكانت تمثل تصميم الشعب القاطع وزحفه المقدس ممثلا فى طليعته الثورية نحو اعادة تشكيل الحياة على أرض الوطن من جديد •

٢ ـ تجربة الرأسمالية فى التقدم أسقطتها القيم الانسانية

كان على الطلائع الثورية أن تختار طريقا للتقدم وكان أمامها طريق الرأسمالية والذى تلازم تلازما كاملا مع الاستعمار • لقد حققت بلدان العالم الرأسمالى انطلاقها وتقدمها فى ظل أوضاع تاريخية أحاطت بنشأة تلك البلاد ، وهى بلاد شهدت سبق الثورة الصناعية وكان لها مستعمرات غنية فأقامت تقدمها على أساس من نزح ثروات الشعوب والمستعمرات وبالقرصنة التى مارسها المغامرون الآوروبيون دون ضمير أو وازع من القانون أوالاخلاق كان تقدم الدولة الرأسمالية • وبعضها الآخر كانت له أسواق متسعة داخلية اذ كانت تمثل قارة بأكملها • ان قصص نمو الرأسمالية انما هى قصص تطفح بالألم وتفيض باستنزاف دماء شعوب آسيا وأفريقيا •

وقد كان معنى قبولنا للتجربة الرأسمالية كطريق للتقدم أن تترك الأمور لرأس المال الخاص وحده فى ميدان التنمية ، رغم ما ثبت من عدم قدرته على تحقيقها اذ أن الاستثمارات فى مجتمع ما قبل الثورة ضئيلة ، فلم تكن الاستثمارات فى الصناعة لتتعدى ٢ مليون جنيه ، بينما زادت الآن بأكثر من مائة ضعف • ومعنى هذا أيضا هو ترك الجهودلعفوية رأسالمال الخاص الذى تبت نزعته الأكيدة نحو الاستغلال الطفيلى واقامة التصنيع من وراء أسوار الحماية الجمركية العالية وماتفرضه من أثمان مرتفعةتضربالغالبية الكبرى للجماهير أو تربط مصير التقدم بحركة الاحتكارات العالمية وبئس المصير •

ان اتباع التجارب الرأسمالية •• كان معناه قبول أوضاع الطبقية وما قد تؤدى اليه من انفجار دموى مروع واستمرار لسوء عدالة التوزيع وكبرالدخول غير المكتسبة لطبقة العاطلين بالوراثة ، وقبول للتخلف الاقتصادى العميق لفترة لا يمكن تحديد مداها ، ونمو للاحتكارات والدخول الريعية واقرار لأوضاع الجمود وعدم القدرة على التحول وعدم الاستقرار التى تسببها البطالة والأزمات الى غير ذلك من مساوىء النظم الرأسمالية • ان المأساة المريرة مع الاستعمار

وتجاربنا مع الاقطاع والرأسمالية المستغلة الى جانب الاعتبارات الانسانية جعلت من المستحيل قبول النظام الرأسمالى والتجربة الرأسمالية طريقا للتقدم ·

٣ ـ تجربة الشيوعية تنافى قيمنا الدينية والخلقية

وكان أمام الطلائع الثورية تجربة الشيوعية كوسيلة وأسلوب للتقدم · وقد حققت الشيوعية أغراضها على أساس من السخرة ومزيد من الشقاء للشعب العامل تحت ضغط « تطبيقات مذهبية مضت الى حد التضحية الكاملة باجيال حية من تطرق بعد أبواب الحياة · لقد سلبت الأجيال الحاضرة كل ثمار عملها من أجل غد لم تستطع أن تراه وفى ظل الكبت النفسى والارهاب والطغيان · ان طبيعة العصر لم تعد تسمح بشىء من ذلك · فاذا كنا لا نؤمن بطغيان الفرد على الجماعة فنحن لا نؤمن أيضا بطغيان الجماعة على الفرد بحيث تمحو شخصيته وتجمدها فتجعل منه آلة تعمل دون وعى أو هدف · ان سعادة المجموع ليست مستقلة عن سعادة الفرد كما أن سعادة الفرد لا يجب أن تتم بعيدة عن سعادة المجموع ·

ان القيم الانسانية التى أسقطت الاستعمار وأسلوبه : أسقطت السخرة أيضا كمنهاج لتحقيق النمو ومعالجة التخلف ·

هذا فضلا عن أن أسلوب الشيوعية الماركسية يعارض كل المعارضة فى الملكية الخاصة ويرفض الارث الشرعى ويستوجب الغاء الملكية كلية ويلغى الحافز الانسانى ويقيم نظرية للتوزيع تعطى كل شخص حسب حاجته بصرف النظر عن انتاجه ، وترى اقامة مجتمع من طبقة واحدة ولا تعترف بفكرة الدولة سياسيا فضلا عن اصرارها على الصراع الدموى المسلح فى حل المشاكل للوصول الى الشيوعية الكاملة ، وهى تقوم على ديكتاتورية الحزب الواحد ، ديكتاتورية على طبقة البروليتاريا ، ولها نظرية فاسدة فى الاستغلال ، وصرح نظرى غير سليم ، كنظرية القيمة الفائضة ، ونظرية التراكم ، ونظريته فى الأزمات ·

ان الشيوعية الماركسية فضلا عن أنه يعوزها التقدير القياسى فهى أيضا تنكر الجانب الروحانى المستمد من القيم الخالدة النابعة من الأديان ورسالات السماء ، بل هى تذهب لأبعد من هذا فتصف الأديان بالرجعية ·· **اننا نرى على العكس من هذا تماما أن الايمان الدينى لا يتعارض مع حرية الفكر الانسانى ، بل هو الصمام ضد الجمود والتعصب · ان رسالات السماء جميعا استهدفت شرف الانسان وسعادته ، والحوافز الروحية وحدها هى القادرة على منح التقدم انبل المثل العليا لمواجهة احتمالات التقدم وقهر ما يعترضها من صعاب ··**

ان الطاقات الروحية هى وحدها القادرة على صنع المعجزات • ان القيم الانسانية التى أسقطت الاستعمار وأسقطت أسلوبه للتقدم رفضت أن تأخذ بالسخرة منهاجا للتقدم •

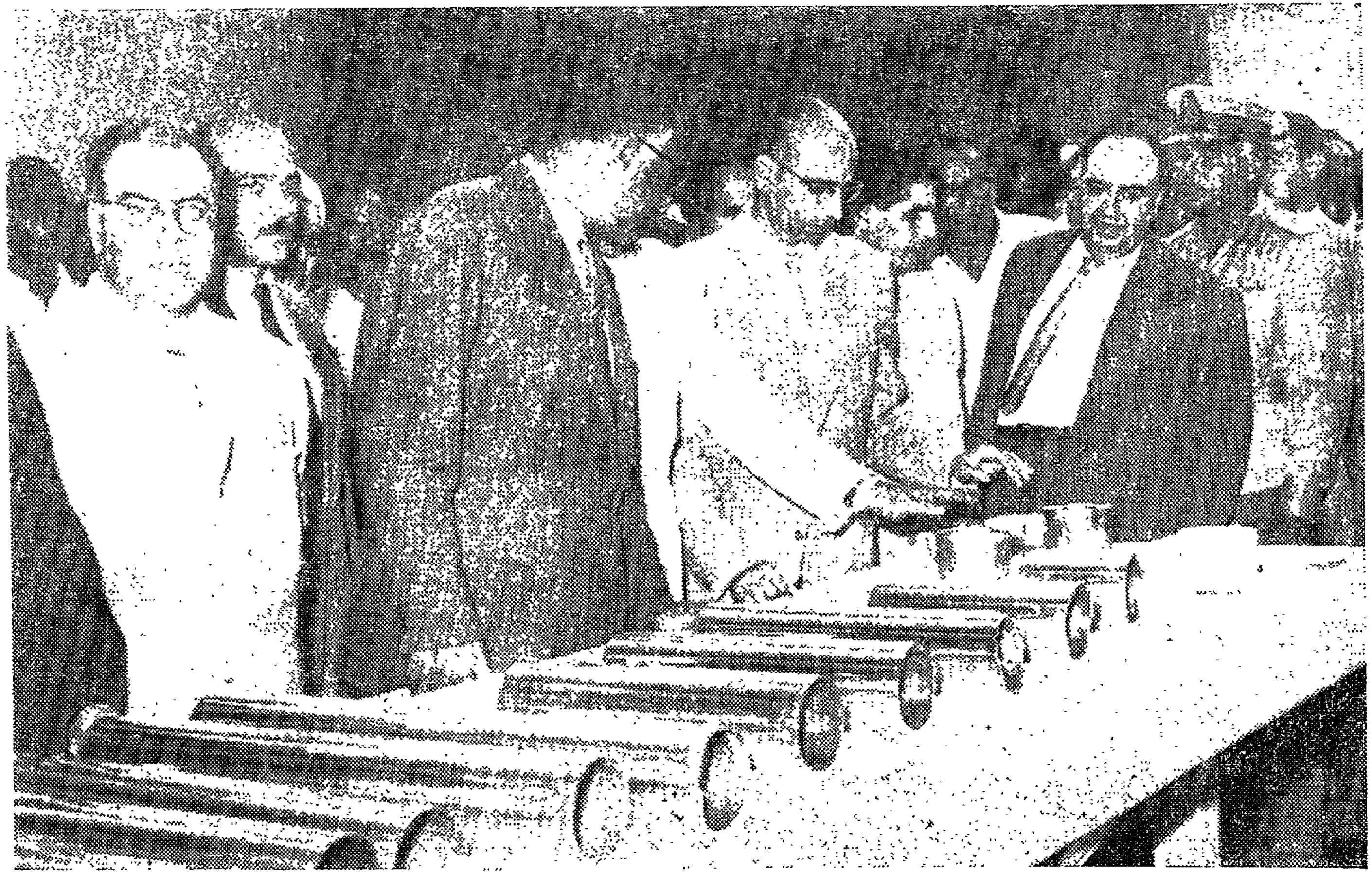
. . . .

٤ ـ الحرية الاجتماعية فرضت حتمية الحل الاشتراكى

لقد فضلت الطليعة الثورية أن تسير فى الزحف الثورى وتطوير الحياة وبناء المجتمع الجديد فى ضوء المبادىء الستة المشهورة التى أسلمها لها النضال الشعبى والتى كتبها الشعب بدماء شهدائه • لقد مضت الطليعة بقيادة البطل تطور هذه المبادىء وتحركها بالتجربة والممارسة والتفاعل الحى مع التاريخ القومى نحو برامج تفصيلية لتحرير الشعب من كافة عوامل القهر والاستغلال والتى تحكمت فيه طويلا ولتحقق حرية الوطن والمواطن ، وتؤكد سيادة الشعب وحريته حتى تبلور الطريق أمامنا • وقد كان طريق الحرية الاجتماعية يفرض الاشتراكية العربية أسلوبا للتقدم • اشتراكية عربية وليست مجرد تطبيق عربى للاشتراكية •• نظام جديد وتجربة رائدة تضيف زادا جديدا الى التجارب العالمية الناجحة • نظام جديد صاغه هذا الشعب من ايمانه بنفسه ومن كفاحه فى ماضيه ، من مثله العليا وخصاله العربية الأصيلة • وتبلورت الاشتراكية العربية ذات الخصائص المميزة منذ صدرت قوانين يوليو الاشتراكية لعام ١٩٦١ محققة ارادة الشعب فى صياغة الحياة من جديد لتحقيق أمانيه فى بناء المجتمع الاشتراكى •

وأقولها عالية مدوية ، اشتراكية عربية ، نظام مبتكر وأسلوب جديد فرضته حتمية تاريخية وواقع ملموس وآمال عريضة للجماهير • نظام مستمد من كفاحنا وقيمنا الروحية والدينية ومبادئنا العربية الأصيلة وبيئتنا وظروفنا الاجتماعية • اشتراكية عربية ، تهدف « لاقامة مجتمع الكفاية والعدل، مجتمع العمل وتكافؤ الفرص • مجتمع الانتاج والخدمات » ، اشتراكية عربية أى نظام اقتصادى واجتماعى كامل له كل مقوماته • **ان الحرية السياسية لا معنى لها ما لم تساندها الحرية الاجتماعية •**

ان الاشتراكية العربية وان كانت تشترك مع بعض الاشتراكيات الحديثة فى بعض الخصائص أو المقومات وان كانت لم تهمل التجارب المثمرة الحية والتطبيقات الناجحة الا أنها ميزت نفسها كنظام له فلسفته المستقلة وخصائصه المستمدة من الواقع الذى كنا نعيش فيه ، من صور الاستغلال والاستبداد وعدم تكافؤ الفرص والمظالم الاجتماعية وأثقال الفقر والمرض والجهل التى ورثناها من عهود الاستعمار والاقطاع والرأسمالية المستغلة • وهى لا ترتبط نظريا ولا فى وسائل تطبيقها بغيرها من النظريات أو الفلسفات أو العقائد المذهبية • انها تتميز لا كحركة اقتصادية فحسب ولكنها تتميز كنظام ومذهب انسانى



فى المصانع الحربية الرئيس عبد الناصر يتفقد سير العمل بها

وأسلوب للحياة يهدف لاقامة مجتمع جديد • انها نظام يقوم على أهداف وبرامج ودليل عمل هو الميثاق ، انها تحول الاشتراكية من مجرد الفكرة الى الواقع الحى الملموس • انها ليست مجرد عملية نقل الملكية أدوات الانتاج من الافراد الى الدولة أو المجتمع ، وليست مجرد سيطرة من جانب الدولة لتوجيه الاقتصاد القومى ولكنها تركيز للملكية ولقرارات توجيهها وعوائدها فى يد الشعب فى مجموعه لخدمة الصالح المشترك للشعب العامل • فهى تتعدى حركات الاصلاح الى نطاق الحلول النظرية والعملية لمشاكل الفرد •

انها عملية بناء لمجتمع تؤمن فيه كل الضمانات . ولعلنا نجعل فى هذا المجال خصائص هذه الاشتراكية العربية المميزة لها عن سائر الاشتراكيات القديمة والحديثة :

١ ـ الايمان بالله وبرسالاته وبالقيم الدينية والروحية •

٢ ـ اشتراكية تقيم توازنا بين المجتمع والفرد فلا يطغى الفرد على المجتمع أو يطغى المجتمع على الفرد •

٣ ـ الاعتراف بالملكية الخاصة فى حدود وبحق الارث والهبة والوصية•

٤ ـ الايمان بحل المتناقضات الطبقية سلميا وذلك بتذويب الفوارق بين الطبقات واسقاط الميزات التى أدت الى الأوضاع الطبقية •

٥ ـ تقديس العمل باعتباره شرف وحق وواجب واسلوب حياة •

٦ ـ اشتراكية ديمقراطية تبرز الارادة الشعبية وتجعل من الشعب القائد والمعلم •

٧ ـ اشتراكية تقوم على التعاون ولا سيما فى المجالات الضعيفة التى يحقق فيها التعاون رسالة سامية •

٨ ـ اشتراكية فى الخدمات وتحقيق تكافؤ الفرص والرخاء والثراء والرعاية الاجتماعية والصحية والثقافية والتعليمية •• الخ •

٩ ـ اشتراكية علمية تاخذ بأسلوب التخطيط العلمى لتحقيق الكفاية والعدل وضمان تحقيق مستويات عالية من النمو الاقتصادى ، ومستويات مرتفعة من الدخل القومى وذلك باعتبار التخطيط الاشتراكى الكفء هو الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام الموارد لتحقيق الخير والرفاهية لجموع الشعب بطريقة علمية وانسانية •

١٠ ـ اشتراكية تقوم على توسيع قاعدة الملكية الخاصة وتوسيع اطار منفعتها •

١١ ـ اشتراكية تقوم على خلق قطاع عام قوى قادر على قيادة التنمية الاقتصادية •

٥ ـ فلسفتنا من التأميم :

ان الحديث في مجال خصائص الاشتراكية العربية حديث طويل يحتاج الى مؤلفات ضخمة ، ولما كان موضوع هذا المقال يهدف بصفة خاصة الى توضيح حتمية الحل الاشتراكي وتأميم المصارف وشركات التأمين فانه يتعين علينا وقد عالجنا حتمية هذا الحل الاشتراكي وأوجزنا خصائص الاشتراكية العربية فان الأمر يتطلب بحث فلسفة تأميم المصارف وشركات التأمين ٠

لقد أوجزنا في الحديث عن خصائص الاشتراكية العربية بأن الاشتراكية العربية تؤمن بالملكية الفردية وبحق الارث الشرعي وبتوسيع قاعدتها وزيادة اطار منفعتها ٠ وهي بعكس النظم التي تعتبر الملكية الخاصة أساس الاستغلال ومن تم تصادرها وتلغيها الغاء تاما ، تقوم على الملكية وترعاها في الحدود التي تمنع الاقطاع والاستغلال من أن يطل بمفاسده مرة أخرى على اقتصادنا القومي٠ ان الملكية في نظرنا وظيفة اجتماعية يجب أن تقوم على خدمة مصالح الجماعة وهي أمانة لابد لصاحبها من أن يصونها عن الاستغلال بقدر ما يطلب من الدولة أن تظلها برعاية القانون ٠

واذا كان القطاع العام لم يقم كله على التأميم وانما اتبع في تكوينه عدة أساليب منها المشاركة في رأس المال ، ومنها الحد من ملكية الفرد في رأس المال ومنها الاشراف على الادارة ٠٠ الخ ٠ الا أنه في مجال المصارف وفي مجال التأمين بالذات رؤى أن يكون التأميم كاملا لعدة أسباب سنجملها فيما بعد ٠٠ على أن نظرتنا الى التأميم ليست كما يعتقد البعض عقوبة تحل برأس المال الخاص حين ينحرف وليست نظرتنا تقوم على المصادرة وانما على تعويض الملكية الخاصة تعويضا مجزيا عادلا ٠ ان نقل الملكية من المجال الخاص الى ملكية الشعب أكبر من أن يستهدف معنى العقوبة ٠ ان نظرتنا الى التأميم خالصة من كل الشوائب التي حاولت المصالح المغرضة أن تلصقها به ٠ ان نظرتنا الى التأميم بصفة عامة تقوم على الآتي :

١ ـ التأميم نقل من الملكية الخاصة الى مجال الملكية العامة للشعب لقاء تعويض مجزى وعادل وليس مجرد عقوبة تحل برأس المال الخاص حين ينحرف ٠

٢ ـ ان التأميم ليس ضربة للمبادرة الفردية كما ينادى أعداء الشعب وأعداء الاشتراكية وانما هو توسيع لاطار المنفعة وهي مسألة تقتضيها مصلحة التحول الاشتراكي ، وذلك باشراك الشعب في عائدات الملكية العامة وتوجيه هذه العائدات لرفع مستوى الخدمات التي تقدم له وزيادة الانتاج بما يعود عليه بالخير والرفاهية ٠

٣ - **ان التأميم ضرورة تفرضها اجراءات الأمن الاقتصادى ، فالمصارف مثلا تؤدى وظيفة وطنية لا يمكن تركها للمضاربة أو المغامرة ، كما ان شركات التأمين تكون وعاء هاما من أوعية تجميع المدخرات الوطنية التى ينبغى صيانتها وضمان حسن توجيهها والحفاظ عليها .**

٤ - **أن التأميم يقوم على أساس هام يتبلور فى قدرة القطاع العام على الوفاء بالمسئوليات بقدر أكبر وأعظم من ناحية الكفاية سواء فى تحقيق أهداف الانتاج أو فى رفع مستواه النوعى من القطاع الخاص والا فان الحاجة الى التأميم قد تقل .**

٥ - **التأميم فى نظرنا يدعو الى ضمان استمرار قوة الدفع الثورى فى المجالات الاقتصادية ويؤدى الى نجاحها مؤكدا سيادة الشعب على مقدرات الثروة فى بلاده ويقطع الطريق على كل محاولات التسلل والدوران من حول أهداف الشعب لحساب المصالح الانتهازية أو الاستغلال الطفيلى او تحكم المراكز الطبقية الممتازة . فهو اجراء يمكن من الاندفاع فى خطة التنمية دون معوقات .**

٦ - **لماذا أممنا المصارف وشركات التامين :**

أما لماذا نؤمم المصارف وشركات التأمين بصفة خاصة وجعلناها كلها فى اطار الملكية العامة ، فانه بالاضافة الى كل ما سبق من مبررات التأميم فان المصارف وشركات التأمين تلعب دوراً خطيرا فى الحياة الاقتصادية لا يمكن **تركه لعفوية جهود القطاع الخاص . ان** المصارف وشركات التأمين مرفق رئيسى فى الحياة الاقتصادية تتجمع لديها ودائع ومدخرات الأفراد والمؤسسات والمنظمات وتتدفق منها هذه الأموال وتسير فى الشرايين فى شكل استثمارات وقروض واعتمادات للزراعة والصناعة والتجارة . فهى مجمع رئيسى تنساب منه الأموال المدخرة الى حيث تقوم بخدمة مجالات الاستثمار المختلفة التى تحددها خطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

ولعلى أشير فى هذا الصدد الى نقطة هامة خطيرة يتطلبها حسن التخطيط **والى اجراء حيوى يقتضيه نجاح التمويل** لخطة التنمية ويتلخص هذا الاقتراح فى « ضرورة رسم الخطة الائتمانية » التى تلتزم بها المؤسسة المصرية العامة **للبنوك وجميع البنوك التجارية والبنوك** المتخصصة .

ان الخطة الائتمانية لابد وأن تسير مع خطة التنمية الاقتصادية تساندها وتعزز نجاحها وترتبط البنوك بتنفيذها ، ان رسم جدول ائتمانى يعتبر جزءا لا يتجزأ من خطة التنمية ويعتبر من أولى ضرورات نجاح سياسة التمويل .

ان تخطيط السياسة النقدية والائتمـــانية مسألة حيوية لنجاح التخطيـــط الاشتراكي الشامل الذى اعتبرناه أسلوبنا العلمى فى بناء المجتمع الجديد ، ان على هذا القطاع بالذات عبئا كبيرا • ان العوامل النقدية تلعب دوراً هاما متزايدا فى نجاح خطة التنمية ولا ســيما فى المرحلة الحالية التى تتطلب انطـــلاق فاعليات كل الأجهزة • ان تخطيط النظام المالى الديناميكى ومتغيراته المختلفة وعلاقاتها وطبيعة مكونات العرض النقدى ودورها وحدود السلطات النقـــدية ومدى رقابتها على المؤسسات المالية مســـائل ايجابية تقتضى طبيعـــة المرحلة الحاسمة من الانطلاقة التى نخوضها أن تكون فى يد القطاع العام •

والى جانب هذا السبب الهام الخطير فانه توجد أسباب فرعيـــة أخرى نؤيد ضرورة تأميم هذه الأجهزة نجملها فى الآتى :

أولا ــ فيما يختص بتأميم البنوك المركزية :

١ ــ تمشيا مع المجتمع الاشتراكى الجديد •

فلم يعد للنظام الحر البحت الذى ساد اقتصاديات القرن التاســع عشر وبداية القرن العشرين تلك السيادة ، وقد زالت معه حرية التصرف التى كانت **تترك للبنوك المركزية وتجعل من شركة مساهمة رقيبا على الحكومة** • وحتى فى ظل الاقتصاد الحر الذى لازمه نظام الذهب وما يتصف به من ذاتية تجعـــل النظم النقدية مسألة أوتوماتيكية بحتة وتخضع الاقتصاد القومى للدولة الى الاعتبارات الدولية وتحل المشاكل فى ضوء تحركات الذهب بحرية تامة من والى الدولة لتحدث أثرها على الجهاز الائتمانى ومستويات الاسعار والدخـــول لم يعدم مبدأ سلطة الدولة باعتبار أنها صاحبة الكلمة العليا فى شئون النقـــد والائتمان من أنصار • **فيذكر (مونتاج نورمان) محافظ بنك انجلترا فى عام ١٩٢٦ : أن العلاقة بين البنك والحكومة تقوم على اسداء البنك النصح للحكومة فهو ضمن مستشاريها ولكن يجب ان يخضع دائما السلطة الدولة العليا •**

فنمو النظم الاشتراكية والنظم الموجهة يجعل هناك من المشروعات مايجب أن تملكه لدولة ، وهناك ما تشرف عليه وهناك ما تتركه فى يد الملكية الخاصة وشئون النقد والائتمان من المسائل المعترف فيها بسلطة الدولة المطلقـــة • والرقابة لا شك تكون أجدى لو تحققت الملكية للدولة عن طريق التـأميم • ولا يمكن أن يعتبر تأميما مجرد ادارة الدولة للمشروعات وانمـــا لابد من الملكية • فالتأميم يحقق هنا صفة القومية ويغلبها • وقد أخذت الكثير من الدول بمبدأ تأميم بنوكها المركزية مثل انجلترا وفرنسا والدانيمرك والباكســتان ودول أمريكا اللاتينية • ولسنا فى الجمهورية العربية المتحدة مقلدين أو محاكين وانما عاهـــدنا أنفسنا على اقامة اشتراكية عربية سليمة ــ نظام يهدف الى زيـــادة الانتاج والدخل وتحقيق الرفاهة لعامة أفرادالشعب ويهدف لحسن توزيـــع

٢ ـ ضرورة تنسيق السياسة النقدية ضمن اطار السياسة المالية للدولة

من المعروف ان السياسة الماليةمعقود لواؤها للدولة ـ ولابد للسياسة النقدية من أن تنسق مع السياسة المالية • فلم يعد طابع العصر الحاضر الارتجال وعدم وجود سياسة اقتصادية مرسومة أو قيام سياسة هادفة لخدمة الاقلية وافقار الشعب • ان طابع النظام الحاضر التخطيط والتوجيه واتباع السياسات الاقتصادية المدروسة التى تهدف لتحقيق خير الشعب العامل ورفع مستواه • كما زاد المشكلة تعقدا مشاكل التوازن والنمو وسد العجز فى موازين المدفوعات وقيام أحكام للرقابة على النقد ونظم التحديد الكمى للاستيراد ونظم توجيه الصادرات •• الخ • وقد وضح فى تقرير لجنة (رادكليف) حديثا جدا فى انجلترا والخاص بتنظيم الادارة النقدية والمصرفية وضرورة اجراء التنسيق بين السياسة المالية وبين السياسة النقدية • واللجنة فى هذا انما تأخذ بالمبادىء الاقتصادية الحديثة التى ترى أن السياسة النقدية لم يعد لها كيان أكثر أهمية كالدخول الممكن التصرف فيها أى بعد خصم الضرائب وحجم ميزانية الدولة أى حجم الانفاق العام وحجم الطلب وامكان الجمهور تغيير نسبته ـ اذ البنك المركزى فهو أحد أجهزتها ومستشاريها ومن ثم لزم التأميم لتحقيق هذا الهدف وضمان التشخيص والحكم السريع والبت فى المشاكل وتحقيق يؤكد ذلك « جامبينو » فى ايطاليا « وشيندر» فى ألمانيا والمدخرات وحجم القروض كجزء متمم لها ، والحكومة دون شك صاحبة اليد الطولى فى هذا المضمار ـ أما مستقل • فلجنة « رادكليف » تؤكد أنه لافائدة من التحكم فى عرض النقود مالم تنظر الى سيولة الاقتصاد القومى فى مجموعه والذى يعتبر عرض النقود أحد مكوناته • فالسيولة ليست قاصرة على عرض النقود ولكن هناك عوامل قد تكون التى تمنحها البنوك التجارية وسياسة الحكومة فى سداد أو عدم سداد القروض ••• الخ • والسياسة النقدية ينبغى أن تنسق مع السياسة المالية الثروة والدخل بين الأفرادويقضى على الاحتكارات وسيطرةرأس المال ـ وكانمن الطبيعى ـ اذن ـ أن تؤمم الدولة البنك المركزى ـ والا لكان هناك تعارض دائم بين الصالح الخاص للبنك وبين ما تبغى الدولة تحقيقه من أهداف •

المرونة وليست التقاليد •

٣ ـ التأميم يؤدى الى جنى الشعب أرباح الاصدار كاملة

فى بعض الدول تذهب أرباح الاصدار الى الدولة بأكملها وفى البعض الآخر كالجمهورية العربية المتحدة كان يذهب جزء منها ١٥٪ للمساهمين ـ وقد كانت هذه النسبة توازى ربحا يقدر بمليون جنيه يذهب للمساهمين مع أنه ليس للمساهمين من ناقة أو جمل فى تحقيق هذه الأرباح ـ بل هو يرجع

الى احتكار الاصدار وهو حق تمنحه الدولة للبنك المركزى ومن ثم فان التأميم قد أعاد الى الشعب حقوقه كاملة .

٤ – التأميم واجب لتغليب النزعة المركزية العامة على النزعة الخاصة :

ففى البنوك المختلطة التى تزاول الى جانب أعمال البنوك المركزية القيام بالعمليات التجارية العادية ، كما كان الحال فى البنك الأهلى قبل التأميم وقبل قسمته الى مصرفين البنك المركزى والبنك الأهلى ، كانت تضحى بخدمة الجمهور .. فعادة ما كان ينشأ تعارض بين ما تتطلبه المصلحة العامة كما فى حالة الرواج من ضرورة الحد من كمية الائتمان وبين المصلحة الخاصة للشركة المساهمة (البنك المركزى) من الرغبة فى تحقيق الربح لارضاء المساهمين . أى عادة ما تغلب مصلحة المساهمين على الصالح العام للشعب . فليس من أهداف البنوك المركزية تحقيق الأرباح . فالبنوك المركزية المختلطة غير المؤممة منشآت رأسمالية لا تحقق الخدمات العامة التى يتطلبها المواطنون – وتأميم هذه البنوك فضلا عن انهائه لحالات التعارض التى قد تقوم بين الصالح العام والصالح الخاص تجعل أرباح العمليات المصرفية الكبيرة من حق الشعب العامل كله .

٥ – الاستفادة من الأرباح غير الموزعة والاحتياطيات فى خدمة الأغراض العامة

ففى هذه الحالة تصبح الأرباح غير الموزعة والاحتياطيات من حق الشعب – فقد آل الى الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة الأرباح غير الموزعة عندما صدر قانون التأميم – وهذا خلاف الاحتياطيات .

٦ – ضرورة تحقيق النمو الاقتصادى :

فطبيعة النظام الائتمانى فى الدولة النامية تدفع الى التأميم لضرورة التوجيه والرقابة واستخدام السياسة النقدية كعامل مساعد فى تحقيق التوظف الكامل فى تحقيق التنمية الاقتصادية . فالهدف هو تحقيق أقصى انتاج ممكن وتحقيق التوظف الكامل وزيادة الدخل – وليس مجرد تحقيق أغراض مستقلة تدور فى العقل الباطن لمحافظى البنوك المركزية . فالتنمية تتطلب أن يكون البنك المركزى من الأجهزة العامة .

٧ – تأميم البنوك المركزية يساعد فى احداث تعديلات جوهرية فى السياسة النقدية والمصرفية :

اذ يعالج بعض المواقف الشاذة مثل تهريب النقد أو الهبوط المصطنع فى قيمته .

ثانيا ـ تأميم البنوك :

يمكن تلخيص أهم الدوافع لتأميم البنوك فى الآتى :

١ ـ مسايرة الاتجاهات والنزعات الاشتراكية أيضا

ففى اعتقادى لا يوجد منطق يؤيد تأميم البنوك المركزية دون البنوك التجارية ـ فالمنطق واحد اذ أن البنوك التجارية خالقة لتلك القوة الهائلة وهى الائتمان ـ ولا يخفى أن حجم الائتمان فى المجتمعات المتقدمة والنامية أكبر من كمية النقد المصدر • ولا يخفى أن تغيير كمية الائتمان وطريقة توجيهه تؤثر كل الأثر على المجتمع كله ـ ولا سيما اذا كان هناك شبه احتكار تتمتع به بنوك الودائع كما أنها قد تؤدى الى محاباتها لبعض الطبقات أو الى كبار العملاء دون صغارهم ـ وقد تغرق فى ارضائهم على حساب الصالح العام • وأحيانا قد توجه السلف توجيها خاطئا قد لا يتمشى مع السياسة العامة للدولة • وقد تخرج عن حدود وظيفتها فيكون اقراضها لآجال طويلة أو فى سلف صناعية متوسطة أو طويلة الأجل مما يتنافى مع طبيعة بنوك الودائع كما حدث لبنك مصر فى سنة ١٩٣٩ ـ وباختصار فخلق النقود المصرفية لا يصح أن يترك شأنه للشركات المساهمة •

وقد يرد على هذه الحجة بأن البنك المركزى له حق الاشراف ـ وردى على ذلك أنه فى الدول النامية تختلف الأوضاع عنها فى الدول المتقدمة من حيث العادات والتقاليد المصرفية ومن حيث وجود سوق للنقد قصير الأجل غير مكتملة ويتضح لنا هذا من عرض سريع لمدى كفاية أدوات الرقابة النقدية •

(أ) السعر المركزى

وهذا السعر مهما ارتفع فلم يقو على التحكم والحد من حيث الائتمان ويثبت ذلك الأستاذ لورانس من واقع مثال فرضى حيث يفترض أن نسبة الاحتياطى النقدى للبنوك التجارية لدى البنك المركزى ١٠٪ ويصل الى رفع السعر المركزى من ½٤ ٪ الى ٩ ٪ يعوضها البنك التجارى برفع سعره من ٥ر٦ ٪ الى ٩ر٩ ٪ لأنه خالق للائتمان بأضعاف كمية النقد الاضافية الناتجة عن اعادة الخصم • وأن رفع سعر البنك المركزى الى ٩٠ ٪ يجعل البنوك التجارية تصل بسعر الخصم الى ١٠ ٪ فقط • هذا فضلا عن العقبات الأخرى أمام السعر المركزى كمشكلة التوقيت ، كما أنه يكون جزءا ضئيلا من نفقة الانتاج ، كما أن الاستثمارات قد لاتكون من المرونة الكافية لمواجهة التقلبات •

(ب) السوق المفتوحة :

وهى قيام البنك المركزى ببيع وشراء السندات ، ونجاحها يتطلب وجود سوق مالية متسعة بحيث لا تؤثر على عمليات البيع أو الشراء على أسعار السندات

الا فى حدود المعقول ـ وهذا ما لا يتوافر للدول النامية لضيق نطاق السوق المالى مما يجعل تقلبات أسعار السندات ومعظمها حكومى عنيفة للغاية ٠

(جـ) سياسة نسبة الاحتياطى

وهى قوية الأثر فى فترات الرواج وقد تقتله مبكرا كما لا أثر لهـا فى معالجة الكساد اذ بالرغم من خفض النسبة فالمسألة مازالت متوقفةعلى الطلب الذى تحدده الكفاية الحدية لرأس المال وهذه تتوقف على توقيعـات أرباب الأعمال ٠ ولا شك أن موجة التشاؤم تجعل تقديرات أرباب الأعمال للموقف سيئة للغاية ٠

(د) سياسة النصح والارشاد :

وهى أضعف الايمان وتستند الى أن البنك المركزى هو المقـرض الأخير لبنوك الودائع ٠

وباختصار فالتأميم واجب لكى تصبح البنوك التجارية من أجهزة الدولة وتسير فى خطة واحة منسقة تكتمل فيها السياسة المالية والنقدية ٠

٢ ـ تعدد الفروع

اذا كان النظام المصرفى يقوم على فكرة تعدد الفروع وما يتبعها من تضخم فى عدد الموظفين وبالتالى تبديل الموارد الاقتصـادية بحيث تؤدى الى زيادة التكاليف فتصبح كلها فروعا تعمل دون حد الكفاية مما يحـول دون مزايا الانتاج الكبير وقد يرد البعض على هذا بالمطالبة بتحقيق الاندماج ولكن الاندماج يزيد من القوة الاحتكارية لهذه المصاريف وهو وضع غير مرغوب ٠

٣ ـ الاستفادة من الأرباح والاحتياطيات :

ضخامة الأرباح والاحتياطيات ليست ناتجة عن رءوس أموال المساهمين بعد يكون رأس المال مليونى جنيه تبلغ الودائع ١٠٠ مليـون ، فالأرباح تتحقق نتيجة استخدام توظيف الودائع ومن تم فالأرباح والاحتياطيات ليست كليا من حق هذه الطبقة التى قد تحتكر الجزء الأكبر من رأس المال الذى غالبا مايكون مستثمرا فى المبانى والأساس فكأننا نأخذ من جماهير الشعب المودعة لنعطى طبقة من الرأسماليين ، فالتأميم يعيد الأرباح الى أصحابها الحقيقيين ٠

٤ ـ ضمان توجيه الثروة الى مشروعات التنمية

قد لا توجه القروض الوجهة التى تبغيها الخطة من توظيف المواردكاملة والتنمية الاقتصادية وتعبئة الجهود بالطريقة التى تضمن حسن تنفيذ الخطة على نحو ما أوضحنا ٠

٥ ـ التأميم يجب أن يقوم فى حالة البنوك التجارية القابضة :

فالملاحظ أن البنوك التجارية القابضة تؤدى سيطرتها الهرمية على عدد كبير من الشركات الصناعية الى وجود قوة محتكرة توجيهية كبيرة • ولاسيما أنه يمكن لعدد قليل من الشركات احتكار الميدان الانتاجي بخلاف طبيعة الانتاج الزراعى • ويخشى سوء التوجيه من بنك في شكل شركة مساهمة • وقد يتدخل هذا البنك فى الحياة السياسية ويقيم حكومات ويسقط أخرى وقد حدث هذا فى الماضى من جانب جماعة بنك مصر قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو المباركة •

فالتأميم اذن هو الوسيلة لنقل أجهزة جديدة من أجهزة التوجيه والتنفيذ الى ملكية الشعب لخدمة أغراضه وأهدافه وبناء مجتمع العزة والكرامة •

ثالثا ـ تأميم شركات التامين :

تعتبر شركات التأمين ـ ولا سيما التامين على الحياة ـ وعاء هاما نتكون فيه المدخرات الوطنية ، ويقتضى حسن توجيهها والحفاظ عليها ضرورة تأميمها لمواجهة معركة التخلف • وان اتساع مسافة التخلف بين الدول التى سبقتنا وبيننا لا تسمح اطلاقا بترك الأمور لمنهاج التقدم الفردى الذى لا يحركه غير دافع الربح الأنانى • ان مواجهة التحدى لا تتم الا بشروط أهمها :

١ ـ تجميع المدخرات الوطنية مهما كانت صغيرة سواء فى القطاع المنظم او فى شكل مدخرات اجبارية أو فى القطاع العائلى •

٢ ـ ان تأميم هذا القطاع يضمن وضع خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات بما يتسنى للقطاع العام « نخبرات فنية ممتازة ومن اجهزة قادرة ، ومن توجيه سليم وتخطيط شامل وتعبئة لهذه المدخرات •

كلمة ختامية :

ان تأميم البنوك وشركات التأمين باعتبارها أجهزة هامة من أجهزة المجتمع سوف يمكننا من مواجهة المعادلة الصعبة التى وردت فى ميثاق العمل الثورى والتى يكمن فى حلها نجاح العمل الوطنى ماديا وانسانيا • كيف يمكن أن نزيد الانتاج ، وفى نفس الوقت نزيد الاستهلاك فى السلع والخدمات ؟ هذا مع استمرار التزايد فى المدخرات من أجل الاستثمارات الجديدة • هذه المعادلة الصعبة تتطلب فيما تتطلب ايجاد تنظيمات ذات كفاية عالية وقدرة ممتازة فى تجميع المدخرات وتنمية الوعى الادخارى لا فى مجال القطاع العام فحسب والذى يقع على عاتقه عبء تكوين الجزء الأكبر من المدخرات وانما أيضا يقع على

الشعب • فالمشاركة الشعبية ضرورة كبرى • فالقطاع الخاص له أيضا دوره الفعال فى خطة التنمية ولا سيما أن الكثير من القطاعات ما زالت فى يد القطاع الخاص • فالقطاع الزراعى بأكمله فى يد القطاع الخاص ، وقطاع المبـــانى بأكمله فى يد القطاع الخاص ، وقطاع الرأسمالية الوطنية فى تجارة التجزئة ثلاثة أرباعه فى يد القطاع الخاص ، وقطاع الصادرات متروك ربعه للقطـــاع الخاص ، وفى قطاع الصناعة ما زال للقطاع الخاص مجالات متسعة للعمل سواء فى الصناعات الخفيفة والاستهلاكية وأصحاب الحرف •

ان اسهام كل الشعب بما يتحقق له من مدخرات ولا سيما بعـــد اعادة التوزيع الكبرى فى الدخل القومى نتيجة لقوانين يوليو الاشتراكية المجيـدة التى ردت للعامل والفلاح كرامته وضمنت له حدا أدنى من الدخل ونصيبا من الربح ورفعت مستويات الدخول •• الخ • ضرورة كبرى لنجاح خطة التنمية التى وضعت من أجل الشعب العامل •

مما سبق ندرك الأهمية الكبرى لتأميم هذه الأجهزة وندرك الفلســـفة العميقة الخيرة التى قام عليها الحل الاشـــتراكى كما ندرك مغزى التـــاميم باعتباره أسلوبا من أساليب بناء المجتمع الجديد الذى يقوم على الكفاية والعدل ، ودفع الانتاج والخدمات فى سرعة كبيرةووفقا لأسلوب علمى وتخطيطى يضمن انتصار النضال الشعبى فى معركة الانتاج وتحقيق الحرية الاجتماعية واقامة مجتمع أفضل وأسمى •

والله ولى التوفيـــق ••

جمال الدين محمد سعيد

أين تقف القوات المسلحة من الميثاق الوطني

عقيد . أ . ح .
حسني عبد المجيد

لعلي لا أكون مغاليا ان قلت : أن أبواب الميثاق الوطني العشرة ، تشكل مرآة تعكس صورة واضحة الأبعاد للقوات المسلحة العربية المصرية ٠٠ صورة اصبحت ثابتة ٠٠ مستقرة قاعدتها الوعي والاصرار ، وبناؤها يحركه الهدف، وجماعية القيادة ٠

ولا أكون مغاليا ٠٠ ان قلت أن الميثاق الوطني ، بعث فينـــا نحن رجال القوات المسلحة ـ ولأول مرة الاحساس بالوجود ، بعد أن هبت ارادة الثورة ، ونحتت مطالب النضال الشعبي واحتياجاته في ستة مبادىء ، حملت القوات المسلحة ، على عاتقها ، مبدأ منها حدد لها كيانها وبعث من خلال هـــذا الكيان احساسا طاغيا بالمسئولية والواجب ، وهو ماكان ينقصنا بحق ، فـلم تكن القوات المسلحة في يوم من الأيام بقدر ما هي عليه الآن ، من وضـــوح الفكرة وتجسد الهدف ولم يبق علينا ، نحن أعضاء الخلية وقد حدد لنا الميثاق دورنا الطليعي في كل زحف مقدس الا ان ننظر لداخلنا ، لنقيم ونطور ونحسن ونعطي مسئولية الرسالة حقها بعد أن حملناها ٠٠٠ واذا كان الميثـــاق الوطني ، قد رسم لنا الطريق ٠٠ وبلور الغد ٠٠ فلا علينا من ان نناقش بصراحة وقوة ٠٠ أين نحن من الميثاق ، وهذه محاولتي ، في مفهومي واحساسي وانطباعي ٠٠

في امسنا ٠ ٠

كنا لاهثين ، لم تكن تعوزنا الوطنية ، ولم نكن نفتقد مقومات الشـــعور بالرجولة ٠٠ وكنا أصحاب رأى ، بالوعي واللاوعي نؤثر فيمن حولنـــا ونتأثر به ٠٠ وماضينا حمل قبسا مشجعا عزيزا على كل من قرأ ووعى ، ولكن لم نكن نحمل عبء الهدف ، وثقل مسئوليته أو بمعنى أوضح كنـــا على غير هدى ، مفتقدين للضوابط ، متناثرين على قاعدة التفكك ٠٠ كأفراد كنت تلتمس فينا

انروح وانرغبه .. ولكن علامة الاستفهام الكبرى .. علامة الحيرة لا تلبث أن تظلل أيامنا .. هل فينا القائد ، ترى هل هو موجود ، ومن خلال تعقد الفكرة، وكثافة الاجابة ، والشك فى القيم ، من خلال كل هذا ، تحدد وتجسد الفراغ الهائل في الزعامة والقيادة ، في صورة رهيبة لكل ثورى فى القوات المسلحة .

أنا شخصيا ، أرفض - باحساس وعن يقين - كل من يقول أن الجيش المصرى كان ضعيفا هزيلا قبل الثورة ، **بقدر ما كان مفتقدا الى الزعامة والقيادة والهدف** ، والا لما الحت القوى المسيطرة والمعادية لمصالح الشعب فى أن تصرفه عن كل تأييد للنضال الوطنى بل كادت أن تصل الى استخدامه فى تهديد هذا النضال وقمعه .

فالقوات المسلحة باعتبارها أداة شعبية - فى مفهومنا الجديد - تحملت المسئوليات المادية والعسكرية على مدى تيارات التاريخ كما كانت مساهمتها الايجابية فى التأثير على هذا التاريخ ذات دلالة أصيلة على عمق الدور الذى نيط بها خلال هذه الحقبات .. وخاصة فى صد أولى موجات الاستعمار الأوروبى التى جاءت متسترة وراء صليب المسيح ، وأعقبها رد غزوات التتار الذين اجتاحوا سهول الشرق واجتازوا جباله حاملين الخراب معهم والدمار .. ولم يكن دور القوات المسلحة فى الاقتتال ضد الحملة الفرنسية بخاف عن مؤرخ او قارىء كما لم تكن القوى المسلحة التى ظهرت فى عهد محمد على الا تعبيرا تاريخيا عن مدى أصالة هذا الشعب وعمق تفهمه للاستجابة للدورالطليعى الذى رسموه لأنفسهم .. واذا كان الاستعمار قد فرض نفسه فرضا من خلال أسرة حاكمة منحلة ، الا أن القوات المسلحة ردت بتصميم محاولات غزو جديدة منها حملة فريزر فى رشيد .. كما استطاعت بأحمد عرابى أن تهز عرش الحاكم على مدى وعبر هذا الزمن القصير ظهرت ارادة القوات المسلحة كطليعة ثورية يوم ٢٣ يوليو .. حينما انضم الجيش الى مكانه الطبيعى تحت قيادة الشعب وفى خدمة امانيه واصبح درعا لأمانى الشعب الضائعة فى بحار من الاستغلال والفساد ..

وفى حاضرنا ..

يشدنا ويبهرنا الميثاق الوطنى .. ويجبرنا نحن العسكريين أن نحدد نقط الوجود لكياننا الجديد من هذا العمل المعجز الذى قلما قرأناه بامعان وهنا مازلت أيضا أصر أن الكثيرين منا لم يقرءوا الميثاق ، لم يستوعبوه ، وأنا لاأسمى هذاعيبا ، وانمافى مفهومى هو تخلف واصرار على أن يعيش الفردفى قوقعة .. وسط موج هائل يقلب كيان المجتمع الذى نحن أعضاؤه ، ولست هنا بسبيل ترديد محاسن الميثاق ، أو الدعوة له .. فيكفيه اجماع أولى الفكر

والعمل والرأى فى أن مشروع الميثاق • فرض نفسه فرصا بما خلق من مفـاهيم جديدة كانت أمامنا • وعشناها ونحن أبعد ما تكون منها ، مفـــاهيم أدركت حاجات الجماهير ، ورسمت لها ، فى طريق أصبح من يحيد عنه أو يتخلف •• **انما يدفعنا لأن ندمغه بخاتم « المواطن العقيم » •**

وحينما أدعو للمبدأ الخامس وهو اقامة جيش وطنى قوى فانما يعنى أن هناك تسليما برجولة الجندى العربى ونباته •• وفهمه لرسالته ووعيه الذى نبع من تاريخه ، ومن واقع كفاح أمته ، وهذا الهدف الذى بلوره الرئيس جمال عبد الناصر انما التقطه من خلال حتمية التطور وحركة التجربة والممارسة •• بتفاعلها الحى مع التاريخ القوى نحو برامج تفصيلية تفتح طريق الثورة الى الأهداف الكبرى التى كانت حلما ، وأصبحت حقيقة ، وبقدر ما كانت القوات المسلحة . بحاجة الى زعيم وقائد ، تضع فيه وتسلمه كل ثقتها ، وآمالها ، فهى اليوم كللت وركزت كل ما تحمله وتحس به من أمانى فى شخص الزعيم القائد الذى قدم الكثير لهذه الأمة فى سنوات هى قدر عدد الأصابع •

وقد فتح الميثاق فى بابه الرابع ــ صفحة رائعة ــ أن انضـــمام الجيش الى النضال الشعبى صنع أثرين هائلين فى تلك الليلة •• لقد سلب قـــوى الاستغلال الداخلى اداتها التى كانت تهدد بها ثورة الشعب كذلك فانه سلح النضال الشعبى فى مواجهة قوى السيطرة الأجنبية المحتلة بدرع من الصـلب قادر على أن يصد عنه ضربات الخيانة والغدر ــ والمسألة تبدأ من هنا ، ونقطة الارتكاز للقوات المسلحة تنطلق من هذه القاعدة بالذات حيث رسم لها الميثـــاق اطارها •• ودقق صورتها ، ونصب منها درعا للأمانى ، درعا خالصا مخلصـــا راعيا للحفاظ على المكاسب ، وأصبحت القوات المسلحة ــ عملا وفعـــلا ــ هى باب المجتمع الحصين •

ولابد أن نناقش بعمق ، وتفهم مسئولياتنا وواجباتنا الشـــاملة التى نتضاعف وتتزايد من أجل الشعب وبنظرة عابرة واقعية من خلال سطور الميثاق يمكننا أن نقف على ما يجب أن نقف عليه من أعباء هى شرف وفخار قبـــل أن تحمل طابع المسئولية •

مسئولياتنا ــ لأول مرة ــ فخار لنا

ان مجتمعنا الجديد الذى نعيشه ، عشنا قبله مجتمعـــا آخر •• أليس كذلك ؟ حاول الكثيرون منا البحث والتنقيب عن القوائم الثلاث ، والتى تشكل الكيان والوجود لقواتنا المسلحة ، ولكن لا اخال أحدا عثر عليها ، قوائمنا الثلاث لم تكن سوى **الهدف والثقة والقوة •• والقوة الدافعة** • كنا مجتمعا عسكريا خليطا ، به الصالح الحاكم تملؤه السلبية خوفا أو ضـــياعا . وبه الصـــالح المنتفع ، وبه حفنة ضخمة من المسايرين الأذلاء ، وهدف ضائع وراء ســـحب

كثيفة من الشك وانعدام الثقة ، وعمل يومي روتيني وراء الكسب ولقمة العيش الهادئة المستكينة ، هذا حالنا في سطور ، وتصويري هذا فيه حرص كبير ومحاولة للدقة متناهية ·· وأرجو ألا يكون وصف مجتمعي السابق الذي عشته ·· بعيدا عن هذه الصورة الباهتة ، اللاذعة ، وليس عيبا أن نقول كنا ·· وليس عيبا أن نسجل ماضينا ليضيء حاضرنا فنرسم مستقبلنا ، ولكن العار كل العار أن ننسى ــ الآن ــ من نحن ·· وأين نقف ··

نحن القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، طليعة النضال العربي التقدمي ، وقاعدته وقلعته المحاربة ·· والأرض التي نقف عليها · أصبحت ملكا لنا قبل أن تصبح صلبة صلدة ، جنبا الى جنب جوار النضال الشعبي المقدس فنجد الهدف واضحا جليا ·· وأصبحنا خداما لأهداف قومية بناءة تحمي البناء الاشتراكي ضد الأنواء الخارجية ، وسحق أي محاولة استعمارية رجعية تحاول أو تفكر أن تتطاول على الكيان والبناء الذي شرع في خلق مجتمع قوائمه هي العدل والكفاية ·· ولقد ركز الميثاق تركيزا باهرا يضيء كافة أبعاد الهدف حينما يعبر أن الشعب يمنح قواته المسلحة ما يجعلها دائما في وضع الاستعداد وفي مكان القوة وفي الموضع الذي تتمكن منه دائما أن تخدم أمانيه بالولاء المطلق وبالاخلاص المتفاني (الباب السابع من الميثاق) ولم يفت الميثاق أن يحدد الشكل العام الذي يجب أن تكون عليه القوات المسلحة ·· ودرجة الكفاية المطلوبة التي يجب أن تتصف بها · مع تخطيط واع سليم لمنطقة العمل التي يجب أن ترتفع اليها القوات المسلحة عن فهم ووعي وثقة · مع رسم الصورة المتطورة الوثابة جنبا الى جنب مع التقدم العلمي فتملك من أسباب القوة والمنعة مايخلق لها قوتها الدافعة ــ ان القوات المسلحة يجب أن تملك تفوقا حاسما في البر والبحر والجو قادرا على الحركة السريعة في اطار المنطقة العربية التي تقع مسئولية سلامتها في الدرجة الأولى على القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة · كذلك فان هذه القوات لابد لها في تسليحها أن تساير التقدم العلمي الحديث وأن تملك من الأسلحة الرادعة ما يكبح جماح القوى الطامعة وبقدر على هزيمتها اذا ما تحركت بالعدوان ·

والميثاق يتوغل بعنف ودراية انبثقت من التجربة المريرة حينما يحدد الأخطار الداخلية والخارجية والتي تحول دون بلوغنا مرحلة القوة الذاتية المحققة للتقدم ، وبذا نظل دائما تحت رحمة الضغط والتهديد ، ولم يفت الميثاق أن يصور الصراع العالمي حول المنطقة العربية من المحيط الى الخليج · والميثاق هنا يجيء لماحا عندما يوضح الهدف ويبرز الوسائل ثم يرسم طريقة العمل محددا دور قواتنا المسلحة بجلاء وثقة ·

ان الجمهورية العربية المتحدة طليعة النضال العربي التقدمي وقاعدته وقلعته المحاربة وهي الهدف الطبيعي لجميع أعداء الأمة العربية ، وأعداء



قوات البحرية في العرض العسكرى

تقدمها ، ان قوى الاستعمار العالمي واحتكاراته تسعى الى هدف ثابت هو وضع الأرض العربية الممتدة من المحيط الى الخليج تحت سيطرتها العسكرية حتى تتمكن من مواصلة استغلالها ونهب ثرواتها • ولقد وصل التآمر الاستعمارى الى حد انتزاع قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قلب الوطن العربى واغتصابها دون ما سند من حق أو قانون لصالح اقامة فاشستية عسكرية لا تعيش الا بالتهديد العسكرى الذى يستمد أخطاره الحقيقية من كون اسرائيل اداة للاستعمار • والجمهورية العربية المتحدة بالتاريخ والواقع هى الدولة العربية الوحيدة فى الظروف الحالية التى تستطيع تحمل مسئولية بناء جيش وطنى يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانية الاستعمارية الصهيونية ••

والميثاق حصر لنا •• الوسائل الفعالة لخلقنا خلقا فعالا •• وركز هذه الفاعلية فى القوة الوطنية الاقتصادية والاجتماعية باعتبارها المستودع العظيم الذى يخلق ويمد ويحافظ على أداه القتال لمواصلة التقدم والتحدى لهذه الأخطار « ان مواصلة الزحف الشعبى نحو التقدم الاقتصادى والاجتماعى يجعل اقامة الجيش الوطنى درعا حقيقيا للنضال وليس مجرد قشرة سطحية تغطى خطوط الحدود • ان فعالية الجيوش الوطنية تكمن فى القوة الوطنية الاقتصادية والاجتماعية فان التقدم هو المستودع العظيم الذى يمد أداة القتال باحتياجاتها المادية والبشرية التى تتمكن من رد التحدى واحراز النصر وتعزيزه •

هذا هو دستورنا •• الذى من خلاله نرى أنفسنا فى صورة متكاملة •• كلها عز وواجب وعمل بناء وان كان الميثاق قد نجح أيما نجاح فى ايجاد هدف موحد للقوات المسلحة فانما قد ربطها بالشعب برباط مقدس وأصبح الشعب هو خالقها وصانعها •• وأصبحت هى أداته القوية •• فالشعب يمنحها ثقته وايمانه وما يملك من امكانيات ، وهى تهب الدم والجهد عن ايمان ورضاء وثقة ••

وفى خدمة القوات المسلحة وتطورها • التطور النابع من الايمان برسالتها ذهب الميثاق الوطنى الى توضيح الأسلوب العملى الحديث • وأوضح آثاره البعيدة التى تغلف القوات المسلحة وتدفعها دفعا الى رحاب العلم الفسيح • ذلك الرحاب المتميز بالأسس الثلاثة • الملاحظة والتجربة والاستنباط والعلم الحديث يرجع دائما الى التجربة ولا شيء غير التجربة ولاعبرة برأى زعيم قديم ولا تأثر بعقيدة قديمة • بل العبرة بما يستنبط من التجربة بكل طريقة • فمن التجربة أثبت العلماء الكثير مما كان مجهولا وبالملاحظة والتفهم والوعى النابعين من الايمان بالرسالة • يبدأ الاستنباط حيث تدور عجلة العلم • وتلف معها حياتنا من حسن الى أحسن وقواتنا المسلحة وهى ازاء الحروب الحديثة اكتشفت فى وقت قصير أن الحرب لم تعد حرب بطولات نظرية بل أصبحت الحروب علوما ومخترعات ومصانع وآلات يخدمها جيل من العلماء العاملين • وأصبحت الطاقات

الاقتصادية فى الدولة هى عمـــود النصر • لذا اختصت الأمة واتبعت ذلك الأسلوب العلمى فى اتخاذ الأهبــة والمنعة وهنا كانت حتمية الانتصـــار فى معاركنا ••

بالتجربة خلق الجيش ، وجاءت التجربة من واقع الأهداف والمبـادىء ، فقواتنا المسلحة كانت أول من وقف بجانب الجزائر الحرة •• وكانت أول من لبى نداء هيئة الأمم ليطير رجال المظلات الى الكونغو حيث وقفنا جوار الحرية والكرامة والانسانية • وها هى ذى قواتنا المسلحة • تقف كالنمر على حـدود شقيقتنا اليمن لا لتدافع عن اليمـــن •• بل عن فكرة الحريات فى الجمهورية اليمنية ولتكشف العملاء • وحكومات الملكية الفاسدة ذلك المحور العفن محور سعود ـ حسين • ومن خلال هذه التجارب العريضة ، تنصـــهر الملاحظات ، ويبدأ الاستنباط لتخرج قواتنا المسلحة دائما أعجم عودا • وأصلب درعا لحماية مكاسب الشعب العربى فى اطار الأمة العربية الكبرى بمشيئة الله •

ومسئولية القوات المسلحة لاتقف عند تفهمها للشعارات والمبادىء والايمان بها ، ولكن لابد وأن تعى رسالتها تماما فى تعبئة وخلق جيـــل اشتراكى فى داخلها •• والأفكار الاشتراكية والمبادىء التى أوضحها الميثاق أصبحت أوضح من أن تفسر •• وما علينا الا أن نكتب ونحاضر ، ونلقن ، مؤمنين بأن حياتنـــا أصبحت فى طابعها الجديد فى احتياج الى قيادة اشتراكية ، ولم لا ونحن مدرسة لطبقات الشعب المختلفة • فهذه المسئولية الكبرى الملقاة علينا كقـــادة وقادة أصاغر لا يعدو الاهمال أو التراخى فيها خيانة كبرى لرسالة حياة مجتمعنـــا الجديد الذى أصبح لكل مواطن فيه حق الحرية الاجتماعية والسياسية والصحية •• وأصبح حقه فى العلم محتما وأصبح حقه فى الحياة الكريمة بلا معـــارض أو منازع • وهنا يبرز دورنا فى صياغة الجـــو الاشتراكى العسكرى ليعزز سلطان القيادة فى الحرب • فالجندى الآن لا يدافع عن نفسه بقدر ما يدافع عن مكاسبه وأولاده وحرياته • وأرض الجندى أصبحت خالصة لأهله وذويه •• بعد أن زال التناقض المصطنع وأصبحت التنمية الاقتصادية هى دستور المجتمع وبات التخطيط أساسا لكل تصرف أو حركة •• ولا شك فى أن التنميـــــة الاقتصادية والاجتماعية هى القلب الذى يغذى اليد الضاربة للامة ويمدهـــــا بأسباب القوة والثبات ويمكنها من توجيه الضربات القاضية الى العدو مهما طالت المعركة وان مواصلة الزحف الشعبى ، وايمان كل جندى فى الشعب بأن هذا الزحف نحو التقدم المضطرد يجعل اقامة وبناء القوات المسلحة درعا حقيقيا للنضال وليس مجرد قشرة سطحية تغطى خطوط الحدود •

والقوات المسلحة بشكلها الحالى •• وهدفها قد تجسد ومقومات وجودها قد وجدت السبيل القويم لتظفر وتساند القومية العربية بمفهومها الواسع •• وقد أصبحت جديرة بما هو موكل اليها من مســـئوليات وآمال ـ وبنظرة

فاحصة مدققة فى مجتمعنا الحالى تلمح بكل بساطة ويسر أننا نعبر حلقة من عمرنا هي حلقة القيادات ٠٠ فالتنظيم الشعبى بعد أن مر فى حقول التجارب العريضة ٠٠ تبلور ليصبح اتحادا اشتراكيا عربيـــا ٠٠ به مـدلوله ودوره القيادى ٠٠ فاصبحت القيادة الشعبية مهيئة بعد أن تحدد دورها فى هــــذا المجتمع لتصبح فى بساطة طليعة الرأى الحر المعبر عن حاجات واحتياجـات الشعب ٠٠

والقيادة العلمية ، بعد أن دفعها الرئيس جمال عبدالناصر دفعــا بدات تستعد لتأخذ دورها العلمى القيادى ٠٠ فتقول كلمتها العلمية ٠٠ الدارســـة الواعية بكل ما يعود على الشعب بالنفع والتنمية وبالنسبة للتنمية والتصـنيع والتخطيط الاقتصادى ليخدم فكرة العدل والكفاية ٠٠ انما هى الأخرى تكوين حتمى لقيادات فنية صناعية ٠٠ ستصبح قاعدة الصناعة والانتاج ٠٠ وأمامنا فى قطاعنا العسكرى قد تهيأت الفرصة وأصبح الجو مليئا بكافة الطاقات المادية والمعنوية لخلق **القيادات العسكرية** ٠

فلأول مرة ترى القوات المسلحة وقد نودى عليها لتشترك اشتراكا فعليا قياديا فى التنظيم الشعبى ولتكون عضوا أصيلا فى نادى الحرية والشرف ألا وهو مجلس الأمة ٠٠

ومن هنا نبدأ ٠٠ نبدأ حيث تكسرت القشرة التى حصرت القوات المسلحة فى أطار عسكرى جامد وآن لنا أن نخرج الى رحاب جديدة تتصدرنا قياداتنــا العسكرية الاشتراكية ٠

وأنا الآن لست بسبيل مناقشة الآثار العميقة الضــخمة التى ستترتب على اشراك القيادات العسكرية فى التنظيم الشعبى أو فى مجلس الأمة ولكننى لم أجد مناصا من أن أسأل نفسى ــ ونحن بسبيل مناقشـــة دورنا القيادى ــ ما هى الحكمة فى أن نصبح خلية فى التنظيم الشعبى ٠٠ وأعضــاء فى مجلس الأمة ٠٠؟

ان التنظيم الشعبى ، كاتحاد عربى اشتراكى ــ فى مفهومى ــ هو محصلة لخلاصة القيادات الطليعية فى مجتمعنا الديناميكى المتحرر ٠

فكان لا بد لهذه الحصيلة الشاملة أن تتضمن بين ثناياها الطاقات المتنوعة فتصهرها صهرا وتنشىء سدا اشتراكيا ٠٠ يحمل على كتفيـــه أمام الله وأمام التاريخ رسالة البعث لشعب قرر أن يعيش وأن يحيا بأسلوب ينبع من فطرة الانسانية ، الخبرة ، البناءة ٠٠ واذا كانت القيادات العسكرية بوجودها فى اطار هذا التنظيم ٠٠ ستعكس فكرة الميثاق الوطنى انعكاسا صادقا ٠٠ باعتبار القوات المسلحة أصلا تنظيميا هادفا فى خدمة المجموع ٠٠ فانما ســـتصبح

القوات المسلحة بصورة آلية جزءا من كل .. وترسا من تروس الآلة الضخمه التى بها وعليها يتوقف سير العجلة .

والاحساس الذاتى بهذا الوجود .. هو فى حد ذاته خالق للتنظيم العسكرى وأولى مقوماته .. فلم نعد هناك انفصالية بين تنظيم وتنظيم ، وقد أصبحت التنظيمات كلها صفوفا تضمها مدرسة كبرى هى الاتحاد الاشتراكى العربى .. وهذا الحدث ـ وأنا اسميه حدثا ضخما ـ دافع قوى للقوات المسلحة فى حتمية اسهامها بطلائعها القيادية جنبا الى جنب مع القيادات والطلائع التى تصدرت الشعب بحكم رجاحة الفكر المستنير .. والفرصة المتكافئة ، والايمان العميق .

الترابط العضوى بين الانتاج والقوات المسلحة فى الميثاق

ان القوات المسلحة تعيش فى عصر جديد .. وتعبر فاصلا تاريخيا هو حتمى أصلا ولكنه مسجل عليها ولها . فقدحملها الميثاق الوطنى كل مسئولياتها وحدد لها أهدافها .. وأوجدها عضوا قياديا فى الاتحاد العربى الاشتراكى . ولم يفت الميثاق الوطنى ـ فى وعى ـ فى اصرار ـ أن يبرز الترابط العضوى بين فعالية القوات المسلحة .. وبين .. القوة الوطنية الاقتصادية والاجتماعية ..

ومن واقع الدراسات العسكرية التقليدية .. والتى عركتها الحروب على ممر الأزمنة والعصور الحديثة .. لا يكاد الباحث العسكرى يلمح نشاطا عسكريا .. مهما كان حجمه الا ورافق نجاحه دعما اقتصاديا واجتماعيا .. ونحن وقد عشنا وعاصرنا فترة خمول كئيبة .. انتهت بعام ١٩٥٢ لا يمكن أن يخفى علينا أن مجرد النظام الاقطاعى الرأسمالى وتخمة هذا النظام الفاسد انما كان لصالح فئة معينة .. تحكمت وسادت بحكم الوراثة ، والاستغلال ، ولم يكن يعنى ذلك الا أن هناك فروقا شاسعة .. بين هؤلاء السادة الاحتكاريين وهم قلة أو ندرة وبين قوى الشعب الكادحة العاملة .. ولم يكن هناك بد من قيام الصراع الحاد الذى اتجه وسلك سبيلا حزبيا هدم كل مقوماتنا ومبادئنا . وأخذت حدة الفقر والتخلف والجهل تزداد اتساعا وخطورة .. وخرجنا جميعا عن ايمان بأن الدولة قد عجزت عجزا تاما عن تطوير وتنمية قواها الانتاجية .. ومن خلال هذه الصورة الكريهة لشعب مغلوب على أمره يسهل علينا تماما أن ندرك عجز الدولة عن تكوين قوات مسلحة ذات اعداد وأهلية وكفاءة .. ولم تكن عمليات محاولة ضرب العصابات الصهيونية فى فلسطين عام ١٩٤٨ الا عنوانا شاذا لما كنا نحن بصدده .. عندما اندفعنا كقوات مسلحة مؤمنة فى سبيل الهدف والواجب .. فى الوقت الذى هبت فيه الاحتكارية الرجعية الفاسدة لتحقيق أكبر قسط من الربح .. ضاربة بكل المقدسات عرض الحائط ..

وكانت النتيجة أن اهتز الشرق الاوسط بعد هذه الكارثة التى عكست كل شرور هذا العهد المقيت الضال .. وقامت دولة الصهاينة على شريحة من لحم عربى حى .. هذا هو أمسنا المقيت .. والذى سجله التاريخ ولاسبيل لتزويره أو الخجل منه .. طالما أخذنا منه العظة والعبرة وأصبح حالنا اليوم .. مفاهيم اشتراكية ، شعارات حية ، ايجابية ، مبادىء تنبع من حاجاتنا ، ارادة هى ارادة كل مواطن حر ، ومن خلال كل هذا .. نرى القوات المسلحة وقد دعمتها طاقات الدولة الاقتصادية والاجتماعية ونحن اذا ماسرنا — نحن العسكريين — جنبا الى جنب لتحليل مفهوم الكفاية والعدل .. فلن نجد أمامنا سوى دربا واضحا هو العلاج الحاسم لمشكلة التخلف .. والتخلف هنا انما يشمل القاعدة العسكرية البشرية والتى تصدر الفرد للقوات المسلحة .. وهى حصيلة الشعب بأجمعه .. كما يسير التخطيط الاقتصادى فى نطاق اشتراكى وضاء يضمن استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقة عملية . لتمد القوات المسلحة بشريان رئيسى ، يصلب عودها ، ويسد حاجتها، والشعب اليوم يملك الشىء الكثير .. ان لم يكن الكل وهو عندما يملك نفسه. ويملك موارده وانما يعنى ذلك أن الهياكل الرئيسية للانتاج الصناعى .. وطاقات القوى الهائلة للتصنيع ووسائل النقل البحرى والبرى والجوى والموانى والمطارات والطرق . انما أصبحت كلها آلات طيعة لخدمة المجهود الحربى .. وأهدافه أو بمعنى من معانى الميثاق انها لخدمة النضال الوطنى فى سعيه الى الحرية الاجتماعية وفى اقتحامه لكل مراكز الاستغلال الطبقى .. ويبرز لنا واضحا جليا دور القوات المسلحة .. من خلال الميثاق الوطنى .. وهو أن تحمى عملية بناء المجتمع ضد الاخطار الخارجية كما أنه يتعين عليها أن تكون مستعدة لسحق كل محاولة استعمارية رجعية تريد أن تمنع الشعب من الوصول الى آماله الكبرى .. وأن القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة يجب أن تملك تفوقا حاسما فى البر والبحر والجو قادرة على الحركة السريعة فى اطار المنطقة العربية التى تقع سلامتها فى الدرجة الأولى على القوات المسلحة كذلك فان هذه القوات لابد لها فى تسليحها من أن تساير التقدم العلمى الحديث وأن تملك من الأسلحة الرادعة ما يكبح جماح القوى الطامعة وتقدر على هزيمتها اذا ما تحركت للعدوان .

النتائج العسكرية التى انبثقت عن الميثاق

حملنا الميثاق الوطنى رسالة مقدسة .. وحدد لنا الهدف .. وأوضح الوسيلة وبلور لنا مسؤلياتنا وشرفنا بمبدأ كامل من المبادىء الستة التى نحتتها ارادة الثورة من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته .. واذا كان الميثاق قد أناط بنا حماية عملية بناء المجتمع الاشتراكى ولم يفته أيضا ان يبرز لنا ماينتظرنا من تبعات للدور القيادى للجمهورية العربية المتحدة كطليعة للنضال العربى فى المنطقة ..

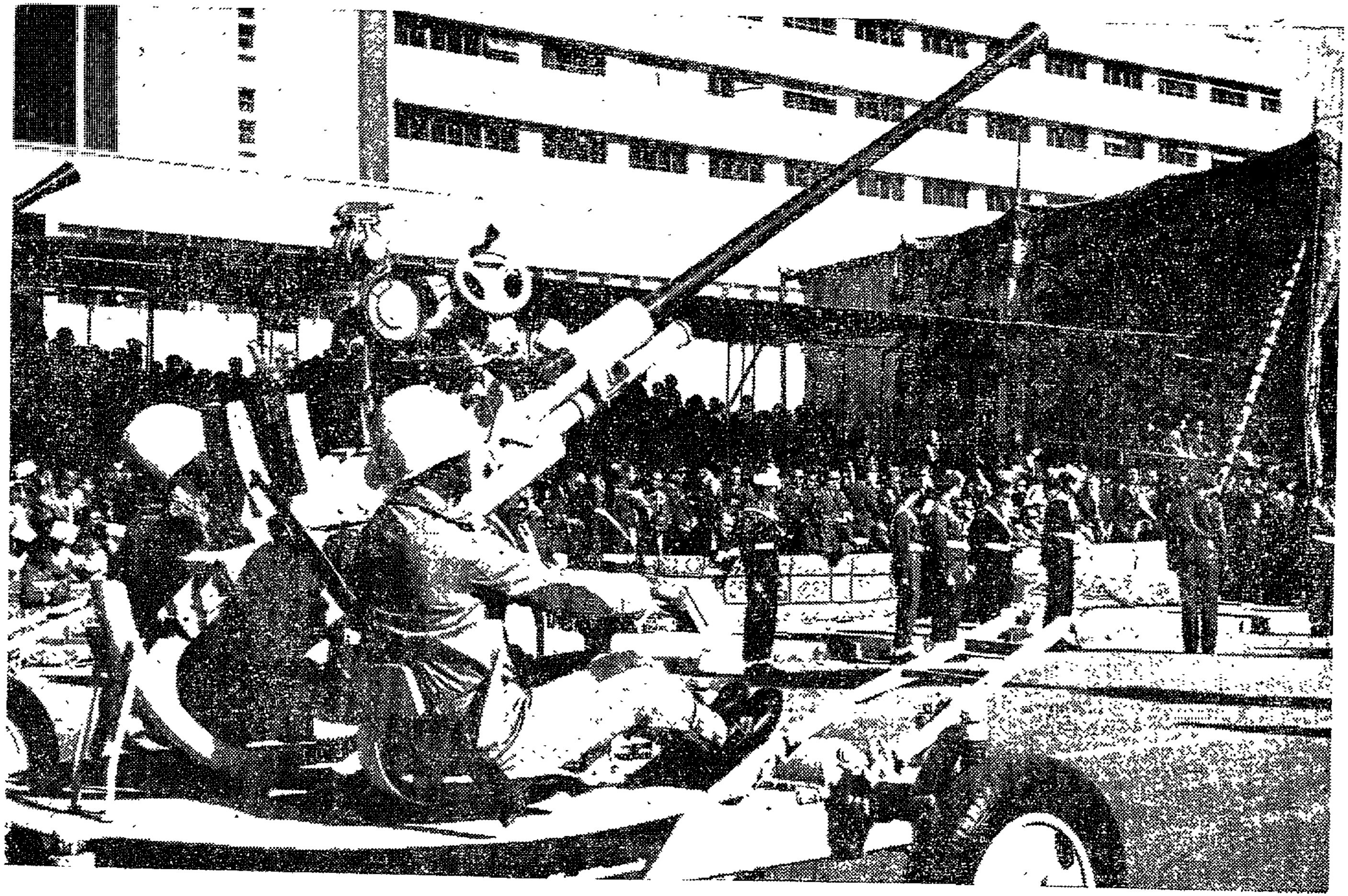
والقوات المسلحة بحمايتها للبناء الاشتراكى انما هى تحمى نفسها أصلا وتعجم وتصلب عود كيانها ٠

فهى قبل أن تكون تنظيما عسكريا ٠٠ فهى خلية بشرية من مجتمع كبير ٠٠ عاش الثورة وآمن بها ٠٠ وقرر أن الثورة هى الطريق الأمثل ٠٠ ولم يبق أمام القوات المسلحة الا أن تعيد النظر فى مفاهيمها هى الأخرى ٠٠ كمحاولة باسلة لتجارى التيار القومى الخلاق الذى خلقه الرئيس جمال عبد الناصر خلقا فى عشر سنوات قصار ٠٠ واذا كان الميثاق الوطنى اعلانا مكتوبا ٠ لكافة الشعوب العربية التى عاشت وقامت وناضلت ٠٠ فانما جاء الميثاق متضمنا خلاصة تجاربنا وآمالنا وأحلامنا ٠٠ ووضع الدروس والعبر أمام كل مواطن عربى ٠٠ مسلطا الأضواء على الاستعمار وألاعيبه خلال قرن من الزمان أو يزيد ٠٠ ومن خلال كل هذا الوضوح الفكرى ومن خلال التطبيقات العريضة التى مارستها الثورة فى مصر ٠٠ ومن خلال انشطارات الاستعمار التى تعرض لها فى حقبته الأخيرة ٠٠ وبدأ يشعر بأفوله ٠٠ من خلال هذا فقد آن لنا أن نسلم بأن القوات المسلحة قد جاءها الموعد اخيرا ٠٠ بعد ان تفتت كافة المقاومات العظمى والسدود المصطنعة التى حالت دون بزوغ فجر القوات المسلحة بزوغا يحمل المفاهيم الصحيحة لتكون جديرة بحماية بناء المجتمع الاشتراكى العربى ضد العدوان ٠٠ بمعنى أنه يمكننا أن نقول ان القوات المسلحة أصبحت فى مستوى المسئولية القائمة بها بالتفوق فى البر والبحر والجو ٠٠

والتفوق المادى والعلمى والقدرة على العمل السريع بعد أن ارتبط مصير شعبنا بوحدة ومصير الأمة العربية وبعد أن بات واضحا أن الجمهورية العربية المتحدة هى الدولة الوحيدة فى الظروف الحالية التى تستطيع أن تتحمل بناء قوات مسلحة رادعة ولأنها ـ بعد هزيمة الاستعمار فى معركة السويس الدولة العربية الوحيدة التى تستطيع أن تعمل بحرية كاملة ضد قوى العدوان نتيجة لسياسة الحياد الايجابى وعدم الارتباط بأى منظمات أو أحلاف عسكرية ٠

وجاء الميثاق الوطنى فى أوضح وأبهى صورة ٠٠ عندما نص على أن الجمهورية العربية المتحدة عليها واجب حتمى هو حماية الشعوب العربية بصرف النظر عن حكوماتها وأشكالها لأن العربى سيدفع الثمن ـ أخيرا ـ من مصيره ومستقبله ٠ ولأن الذى سيتحمل العبء ضد العدوان وقهره هى الشعوب العربية وليست الحكومات الرجعية وسجلنا التاريخى حافل بمهزلة عظمى وهى شعب فلسطين ٠٠ فعندما تعاونت حكومات العرب الرجعية مع الاستعمار واسرائيل ٠٠ ذهبت الحكومات ٠ وبقيت فلسطين مشطورة ٠ تدمى من خيانات بعض العرب المجرمين ٠

وفى النهاية دفع الشعب العربى فى فلسطين أغلى الثمن ٠ وفى صورة التشرد والفقر والذل ٠٠ ونحن من خلال هذه التجربة المريرة ومن خلال



المدفعية الثقيلة

احساسنا بالارتباط الحتمى بين مصيرنا ومصير الشعوب العربية يتحدد على الفور دور القوات المسلحة فى حماية الشعوب العربية ضد العدوان الاستعمارى والاسرائيلى ، وهنا تؤدى القوات المسلحة تلك المسئوليات فى صورها المختلفة ٠

- بالمعاونة بالخبرةالعسكرية والخبرة الفنية
- بالامداد بالأسلحة والمعدات والذخائر ٠
- بالمعاونة العسكرية المباشرة وغيرالمباشرة ٠

ونحن وقد عشنا الحوادث ٠٠ وعاصرنا تطوراتها ٠٠ نلمح بأعين فاحصة واعية ما قامت به الجمهورية العربية المتحدة من دعم بناء خلاق لقضية الجزائر العربية أو الطيران العاجل المذهل الى الكونغو للوقوف بجوار قضية الحرية فى اجلى وابهى صورها ومعانيها . واخيرا عندما قامت ثورة الشعب العربى فى اليمن وانتقال المارد العربى من مصر الى اليمن ليساند حق الشعب اليمنى فى ثورته العربية المقدسة ٠

مكاسب القوات المسلحة من الاشتراكية

١ ـ لم تكن القدرة المالية للدولة بقدر ما هى عليه الآن ٠٠ رغم أنها فى مرحلة الاعداد والتكوين ، وبنظرة فاحصة عاجلة نلمح رقم ميزانيتنا الحالية عن العام ٦٢ـ٦٣ وبمقارنته بمثيله عام ٥٢ نجد أنه قد تضاعف خمس مرات فى عشر سنوات ٠

وهنا تبرز على الفور القدرة للدولة لأن تنشىء القوات المسلحة المتفوقة برا وجوا وبحرا ٠

٢ ـ يعتمد نظامنا الاشتراكى اعتمادا جذريا على التخطيط والتنظيم والتنسيق واذا سرت كل هذه المقومات وفق احتياجات مجتمعنا فى أهداف محددة مفصلة مدروسة ذات برامج تفصيلية ـ كما هو الحاصل الآن ، فلا شك أننا باذن الله واصلون الى الذروة الانشائية المؤسسة على العلم والعمل ٠

وهذا التنظيم الكامل المتكامل لقوانا التنظيمية والبشرية ينعكس انعكاسا مباشرا على القوات المسلحة ٠٠ فى دفعها للامام فى خطوات علمية فنية ٠٠ كلها تفوق واحساس به علاوة على توفير القاعدة الوطيدة للقوات المسلحة لامدادها

بما يلزمها فى العمليات الحربية لتقاتل بكفاءة متجددة مستمرة بما ينسحب على أجهزتها من قدرة على التخطيط والتنسيق فى اطار التخطيط العام فى الدولة الاشتراكية مما ييسر عليها الوفرة في احتياجاتها ومطالبها بشأن التوزيـــع الاستراتيجى للمنشآت والمؤسسات والمواصلات ذات الأهمية الحيوية للمجهود الحربى • ونحن اذا تعمقنا قليلا فى آثار هذا التخطيط المتكامل على القـوات المسلحة لخرجنا بأبهر النتائج بالنسبة لاستطاعتنا فى الاشتراك فى توجيـــه سياسة التعليم فى الجامعات والمعاهد والمدارس بما يمكن هـــذه القوات من الحصول على الأفراد الفنيين والاخصائيين كما يمكن للقوات المسلحة ان تدلى بدلوها فى توجيه سياسة البحث العلمى فى الدولة ـ كما هو معمول به حاليا فى الولايات المتحدة الأمريكية عندما يتنافس الجيش والبحرية فى انتـــاج الصواريخ ـ وذلك بأن تضمن هذه القوات مشاكلها الفنية والعلمية فى قطاعات البحث العلمى • حيث يتم من خلال التعاون بين أجهزة البحث العلمى والقوات المسلحة التوصل الى أبهر النتائج والأبحاث • ولا يفوتنا ذلك الدور الهـــام الحيوى الذى تقوم به القوات المسلحة فى انشاء وتعميم جميع أنواع المواصلات الحديدية والموانى والطرق ووسائل النقل البرى والبحرى بما يخدم أهـداف القوات المسلحة فى السلم والحـــرب • وتحقق لها القدرة التـــامة على اجراء التحركات الاستراتيجية وغيرها •• واخيرا وان لم يكن آخرا فان الصناعـات الثقيلة والمتوسطة والصناعات التعدينية وهى التى أدخلتهـــا السياســـة الاشتراكية من ملكية الشعب • أى سيطرة الشعب عليها سيطرة اساسهـــا التخطيط والتنسيق والبحث والدراسة وهذا كله لايعنى الا أن القوات المسلحة سيكون لها حظ لاسهام البناء فى توفير احتياجاتها من الأسلحة والمعـــدات وتطورها بما يتفق وتخطيطها ومسئولياتها التى أوكلت اليها ضمن مفاهيـــم الميثـــاق ••

ومن خلال كل هذا نلمح بفخر وفخار أن الاشتراكية العربية التى عددها الميثاق بما توفره من سيطرة وتوجيه لجميع امكانيات الدولة البشرية والمادية والصناعية الى أهداف معينة فانما توفر للقوات المسلحة دعامة قوية تزيد من طاقاتهم وتدعم عودها وقدرتها على القتـــال بما يتناسب مع مســـئولياتها الصحيحة •

أين الاشتراكية من الروح المعنوية

لم يكن مفهوم الاشتراكية فى يوم من الأيام قاصرا على ما يتردد من تعبيرات أو معان خلابة • أو مزايا دأب أهل الرأى والفكر على ابرازها وترديدهـــا فى

صور شتى • ذهبت الى مستوى المقارنات بين اشتراكيتنا العربية النابعة من حاجتنا اليها • وتلك التى طبقتها شعوب سبقتنا اليها •

ولم تكن الاشتراكية فى حد ذاتها عندما حملها الرئيس جمال عبد الناصر وطرحها أمام مجتمعنا فى ٢٣ يوليو ١٩٦١ • لم تكن مفاجئة للعلاقات التى تحكم مجتمعنا العربى المصرى •

فان النداءات الصارخة وحاجات الطبقات المشعة • وعواء الظلم المكبوت الذى صمت ازاءه الآذان والعقول • كل ذلك كان دافعا لاقرار ميزان جـديد يحكم العلاقات ويغير النفوس بطريق جديد هو طريق العدل والكفاية •

ونحن رجال القوات المسلحة كخلية حية نابضة كان لنا وعلينا أن نتلقى اشاعات هذا التفجير الجديد الذى سرى بين طيات المجتمع • وهزه هزا •• كان علينا أن نسمع ونهضم ونتأمل ثم نسأل أنفسنا نحن رجال القوات المسلحة هذا السؤال الضخم •

أين تقف الاشتراكية من الروح المعنوية ••؟

القوات المسلحة تتسلح بالاشتراكية :

لم تعتمد القوات المسلحة فى يوم من الأيام على تسليحها أو عتادها فحسب بل ولم تكن القوات المسلحة آلة صماء عند تخطيط مناهجها وبرامجها أو تنفيذ سياسة التدريب والاعداد والأهلية • وانما كان يصاحب هذه الجهـود تفكيرا مضنيا فيما يمس الفرد واعداده نفسيا والارتقاء به ليعيش كمواطن حى يعى ما يتعرض له المجتمع من طفرات وقفزات • ولم تكن الدراسات المستفيضة عن الروح المعنوية الا محاولات نابعة من الايمان بالفرد وتنمية الوصول به الى حد الوعى الذى يستجيب معه الى ما فيه عزة الوطن وكرامته •

كتب الكثيرون عن الروح المعنوية •• وقام علماء النفس كمحاولة منهـم بالتوغل فى النفس البشرية وعرجوا منها على الجندى المقاتل • وعاش العلماء فى مشاكله محللين لها • مبرزين لابعادها • مشيرين وموصين بكل ماقد يدفع الفرد المقاتل لأن يثبت أمام أعدائه وقد رضى بتقديم نفسه قربانا لوطنه • غير هياب للموت إلا بالقدر الذى تفرضه النوازع البشرية • ولم تكن أبعاد المشكلة للجندى وزواياها الا فى اطار وحدود معينة • طرقتها البحوث والكتب وعاش فيها المفكرون المتخصصون • فمن ذهب الى تأمين المستقبل للفرد المقاتل • ومن أصر على تأمين عائلته ولكن لم يطرق أحد منا ذلك الباب الفســيح الذى لو استجاب للطرق لانفتحت آفاق جديدة عميقة الجذور متصلة بالفرد المقــاتل اتصالا حادا مباشرا • هذا الباب الذى بقى موصدا دهورا طويلة والبـاحثون هدهم الجهد والعرق • للبحث عن جذور المشكلة لم يكن الا باب الاشتراكية •

الاشتراكية سلاح الروح المعنوية :

آن للعسكريين امثالنا أن يبحثوا وينقبوا فى معرض الكشف عن أسرار الروح المعنوية الضخمة • ونحن فى خضم الشعارات الاشتراكية الحية والتى بدأت تملأ علينا حياتنا • لابد لنا من أن نتلمس فرجة نخرج منهـــا فى أمل ويقين الى رحاب الكشف عن مكنون الجندى المقاتل فى صورة مشرفة مضيئـــة من صور الاشتراكية المصرية العربية •

واذا كان الميثاق الوطنى قد عالج فى صورة حاسمة وضاءة فعاليةالقوات المسلحه • وردها الى كل ما هو كامن فى القوى الوطنية الاقتصادية والاجتماعية• (الباب السابع من الميثاق الوطنى) فاننا نعتبر هذا من جانبنا نداء حرا صريحا فى مناقشة هذه الفعالية محاولين قدر الجهد أن نطلق قوى فعاليتنا من عقالها لننير أمامنا طريقا وعرا نسلك دروبه فى يسر وفهم ووعى •

ورب سائل ينادينا •• اين تقف الاشتراكية من الروح المعنوية ؟

ونحن فى محاولة بحثنا نحاول جهد طاقتنا أن نعيد الأمور الى أصولهـــا والمنطق الى قواعده لا نردد الا ما نفهم ولا نقول الا ما نعيه • ولا ننادى الا بكل ما يقبل التطبيق والأخذ به • ولسنا فى هذا السبيل الا محللين وملتصقين بما جاء فى الميثاق • هذه واحدة ثم منطلقين فى أعقاب مشكلة الروح المعنـــــوية للجندى المقاتل • متوغلين فى رفق لنرسى قواعد الارتباط المبـــاشر الحتمى الذى لا يقبل جدلا أو نقاشا بين اشتراكيتنا وبين آثار الاشتراكية على فاعلية قواتنا المسلحة •

ونحن فى مجال الحديث عن الاشتراكية لن نطرق جوانبها المتعددة الا بالقدر الذى يلائم بحثنا فى أبعاد محددة واضحة لندخل فى صميم البحث •

ما هى الاشتراكية فى مفهوم بحثنا :

ان هى الا عودة للقوانين الاساسية المعبرة عن حقوق الانسان •• ومن تطبيقها والعمل بها لا نجد مبررا للتفرقة الاجتماعية بين أبناء الوطن الواحد • فالاشتراكية لا ترضى مطلقا عن امتيازات طبقية صنعها المجتمـــع وأقام وأرسى قواعدها لا عن رغبة منه • بل عن مصلحة قلة ورثت القدرة كما ورثت مقومات الحياة بأجلى مافيها من حلاوة وكمال •• وأخلاقنا المعاصرة هى التى تسببت فى تفشى آفات اجتماعية ثبتت واستقرت حتى باتت جزءا لايتجزأ من مجتمـــع عاش حياته مئات السنين فى اطار جامد من العقائد التى تخدم طبقة واحـدة هى صاحبة المصلحة • فالايثار • والاحساس بالأنانية • وحب الذات وعشق الطبقة والذود عنها . وتنمية المصلحة . كلها باتت تسرى مسرى الدم فى شريان الحياة الاقتصادية للطبقة البورجوازية .

وهنا تثار عدة أسئلة ٠٠ آن لنا أن نناقشها فى صراحة ومنطق ٠

هل رفاهيتنا مستقلة عن رفاهية غيرنا من المواطنين ؟

هل الظلم الذى يصيب الأفراد ينعكس على غيرهم من المواطنين ؟

أين نجد العدل ٠٠ أين الكفاية ؟

ان الرد البسيط الحاسم هو **التضحية** ، تضحية كل منا من أجل مصلحة الجميع ٠٠ هذا هو أساس مجتمعنا الاشتراكى الجديد الذى يشعر كل فرد منا أنه مالك له ولا فرق بين عامل وصاحب عمل ، بين فلاح ومالك ، بين ضابط وجندى ٠٠ الكل يعمل فى اطار احساسه وايمانه والعائد ملك للجميع بقدر تشع فيه روابط العدل والكفاية ٠ وربما قد آن الأوان لأن نسأل أنفسنا مرة أخرى ٠

أين الجندى المقاتل من الأرض التى نقف عليها ؟ ٠

أين هو من خضم المشاكل والآراء والشعارات والعقائد الجديدة التى انارت طريقه فجأة ٠٠ أين عائلته التى عاش فى ظلها وقاسمها الفقر والعوز حتى يناديه المجتمع بصوت مقدس تعال لتدفع ضريبة الدم ، فالوطن عندما يدعو المواطن ليسهم بدمه وروحه فى سبيله فانما يفترض وجود المقدسات الكبرى وهى روح البذل والايمان بحق الوطن فى ذلك ٠٠ ونحن اذ نبحث دائبين عن هذه المقدسات انما نحاول أن نستشف من خلالها حقوقا ضاعت معالمها وأصبحت أحلاما غطاها المجتمع بطبقات كثيفة من المصالح الخاصة ناسيا متناسيا لبنة هامة لابد من تعهدها لاقامة صرح الأمة على قواعد من الثقة والاحساس بالذات ٠

فروح البذل ان هى الا قوة ديناميكية لا تورث فى نفس الجندى ولا يكتسبها بالخبرة أو المران ٠٠ ولا مجال للتدريب والتعليم فى خلقها ٠ وانما أساسها الفهم العميق بقدسية المقدرات والاحساس الفطرى لكل جندى بأن ارضه وعشيرته ووطنه لها حق فى دمه وكيانه ازاء شرف عضويته بها ٠ وشرف العضوية للجندى مرده الى احساس يغمر الجندى منذ بداية النشأة ٠ فى أنه وعشيرته الأقربين يملكون حياتهم ٠٠ وكلمتهم هى وقود حياتهم ٠ وكيانهم ووجودهم له أكثر من معنى وأكثر من رمز ٠ فلا استغلال ولا تحكم ولا ذل ولا عبودية ٠ مساواة فى الحق يعقبها روح البذل عند نداء الواجب ٠

والايمان : الايمان والعقل والقلب معادلة كيمائية معقدة عمودها الفقرى شعار بسيط عميق الجذور ٠ انى اكتشفت ذاتى ٠٠ أنا ترس من تروس المجتمع ٠ وجدت لأعمل وأسهم وأجد ومجتمعى ملك لى ٠ وأنا أداة من أدواته٠ ورأى أملكه ليكون دعامة من دعامات الحرية فى وطنى ٠ ايمانى بنفسى ينبع من

يمانى بالسيطرة على نفسى .. وايمانى بوطنى اساسه احساسى بذاتى فى ان وطنى فى حاجة الى حاجتى اليه . والجندى المقاتل ما ان يحس هذا التندر الفطرى الذى يستحيل علينا أن نتصوره ما لم تشع الاشتراكية بنورها ومساواتها فى حياة المواطن الجندى . فلا تلبث نفسه أن تأخذ مكانها وتصبح فاعليته أكثر نضوجا . وأكثر تلبية لكل شعار حر عندما يصبح جنديا مواطنا .

وهنا وجب علينا أن نفرق بين تعبيرين مترادفين أولهما المواطن الجندى .. وهو فى حسابنا المواطن الذى نمى وترعرع دون أن يسهم فى شرف الجندية بعد وان كان جنديا فى مجتمعه وبيئته .. وثانيهما الجندى المواطن وهو فى بحثنا العضو الحى والخلية النابضة فى قواتنا المسلحة حيث وضع نفسه رهنا لمشيئة هذا الوطن للعمل المقدس الكبير .

الجندى المقاتل مواطن قبل القتال

هذا تعبير ساذج . ولكنه على سذاجته يحمل بين طياته آفاقا لو درسناها بحذر ودقة لخرجنا بالزاد الكثير منها . وما قول الرئيس عبد الناصر فى الميثاق الوطنى :

« ان فعالية الجيوش الوطنية تكمن فى القوة الوطنية الاقتصادية والاجتماعية » .

الا اطارا شاملا يهيب بنا أن نصحو من غفوتنا وأن نسلك الدرب الصحيح عند دراسة وبحث فعالية جيشنا الوطنى فالامس القريب كتب الكتاب عن الروح المعنوية للجندى المقاتل وتناولوا العوامل المؤثرة على كفاءة الجندى المقاتل . بحثا وعرضا وتحليلا . يؤسفنى أن ألمس من واقع وجهة نظرى على الأقل أن كافة هذه البحوث كانت تعالج وجها واحدا من المشكلة دون أن تطرق الوجه الآخر من هذا القمر الوضاء حتى انطلق صاروخ الاشتراكية حاملا معه العدسات التى تصور لنا الوجه الآخر .

شملت كافة الابحاث الاعداد الصحيح للجندى وتدريبه تدريبا حديثا يتكامل وصورة المعركة وتفننت الآراء فى خلق الجو النفسى والروحى للجندى للوصول به الى المستوى اللائق اعدادا وتاهيلا وخلقا وتعدت الأبحاث أبعادا وآفاقا جديدة لاننكر اصالتها ولكنها جاءت ناقصة مبتورة . وجاء الطرق باهتا محدودا يحس الفرد فيه انه غريب عنه . فعالمه ليس ملكا له ولم يبق امامه الا ان ينساق للواجب . من حيث كونه واجبا فلا تناله القوانين الموضوعة .. ويقع تحت طائلة العقاب . وبات نداء الواجب والوطن المقدس مشروطا بعقاب يحل بكل من يتخلف . ونسى المجتمع انه انما يدور فى حلقة مفرغة لاحدود لمعالمها ولا نهاية لمطاف فيها .. والمجتمع الذى يخدم فئة قليلة وينمى

امكانياتها على مدى السنين لم يلمح بعد آثار هذا التحكم وكيف يستشرى بعمق ومكنة مهددا أقدس ما يملك المواطن من بذل .. وهو روح الفداء .

والمجتمع وهو غارق لأذنيه فى صور الاستغلال الشتى نسى أن جنوده المقاتلين دفاعا عنه اذا آن الآوان وناداهم المجتمع فسيلبون النداء كرها وخوفا ..

وهنا .. وهنا تماما آن لنا أن نعود الى الطريق الطبيعى للمشكلة .. مشكلة الخلق والأعداد .. وهنا آن لنا ونحن بسبيل مناقشة فعالية جيشنا الوطنى .. ان نرده الى أصله . أصل قوته الاقتصادية والاجتماعية لتدفع به وترتفع به على أصول من العلم والمعرفة .

مضطرين بعد أن سدت أمامنا كافة السبل والطرق ، مضطرين العودة بايمان الى طريق واحد مرسوم ذلك الطريق الذى يبعث فى الجندى روح الحياة منذ احساسه بنفسه ونشأته .. الا وهو طريق الاشتراكية الذى يرد فاعلية قواتنا المسلحة الى الايمان المطلق فى القوة الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعنا الذى بات ينتظر التنظيم طويلا .

عقيد أ.ح
حسنى عبد المجيد

القوات المسلحة فى الميثاق

العقيد محمد فرج

ان الحياة فى أية دولة لاتستقيم ولا تدوم الا اذا ارتكزت على دعائم القوة . فالثابت فى تاريخ البشرية أن القوة وحدها هى التى تصون الدولة — أية دولة — تصونها من أى اعتداء قد يفكر عدو غاشم فى ان يقوم به أو يشنه ضدها . والقوة وحدها هى التى تحمى الحدود وتؤكدالاستقلال وتحفظ الحرية ، ومن أجل هذا تهتم الدول بأن تكون لها قوات مسلحة تحمى حماها ، وتصد عنها ، وتصونها ، وتقوم بالذود عنها تمشيا مع المبادىء التى تبادلتها الدول خلال القرون الماضية ، والتى تدعو دائما الى اعداد القوة للدفاع عن النفس ولحماية الأوطان ، ومن هذه المبادىء مثلا القول القائل « اذا أردت السلم فاستعد للحرب » ومنها قوله تعالى **« وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »**

وليس القصد من اعداد القوة هو التعدى ، وهتك الحريات والقضاء على استقلال الدول ، وتنفيذ المطامع ، وتحقيق الرغبات الشخصية ، فالقوة لاتعد لهذه الأغراض ، ولاتجهز للاعتداء ، وانما تقوم أساسا للدفاع عن الحرية والاستقلال ، وكم من دول كثيرة على طول التاريخ استبدت بها قوتها . فغزت وفتحت وشنت الحروب ، واحتلت البلاد وانتهى أمرها الى الزوال ، لانها خالفت الأسباب الجوهرية التى تستدعى وجود هذه القوة ، ولقد كان القرآن الكريم داعيا الى عدم استخدام القوة فى غير موضعها فهو كتاب سماوى رسم للبشر الحدود التى تستخدم فيها القوة فدعا الى السلم والى التمسك به والبعد عن الحرب بشرورها وآثامها ، ودعا أيضا الى أن تعيش الأمم متحابة متضامنة ساعية الى خير البشر والى تقدمه والى رفعة الانسانية وتطورها ، والى البعد عن الحرب ، قدر الاستطاعة، وهو فى دعوته هذه ، وقف فى وجه المعتدين ، ودعا الى استخدام القوة ضدهم ، صيانة للحرية وللاستقلال ، وحماية للمبادىء والمثل ، ولاعجب فى ذلك فقد جاء فيه قوله تعالى **« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »**. **« ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين »** **« وان جنحوا للسلم فاجنح لها »** .

ومن هذه المبادىء العظيمة التى أقرها القرآن ورسم حدودها ،استمد الرئيس جمال عبد الناصر مبادئه وسياسته ؛ التى قامت أصلا على قوله « نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا» ، « اننا نحب السلام ولكن لن يفرض علينا الاستسلام »

والمتعمق فى دراسة تاريخ بلادنا يجد أنها كانت فى تاريخها الطويل، ذات جيش قوى مناضل ، سجل لنفسه فى تاريخ الجيوش أمجادا طويلة، فظلت بلادنا ذات تقدم عسكرى ملموس ، فوقفت فى وجه المستعمرين. الذين جاءوها طامعين فى احتلالها ، وابرز مواقفها فى التاريخ ضد المحتلين موقفها تجاه الحملة الفرنسية التى جاءت ومعها آمال عريضة فى انشاء امبراطورية فرنسية فى الشرق تكون مصر مركزها ثم موقفها فى وجه حملة « فريزر » التى جاءت الى مصر تريد ان ترث اطماع الحملة الفرنسية فى المنطقة ، لقد استطاعت القوات المسلحة ، ومن ورائها القوى الشعبية أن تصمد على طول التاريخ فى وجه المعتدين ، وأن ترمى بهم بعيدا عن ارضها ، حتى سميت فى التاريخ بانها مقبرة للغزاة .

وظلت قواتنا المسلحة متأهبة للدفاع عن بلادها ، صامدة فى وجه اعدائها ، مؤمنة بواجبها فى الدفاع عن أرضها حتى جاءتنا القوات البريطانية فى عام ١٨٨٢ . فخاضت قواتنا المسلحة ضدها غمار معارك عنيفة فى نفر الدوار ، وفى التل الكبير ، ولم تستطع جحافل المعتدين ، أن تنال من جيشنا نصرا ولو قليلا فلجأت الى اساليب كانت حديثة بالنسبة للعقلية المصرية وللقائمين على أمر الجيش وقتها ، واستطاع الاستعمار البريطانى عن طريق الخديعة والدس والغش والرشوة ، أن يقهر جيوشنا ، وان يدخل عاصمة بلادنا ، وأن يرفع فوقها علمه ، معلنا بذلك الاحتلال العسكرى لها ثم الحماية عليها حينما اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى .

وظل الاستعمار يحتل بلادنا بجيوشه الجرارة ذات الأعداد الكبيرة والأسلحة الوفيرة ، وكان يمثل بجيوشه هذه القوة السائدة فى البلاد ... تستطيع أن تفعل ماتريد دون أن تجد مقاومة أو معارضة ؛ وأحس بعض الافراد الذين كانوا يجيدون العيش على موائد الغير ، والذين افتقدوا الكرامة الوطنية ، وعنصر الاخلاص لبلادهم وشعور الارتباط بالأرض التى عاشوا فوقها ونشاوا بين ثناياها .. أحس هؤلاء بالقوة التى يتميز بها المستعمرون فدفعهم هذا الاحساس الى ادراك حقيقة هى فى واقع الحال مؤلمة ، وهى ان وجودهم واحتفاظهم بما يملكون من أرض أو مال يرتبط ارتباطا وثيقا بالرضا الذى يمنحه اياهم الاستعمار ، فلما تبينت لهم هذه الحقيقة اندفعوا الى ممثليه ، يحنون الرؤوس ويذلون الأعناق ويمرغون خدودهم على العتبات ، ويقبلون الايادى والاقدام ويبيعون وطنهم لقاء مراكز زائلة ، أو

دراهم تافهة ، ووجد الاستعمار فيهم الفرصة ، فترك لهم الحبـل عـلى الغارب ، يديرون شئون الحياة فى مصر كيفما يريدون وحسبما يشاءون ، طالما انهم يعملون ويتصرفون فى داخل الاطار الذى رسمه لهم .

وكان من الطبيعى وقد تحالف هؤلاء مع الاستعمار أن يعملوا عـلى اضعاف الشعب ، وسبيلهم الى ذلك بجانب نشر الجهل والفقر والمرض ، عدم السماح بقيام قوات مسلحة قوية تحمى مصالحه وتقف معه فى جهاده وتسنده فى كفاحه ، وآمن هؤلاء بأن الشعب دون جيش قوى لايستطيـع أن يفسل شيئا ، ومن هنا وضع تخطيطا يقضى بألا تقوم فى البلاد قـوة مسلحة تصل الى الحد الذى يمكنها من أن تشهر سلاحها فى وجهـه ، وتجبره تحت ضغط القوة على أن يحمل عصاه على كتفه ويرحل .

ولاعجب فى ان يتقرر هذا التخطيط ، فالاستعمار يحتفظ فى ذهنـه بصورة بطولية من حياة هذا الشعب ، حين سار أحمد عرابى بجيشـه يزلزل أركان الحاكم ، ويحاول ان يهد بنيانه ليستخلص منه تحـت تأثير البندقية والمدفع حقوق الشعب .. لقد ظلت هذه الصـورة مرتسمة فى أذهان المستعمر لاتغيب عن ناظريه وظل المستعمر يستغل هذه الصـورة لتخويف الحاكمين من الجيش ، وهكذا بقى الجيش بعيدا عن كل تطور ... بعيـدا عن كل تقدم .. بعيدا عن كل رقى .

ولم يكن الجيش المصرى سوى أفراد من أبناء الشعب ، وظل هـؤلاء الأفراد الذين يكونون فى مجموعهم جيش البلاد ، يشاهدون الأوحـال التى تتمرغ فيها بلادهم ، ويرقبون مظاهر الانحلال التى يسوقها المستعمر الى داخل مجتمعهم ، ويضعون أيديهم على موطن الداء فى انتظار اللحظـة الحاسمة التى يستطيعون فيها أن يتدخلوا ، ولكن متى تجىء هذه اللحظـة والجيش لايزيد عدده ولا ينظم تدريبه ، ولا يستحدث تسليحه ، وانمـا اكتفى المسئولون بان يكون جيشا للاحتفالات والزينة ، يجرى حيـث الملـك ينتظم فى صفوف ليستقبله ، حتى بعدت مهمته الأساسية عن مهمـة الجيوش فى باقى دول العالم .

وحتى حينما أراد الجيش أن يؤكد وجوده بمواجهـة العصابات الاسرائيلية فى فلسطين ، تآمر عليه الاستعمار والخونة فسلبوه أعز مايرتكـن عليه جيش مقاتل ، أى سلبوه السلاح وسلموه سلاحا فاسدا .. . يتفجر فى افراده ، ويحصد أرواحهم بدلا من أن يحصد ارواح العدو ، واستغلـوا وجوده فى فلسطين أسوأ مايكون الاستغلال ، فمن وراء وجوده هناك أثروا ثراء فاحشا وكنزوا المال والذهب ، واقاموا صروحا جديدة تؤكد بقـاءهم وتدعم سلطانهم .



رجال الصاعقة

وكان لابد للجيش من أن يتحرك ..

لمس الصادقون من ابنائه ماتعانيه البلاد من استعمار بغيض وملكية فاسدة ، وأحزاب متداعية ، وأصحاب اقطاع ، واصحاب رؤوس أموال ، يدفعون بوطنهم الى الهاوية دون أحساس بفداحة مايفعلون وتجمعت آمال الصادقين من رجال الجيش ، وتآلفت قلوبهم استعدادا للمعركة الفاصلة ، وجاء موعد المعركة وخاضها الجيش وهو ينشد احدى الحسنيين فاما نجاح الثورة ، واما فناء له ، ولسان حاله يردد قول الشاعر .

سأحمل روحي علــى كتفي وأمضي بهــا فى سبيل الردى
فاما حيــاة تسر الصــديق واما ممات يســوء العــدى

وأنتصر الجيش فى المعركة ..

ففى جولته الأولى اكتسب الشعب الى جانبه ، وأصبحت البـلاد لأول مرة منذ احتلها الانجليز قوة واحدة متماسكة متضامنة جيشا وشعبا ... وفى الجولة الثانية طرد الملك ، وانتصر الجيش .. وجاءت الجولة الثالثة وكانت أعنف الجولات ، لأنها كانت ضد الاستعمار وخاضها الجيش بقوة وصدق وعزم ، وايمان ، وانتهت هذه الجولة بانتصار تاريخى لم تمر بـه البلاد فى حياتها السياسية ، فقد انتهت الجولة بجلاء المستعمر عن البلاد ، فخرج مهزوما مدحورا مقهورا ، ثم خاض الجيش بعد ذلك جولات أخرى كان يقف خلالها على أرض صلبة ، لأنها أرضه التى حماها واستعذب فى سبيلها كل شيء وأقامها بعرقه وجهاده ، وتداعت أمام ضرب الجيش عناصر الفساد فى البلاد ، فحلت الاحزاب ، وفقد رجال الحكم المنافقون سطوتهم وتخاذلت قوة أصحاب الأرض ، وأصحاب رؤوس الأموال ، وأعاد الجيش للشعب حريته وهيبته وسيادته ، فلما استكمل أداء رسالته فى مرحلة التطهير عاد الى ثكناته ، ينظر فى أمر تطوير نفسه ، والاعداد والاستعداد للبذل والفداء اذا دعى لخوض غمار معارك أخرى .

وكان لابد للجيش من أن ينال رعاية الدولة واهتمامها فبدات فى اعداده بالتدريب الجيد ، وامداده بالسلاح الذى يلائم تطور العصر الذى تعيش فيه ، واستكمال جميع عناصر القوة التى هو فى حاجة اليها ، ومن أجل هذا حدد الميثاق واجب الشعب حيال قواته المسلحة ، فذكر فى الباب السابع (الانتاج والمجتمع) « ان دور القوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة هو أن تحمى عملية بناء المجتمع ضد الأخطار الخارجية كما أنه يتعين عليها أن تكون مستعدة لسحق كل محاولة استعمارية رجعية تريد أن تمنع الشعب من الوصول الى آماله الكبرى ، ومن أجل ذلك فأن الشعب يمنح

قواته المسلحة ، مايجعلها دائما فى وضع الاستعداد وفى مكان القوة ، وفى الموضع الذى تتمكن منه دائما أن تخدم أمانيه بالولاء المطلق وبالاخلاص المتفانى »

ان الميثاق – اذن – قد حدد الدور الكبير الذى القى على عاتق القوات المسلحة ، وجعل الشعب يمنح هذه القوات مايجعلها فى وضع يمكنها من تحقيق هذا الدور ، ولقد أبرز الميثاق دور القوات المسلحة فى صورة لاتدع مجالا للشك ، فى أن الشعب يسند الجيش ويمنحه القدرة ليكون قويا يحمى بلده ، ويحمى مثله ويحمى مبادئه ، ويحمى الديار العربية من المحيط الى الخليج ويحمى عملية البناء التى تمهد للشعب الطريق ليأخذ مكانه اللائق به بين شعوب الأرض ، فكان الميثاق قد جعل القوات المسلحة وسيلة للدفاع وللصيانة ، ولرد المعتدين ، ولسحق المحاولات الاستعمارية وليست وسيلة للاعتداء ، واهدار الحريات والعبث باستقلال الشعوب .

ولقد قفزت قواتنا المسلحة فى خلال السنوات التى تلت قيام الثورة – قفزات واسعة نحو التطور والتقدم فى التدريب والتسليح حتى أصبحت فى موقف يمكنها من أن تخدم أمانى الشعب العربى – كما جاء فى الميثاق – بالولاء المطلق والاخلاص المتفانى ، ولعل أبرز دليل على ذلك انها استطاعت أن تقف وقفتها البطولية ضد عدوان عام ١٩٥٦ ، وأن تصمد فى وجه المعتدين ، وأن تعيد الى الأذهان وقفاتها التاريخية المجيدة على طول التاريخ .

جاء فى الميثاق « **ان القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة يجب ان تملك تفوقا حاسما فى البر والبحر والجو ، قادرة على الحركة السريعة فى أطار المنطقة العربية التى تقع مسئولية سلامتها فى الدرجة الأولى على القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة » وجاء فيه أيضا « ان الجمهورية العربية المتحدة بالذات طليعة النضال العربى التقدمى ، وقاعدته وقلعته المحاربة » .**

وهذا الذى جاء به الميثاق قد يثير سؤالين هامين :

لماذا القى على عاتق القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة عبء الحركة السريعة فى اطار المنطقة العربية ؟

ولماذا تكون الجمهورية العربية المتحدة بالذات طليعة النضال العربى وقلعته المحاربة ؟

والاجابة على السؤال الاول واضحة مستمدة من تاريخنا فى ماضيه وحاضره .. فلقد ألقت المقادير على قواتنا المسلحة فى الماضى البعيد عبء الدفاع عن الأراضى العربية حين تقدم تحتمس الثالث الى بلاد الشام ، يدفع

عنها ظلم ملك قادش ، وحين تقدم رمسيس الثانى لينقذ الولايات السوريه من عنت الحيثيين وظلمهم ، كما القت المقادير على قواتنا المسلحة عبء المساهمة الايجابية الفعالة فى الدفاع عن بر الشام — ضد الصليبيين — بقيادة صلاح الدين الأيوبى الذى خرج من مصر يواجه قوات فليب ملك فرنسا وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا ، وينتصر عليها ، وينقذ الديار الشامية والأراضى المقدسة من ان تقع فى أيدى المسيحيين ، وحين تقدمت القوات المصرية بقيادة السلطان الغورى لتدفع عن الأراضى السورية جحافل القوات العثمانية التى تقدمت تبغى احتلال البلاد العربية واقامة امبراطورية عثمانية فوقها ، ثم حين تقدمت قوات على بك الكبير لتساند ظاهر العمر فى كفاحه للتخلص من الحكم العثمانى ثم حين تقدمت القوات المصرية فى عهد محمد على تساند الأمير بشير الشهابى ضد سيطرة العثمانيين .

كما أن المقادير القت على عاتق قواتنا المسلحة فى عصرنا الحديث عبء المشاركة الفعالة لشعوب المنطقة العربية لتنال استقلالها وحريتها ، ولتحافظ على هذا الاستقلال وتلك الحرية ، فقد ساندت القوات المصرية المسلحة ، سوريا حين تعرضت لأطماع المستعمر الغربى فحشد حشودا تركية على حدودها الشمالية وفوجىء العالم بالقوات المصرية تواجه تلك الحشود بجانب القوات السورية وقد وقف العربى من مصر بجانب العربى فى سوريا يدفع معه أطماع الطامعين على حدود سوريا ، كما ساندت القوات المصرية الثوار فى العراق حين هبوا ينقذون بلدهم من شرور الحكام وآثام الاستعمار وفوجىء العالم بقوات مصرية مسلحة فى أرض العراق تسند وتؤازر وتعاون الثوار فى ثورتهم المجيدة ، كما ساندت القوات المصرية ثورة الجزائر فأمدتها بالسلاح والعون الحربى لتستطيع أن تقف على أقدامها وأن تواجه الاستعمار الفرنسى الذى اتسم بالوحشية ، كما كانت على استعداد لمؤازرة شعب تونس عسكريا حين اعتدت القوات الفرنسية على « بنزرت » ، وكما وقفت أخيراً فى صورة ايجابية فعالة بجانب ثورة اليمن تشد من أزرها وتمدها بالقوة لتواجه محاولات الرجعية والاستعمار ولتؤكد سيادة الرغبة الشعبية فى اليمن .

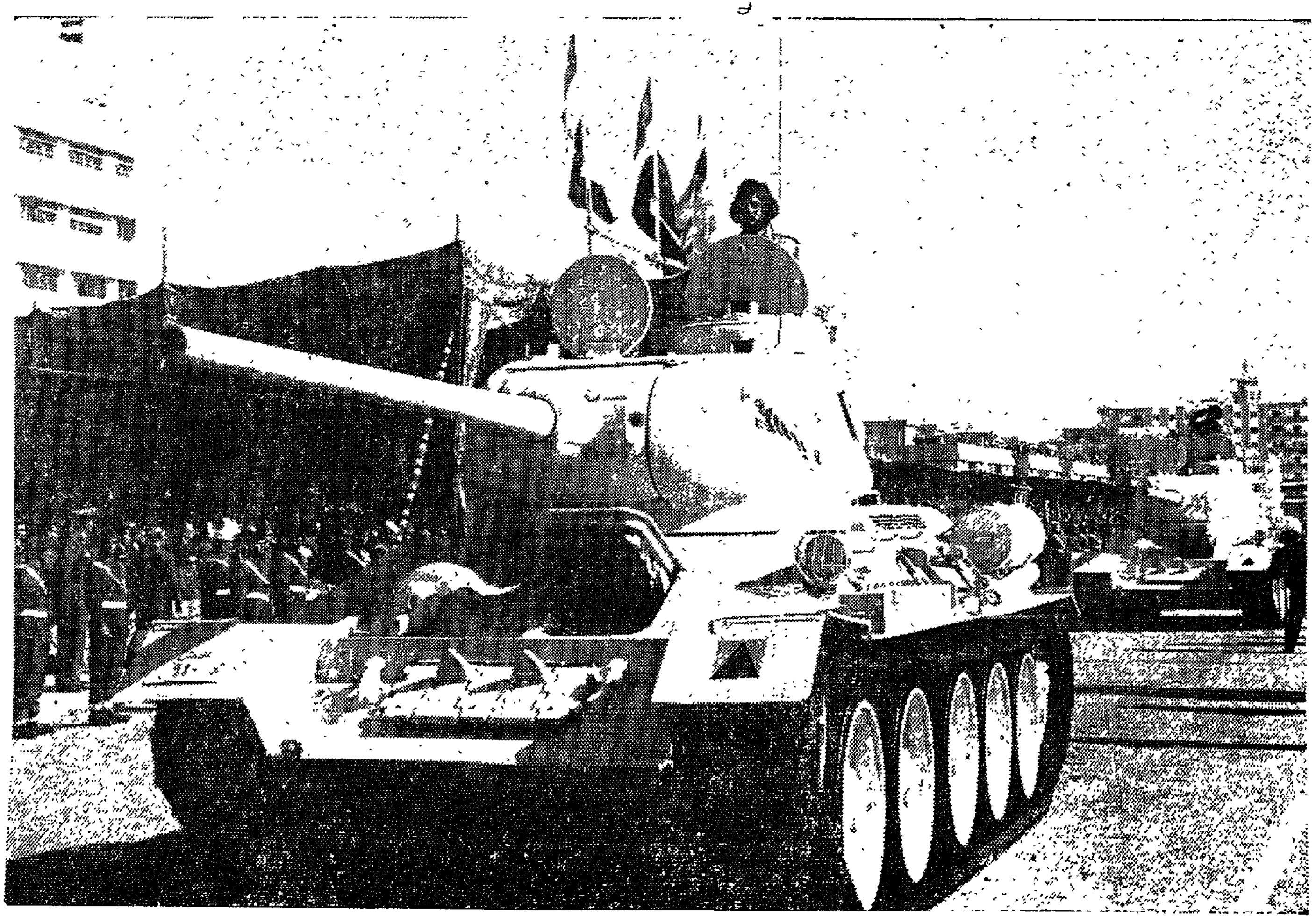
وكما ألقت المقادير هذه الواجبات كلها على عاتق القوات المسلحه المصرية ، فقد كان لتقدم هذه القوات وتطورها الذى سبق تطور القوات المسلحة فى المنطقة العربية كلها ، مايدعوالى أن يبقى عبء الدفاع عن المنطقة العربية مستمرا على عاتق القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، فنحن حين ندرس حالة القوات المسلحة فى داخل الأطار العربى ، نجد أن القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة تمثل جانب القوة فيها ، ففى المغرب العربى نجد ان دولة مازالت فى بدء حياتها ، ولم تسمح لها ظروفها بأن تعد قوات مسلحة تستطيع ان تقوم بدور هام فى اطار المنطقة العربية ،

لأن هذه الدول عاشت الى وقت قريب تعانى من الاستعمار الذى كان يهدف أول مايهدف الى عدم توفير القوات المسلحة خوفا من أن تطيـــح به ، وفى المشرق العربى نرى أن الوضع يشبه الى حد كبير الوضع فى المغـــــرب العربى .. فالعراق تخلصت من الاستعمار فى عام ١٩٥٨ ، والســـــعودية مازالت تميل الى الاعتماد على الغرب فى الدفاع عن كيانها ، واليمن مازالت تخطو فى سبيل اعادة بناء نفسها من جديد ، بعد أن تخلصـــــت من حكم الأئمة ، والأردن تعيش فى حالة اضطراب سياسى لايؤهلها لأن تعـــد قـــوات مسلحة يكون لها دور فى داخل الاطار العربى ، وسوريا مازالت فى حــــالة أضطراب داخلى تعانى منه الكثير مما يشكل عقبة أمام قواتها المسلحــة فلا تستطيع أن تكون صاحبة دور فعال فى المنطقة العربية ، ولعل امكانيـــات القوات المسلحة فى لبنان والسودان لايسمح بأن يكون لهـــا مايمكنها من أن تنفرد بعمل حاسم فى داخل المنطقة العربية .

يبدو من هذه الدراسة السريعة صدق ماجاء فى الميثاق من أن القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة هى التى تستطيع أن تعمل فى داخـــل الاطار العربى ، حيث مســـــئولية الدفاع عن المنطقة العربية قد اصبحت فى الدرجة الأولى من واجبات هذه القوات .

واذا عدنا الى السؤال الآخر (لماذا تكون الجمهورية العربية المتحـــدة بالذات طليعة النضال العربى وقلعته المحاربة ؟) ، نجد أن الاجابة عـــلى هذا السؤال تستمد أيضا من تاريخ النضال العربى فى داخل الجمهـــــورية العربية ، فالمعروف من واقع التاريخ أن البلاد العربية كلها وقعت فى قبضة المستعمرين ، وظلت تتمرغ فى أوحال الاستعمار فترة طويلة ، ولمـــا بـــدأت تستيقظ وتسعى الى تحقيق حريتها واستقلالها ، اتجهت الشعوب العـــــربية كلها الى مصر على أنها قلعة النضال العربى ، ورغم أن كثيرا من الدول العربية قد نالت استقلالها فى بداية هذا القرن ، الا انها ظلت تستمد قوتهـــا من المستعمر الذى كان يضع لها مخططات حياتها من خلف ستار ، فقد اتخـــذ مكانه خلف شخصيات عربية من أهل المنطقة واخذ يوجه هـــذه الشخصيات فى حدود السياسة التى رسمها ، فظلت الشعوب العربية ، رغم تخلصهـــا من مظهر الاستعمار المكشوف تعيش فى ظله وفى حدود توجيهاته .

فلما قامت الثورة المصرية عام ١٩٥٢ كان الرئيس عبد الناصر ،يلمس هذه الصورة فعمل على ازالتها ، وأعلن المبدأ الخالد ، مبدأ التمسك بالقومية العربية ، فاستجابت له الشعوب العربية وأزداد ايمانها بهذا المبـــدأ العظيـم حتى أصبحت تتمنى أن تبذل فى سبيله الدم والأرواح ، وانطـــلق مـــارد القومية العربية فى اطار المنطقة العربية عملاقا قويا جبارا ، وبدأ هـــذا المارد يخوض معارك الشعوب ضد المستعمرين ، واستطاع أن يثبت وجوده



سلاح الدبابات

وحمل جمال عبد الناصر لواء الدعوة الجديدة ، ومد يده الى جميع الشعوب التى استجابت فى صدق له واخلاص ، والتقت قلوب ومشاعر العرب من المحيط الى الخليج حوله تؤيده وتناصره ، وبدأ زحف القومية العربية يجتاح المنطقة العربية كلها ، وتغلب تيارها على كل التيارات التى كانت تعيش فى داخل المنطقة واصبحت القومية فى عراك مستمر مع الاستعمار والمستعمرين الذين احسوا بخطورة الدعوة الجديدة فناصبوها العداء ووقفوا فى وجه تيارها يحاولون ايقافه أو تعطيله ، ولعل من أهم أسباب قيام انجلترا وفرنسا بالعدوان على مصر فى عام ١٩٥٦ ، رغبة الدولتين فى القضاء على الرئيس عبد الناصر كرائد للقومية العربية ، وفى القضاء على الدعوة الجديدة التى هزت مشاعر الملايين فى المنطقة العربية ، ولعل أيضا من أهم عوامل النصر فى هذه المعركة انطلاق المارد العربى ليأخذ بنصيبه الكبير فى المعركة ، وأحداث المعركة تؤكد قوة القومية العربية وأثرها الفعال فيها .

ونقطة هامة جعلت من مصر طليعة النضال العربى ، الا وهى صدق مصر فى معاوناتها المتعددة المستمرة للشعوب العربية ، لتمهد لنفسها طريق التطور ، فلا يختلف اثنان فى ان مصر قد اسهمت بصورة ايجابية فى تطوير نواحى الحياة المختلفة فى داخل الأطار العربى ، ومدت يدها الى كل الشعوب لتعاونها معاونة صادقة حتى تستطيع أن تواجه أصحاب المصالح الشخصية والمصالح الاستعمارية ، ولقد آمنت الشعوب العربية بصدق القيادة الشعبية فى مصر وبايمانها ، لأن هذه الشعوب تعيش حياتها تحت قيادات مضللة لاتستمد وجودها من الكيان العربى ، كما يفعل جمال عبد الناصر ، وانما تستمده من قوى خارجة عن النطاق العربى لايمكن تجاهلها ، وأحست الشعوب أن هذه القيادات لاتعمل أبدا من أجل تطويرها وتقدمها وازدهارها ، وأنما تعمل من أجل نفسها كل ماتنشده هو أن تبقى على كراسيها الحاكمة ، وأن تظل مسيطرة على شعوبها ، ولقد كانت هذه السيطرة برماح اجنبية مستمدة من خارج المنطقة ، ورغم الشعور العربى الجارف الذى يسود المنطقة فقد استطاع هؤلاء الحكام أن يحتفظوا ببقائهم حتى الآن ، ولو ان الشواهد تؤكد انهم لن يستطيعوا ذلك فى مستقبل أيامهم وانهم يسيرون الى نهايتهم ويحفرون بأيديهم مقابرهم ، والدليل على ذلك **ماحدث لنورى السعيد حين أراد ان يقف فى وجه التيار العربى وان يقاوم قادته ، فقد جرفه التيار وانتهت حياته نهاية مؤلمة ، تؤكد ان التيار العربى تيار جارف ليس من السهل مقاومته او الوقوف فى وجهه ، ولايفوتنا أن نشير الى أهمية وضعنا الجغرافى بالنسبة للوطن العربى ، هذه الأهمية التى القت على عاتقنا عبء الدفاع عن المنطقة كلها ... فنحن نعيش على أبواب أفريقيا ونمثل نقطة اتصال بين قارتى آسيا وافريقيا كما يقول**

الرئيس عبد الناصر في كتاب .. فلسفة الثورة ((.. ونحن أيضا بحكم هذا الموقع نشرف على بحرين كبيرين (البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر) وكلاهما يتصل بالمنطقة العربية اتصالا وثيقا .. ويشكل طريق اقتراب يهدد البلاد العربية .. ان هذا الموقع الجغرافي يمنحنا امتيازا استراتيجيا يحتم علينا أن نكون أقوياء لدرجة تسمح لنا بالمساهمة الايجابية في الدفاع عن المنطقة العربية من الخليج الى المحيط .

وكذلك ماحدث فى الأردن حين أراد هزاع المجالى أن يضم بلاده الى الاحلاف الغربية ، وأن يربطها بعجلة الغرب ، فقد ثار الشعور العربى فى بلاده وخلعه من الوزارة بعد يوم واحد من توليه لها ، ثم انتهت حياته كما هو معروف ، وسجل له فى التاريخ أنه كان واحدا من الخارجين عن الاجماع العربى فدفع حياته ثمنا لهذا الخروج والانحراف ، وشبيه بذلك ماحدث للأسرة الحاكمة فى اليمن حين وقفت تقاوم الشعور العربى القوى فدفعت حياتها ثمنا لهذه المقاومة .

نخرج من هذا كله الى أن مصر كانت ومازالت طليعة النضال العربى التقدمى وقاعدته .

ولايفوتنا ان نشير الى فلسطين فقد جاء فى الميثاق ((لقد وصل التآمر الاستعمارى الى حد انتزاع قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قلب الوطن العربى واغتصابها دون ماسند من حق أو قانون لصالح اقامة فاشستية عسكرية لاتعيش الا بالتهديد العسكرى الذى يستمد أخطاره الحقيقية من كون اسرائيل أداة للاستعمار)) ، وما جاء فى الميثاق بهذا الخصوص حقيقة واقعة ، فالاستعمار قد عاون وساعد فى قيام دولة اسرائيل فوق أرض فلسطين وسياسته فى ذلك معروفة وواضحة ، ليست فى حاجة الى ابراز وتوضيح ، فهو قد أقامها ليفرق بها شمل العرب ، وليجعل منها نقطة ارتكاز له يوجه منها محاولاته الدنيئة ضد الوطن العربى ، ومن هنا أصبحت اسرائيل تشكل خطرا على المنطقة العربية ، التى يقع ـ كماأوضحنا ـ عبء الدفاع عنها على القوات العربية المسلحة .

اذن فوجود أسرائيل يشكل خطرا على المنطقة العربية ، واذا ماوجد الخطر وجب أن تتوافر الوقاية ، وتوفير هذه الوقاية يستلزم أمرين: اتحاد العرب وتضامنهم وتضافرهم من أجل القضاء على اسرائيل ، ثم توفير القوات المسلحة المدربة المزودة بالسلاح والمعدة نفسيا ومعنويا لخوض المعركة فوق أرض فلسطين وتطهيرها واعادة اللاجئين ، واذا مامنعت الظروف بعض الحكام العرب من أن يجتمعوا لاستخلاص فلسطين ، فقد أصبح عبء استخلاصها واقعا على عاتق الجمهورية العربية المتحدة التى وصفها الميثاق بأنها قلعة النضال العربى المحاربة .

ومن هنا كان لابد للجمهورية العربية المتحدة من أن تعد نفسها للمعركة القادمة فهي كما وصفها الميثاق « الدولة العربية الوحيدة في الظروف الحالية التي تستطيع تحمل المسئولية في بناء جيش وطني يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانية الاستعمارية الصهيونية » .

ولقد أدرك الرئيس جمال عبد الناصر أهمية وجود قوات عسكرية على مستوى كبير من الاعداد والاستعداد لتستطيع الدفاع عن المنطقة العربية كلها ، ولهذا جعل قيام جيش وطني قوى من أهم مبادىء ثورته الكبرى التي قامت في عام ١٩٥٢ ، كما جعله أحدى الركائز الهامة التي قام عليها مشروع الميثاق الذي قدمه للشعب في عام ١٩٦٢

وليس من شك في أن قيام جيش وطني قوى يستلزم تقدمااقتصاديا واجتماعيا شاملا ، حتى يكون الجيش درعا حقيقيا للنضال ، ومن أجل هذا فقد اتجه التخطيط العام للدولة الى تطوير اقتصادياتها تطويرا يؤدي الى الارتقاء بجميع نواحي الحياة الاقتصادية في البلاد ، لأن هذا الارتقاء ماهو الا مستودع عظيم وصفه الميثاق بأنه يعد « اداة القتال باحتياجاتها المادية والبشرية التي تتمكن من رد التحدى واحراز النصر وتعزيزه » .

فالتنمية الاقتصادية تؤثر تأثيرا كبيرا على مدى تقدم القوات المسلحة ، لأنها تغذيها بأسباب القوة والثبات ، وفي هذا يقول الميثاق

« ان التنمية الاقتصادية والاجتماعية هي القلب الذي يمكن اليد الضاربة **من توجيه الضربات القاضية الى العدو مهما طالت المعركة »**

وكم من دول كثيرة خاضت غمار معارك ، ثم خسرت هذه المعارك لأن اقتصادياتها كانت منحلة متفككة ضعيفة لاتستطيع أن تمد الجيش المحارب بالامكانيات التي يواصل بها القتال حتى نهايته والتاريخ الحربي **يؤكد هذه الحقيقة ، فالدولة التي تنهار اقتصادياتها تنهار بالتالي معنويات** جيوشها ، فلا تصلح لحمل سلاح أو لمواجهة عدو أو لكسب معركة .

والتطور الاجتماعي لايقل أهمية عن التطور الاقتصادي فكلاهما يؤثر تأثيرا مباشرا على المعركة ، والشعب الذي لايعد نفسيا ومعنويا لخوض غمار المعارك لا يستطيع أن يسند جيشه وهو يواجه عدوه في الميدان ، وسقوط فرنسا خلال الحرب العالميةالثانية يؤكد هذه الحقيقة ، فلقد انهارت معنويات الشعب الفرنسي انهيارا كان له تأثير سريع على قواتها المسلحة ، فانهارت هي الأخرى وألقت سلاحها دون أن تستطيع المقاومة ، وهذايخالف ماحدث في معارك ١٩٥٦ حين وقف الشعب المصري تمثله القوى الشعبية بجانب الجيش ، فأخذت بنصيبها في المعركة وشاركت القوات المسلحة في شرف الجهاد وشرف الاستشهاد ، وكان لموقف الشعب أثره الكبير في انتصارنا الحاسم في ١٩٥٦ .

وثمة حقيقة هامة يجب أن نسلط عليها الاضواء فى ختام حديثنا ، وهى أن الجمهورية العربية تحمل عبء رسالة هامة تتصل بمستقبل العرب جميعا ، وتسعى بكل امكانياتها وطاقاتها الى تحقيق هذه الرسالة ، وهى تحس أن هناك قوى كثيرة تقف فى طريقها وتقيم أمامها العقبات والصعوبات ، وتستعد لاستخدام القوى المسلحة اذا لزم الأمر لتثنيها عن تحقيق أهدافها والوصول الى أغراضها ، وتعمل هذه القوى الكثيرة بكل طاقاتها على تعطيل الركب العربى المنطلق من داخل الجمهورية العربيه المتحدة ،ورغم كل مايبذل من الخارج فان الجمهورية العربية المتحدة تؤمن ايمانا راسخا بأن واجبها يحتم عليها أن تؤدى رسالتها تحت أيةظروف وان تصمد مع طول الطريق ، وان تستمر فى السير نحو أهدافها ، ومن اجل هذا فان الجمهورية يجب أن تكون على أتم الاستعداد لخوض أية معركة ، وللانتصار فيها ، حتى تستقر مبادئنا العظيمة ، وحتى تسود رسالتنا فى المنطقة العربية التى نعيش فيها ، ولهذا يجب أن تدعم الجمهورية بالقوة المسلحة التى تستطيع بها تدعيم السلام من اجل حرية الوطن العربى والمواطنين العرب ، وفى هذا المعنى يقول الميثاق ((ان مجتمعنا يؤمن أن الحرية للوطن وللمواطنين تتوافر قبل كل شيء بالسلام القائم على العدل ، ولكن مجتمعنا مطالب الى الوقت الذى تستقر فيه مبادئه العظيمة ، وتسود على العالم الذى يعيش فيه أن يكون مستعدا باستمرار من أجل حرية الوطن والمواطن أن يدعم السلام بالقوة))

الميثاق والعروبة في آسيا وأفريقية

الأستاذ عبده بدوي

اذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية فان هذه المساندة يجب أن تظل فى اطار المبادىء الأساسية ، تاركة مناورات الصراع ، ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه الى أهدافه وفق التطور المحلى وامكانياته .

((الميثاق الباب التاسع))

لما كان الميثاق قد قام بهندسة بناءة للمجتمع المعاصر من الداخل ، بحيث يمكن القول انه كان ترجيعا لآمال الوطنيين ، وثمرة حتمية لا بد أن تتدلى من شجرة الحياة فى بلادنا .. فان من الحق أن يذكر لهذا الميثاق كذلك أنه قام بعملية تنظيم للحياة الخارجية ، ولعلاقاتنا بها فى عمق وفهم شاملين .

فالميثاق قد وضح الملامح العربية ، وأعطى للشخصية العربية ((وجودا)) حقيقيا ، متميزا عن بقية الشخصيات الأخرى ، لأنه قدمها فى ضوء ماضيها ، وعظمة حاضرها ، وطموح مستقبلها .

وبهذا لم تصبح هناك فرصة ((**للشعوبيين**)) وللذين ظهرت وجوههم فجأة وبشكل جاد بعد انفصال سوريا ، وبكل الذين يحاولون جر البلاد ـ عن عمد أو عن جهل ـ بعيدا عن تاريخها ، وتجاربها ، وأعماقها .

ذلك أن الميثاق أكد الاتجاه العربى ، وعمقه ، ووضح أن الخروج عنه سير فى الظلام ، وسوء فهم لطبيعة التطور العضوى فى العالم العربى .

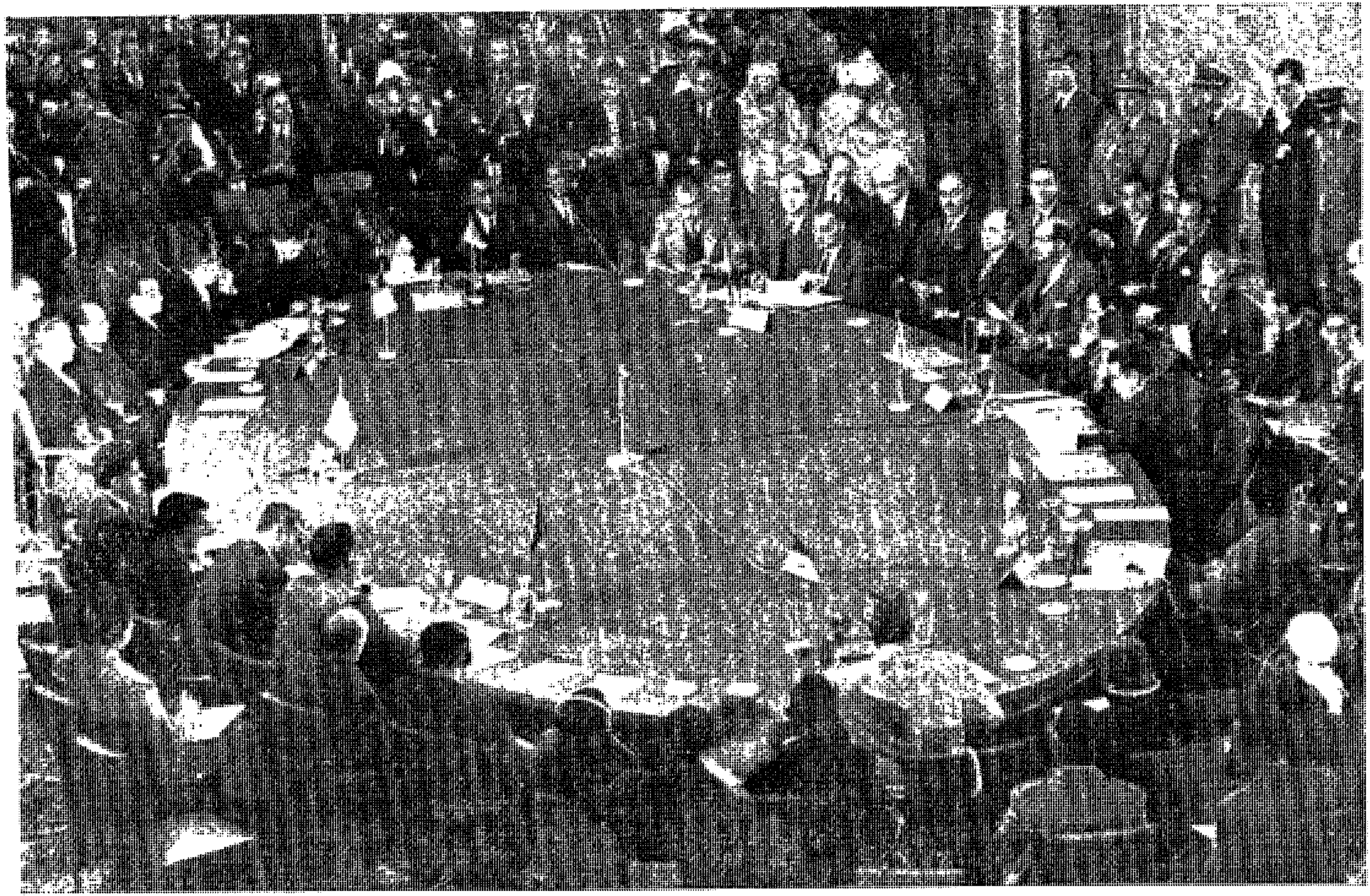
فالقاهرة حين استحدثت للوجود العربى « **نظرية** » جديدة على وعى بتاريخه ، وطموحه ، وظروف منطقته ، وعلاقاته بالعالم ، وعلى اتصال مباشر بالنبض الثورى للمعارك التى خاضها .. القاهرة حين قدمت هذا

فى « نظرية » لم تكن تقصد ان تكون (نظريتها) للاستهلاك المحلى ، أو للرغبة فى الحصول على مكاسب سريعة وحاسمة فى المنطقة التى نعيش فيها ذلك لأنها أرادت أن تقول شيئا جديدا ، وأن تنظم فى الوقت نفسه أشياء نعيش فى ضميرها ، أشياء تقول ان الثورة أساس للتحرر الحقيقى ، وان قضية الحرية لاتتجزء فى المنطقة ، وانه لم يعد لأى انسان أن يفرض على المنطقة انصاف الحلول ، وأن المتناقضات الموجودة يمكن حلها حلا سلميا فى ضوء اندفاع الشعب للخروج من دائرة التخلف ، والعمل على اثراء الحياة الانسانية •

وانه اذا كانت هناك « ظواهر منعزلة — ترى فى الأسر المالكة فى المنطقة — واذا كانت هناك (جزر صغيرة) تحيط بها المياه الاستعمارية من كل جانب .. فانه مما لاشك فيه أن الشعوب العربية هى « النقل الحقيقى » ، وهى التى تؤكد حتمية الوحدة ، وبقاء المد العربى ، والسيطرة دائما على عمليات « الجزر » فى المنطقة العربية •

وقد كان جميلا أن يلقى أكثر من ضوء فى « الباب العاشر » — الخاص بالسياسة الخارجية — على افريقية ، ومستقبلها ، وعمق اتصالنا بها ، **فمن هذه الأضواء القول بأن شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى** ، ولعل هذا هو الذى يحملنى على القول بأن مستقبل العروبة فى أفريقية سيكون أكثر عمقا منه فى آسيا ، وذلك لرحابة المساحة التى يمكن أن تتأثر بالنظرة العربية سواء أكانت هذه المساحة فى الشمال أو الجنوب ، ولوجود **الاسلام** كعامل من عوامل الدفع الى أعماق القارة ، ثم أخيرا لعدم وجود متناقضات كتلك المتناقضات التى تعيش فيها المنطقة العربية من آسيا •• فافريقية اليوم تتفجر بالوعى ، وتميل عن الأخذ بالنظريتين المحددتين للشرق والغرب ، وتفتح قلبها لكل مايأتيها عن العالم الجديد الذى يمكن تسميته « **العالم الثالث** » ، ثم ان افريقية اليوم تعتمد على القيادات الواعية التى ترتكز على الشعوب أكثر مما ترتكز على « الأسر » والعصبيات .

ومن هنا أعتقد أن مستقبل العروبة فى أفريقية مستقبل باهر اذا أخذنا فى وعينا أن العروبة ليست عصبية وفخارا ، وانما هى فهم جديد للواقع المعاصر ، وايديولوجية لا تمت الى الشرق ولا الى الغرب .. لاعنادا فى كل منهما ، ولارغبة فى الانعزال ، أو مجرد استحداث شىء ، وانما لأنها « نظرية جديدة تقوم على احتياجات الحياة المعاصرة ، والرغبة فى القضاء على التخلف ، وفى أن يعم السلام العالم ، فيضىء كل وجه ، ويخصب كل ضمير ، ثم أخيرا فى اعطائنا « **الانسان العربى الجديد** » الذى يعطى الحياة وجودا حقيقيا .



الرئيس عبد الناصر مع الوفود المشتركة فى اجتماع مؤتمر الدار البيضاء

فنحن لسنا فى حاجة الى الانماط المتشابهة ، بالقدر الـــذى نحن فى أشد الحاجة فيه الى اتاحة الفرصة لكل انسان فى أن يضيف شيئا جديدا الى « الجاهز » من الخبرات السالفة ، وبهذا يعيش كل انسان حيـــاته الحقيقة ، وهذا ما أكده الميثاق ، **فالنظرية العربية الجـــديدة لن تتأكد فى عالميها الافريقى والآسيوى الا بهذا الانسان الجديد ! واعتقد اننا نســـير فى هذا الطريق بفهم ، وذكاء ٠**

عبده بدوى

الميثاق في ضوء الإسلام

الأستاذ محمود عبد المجيد

كانت الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية آمالا تراود أحلامنا قبل ثورة ٢٣ يوليو ، فأصبحت اليوم حقائق نعيشها ، ونلمس آثارها فى ظل الاشتراكية العربية .

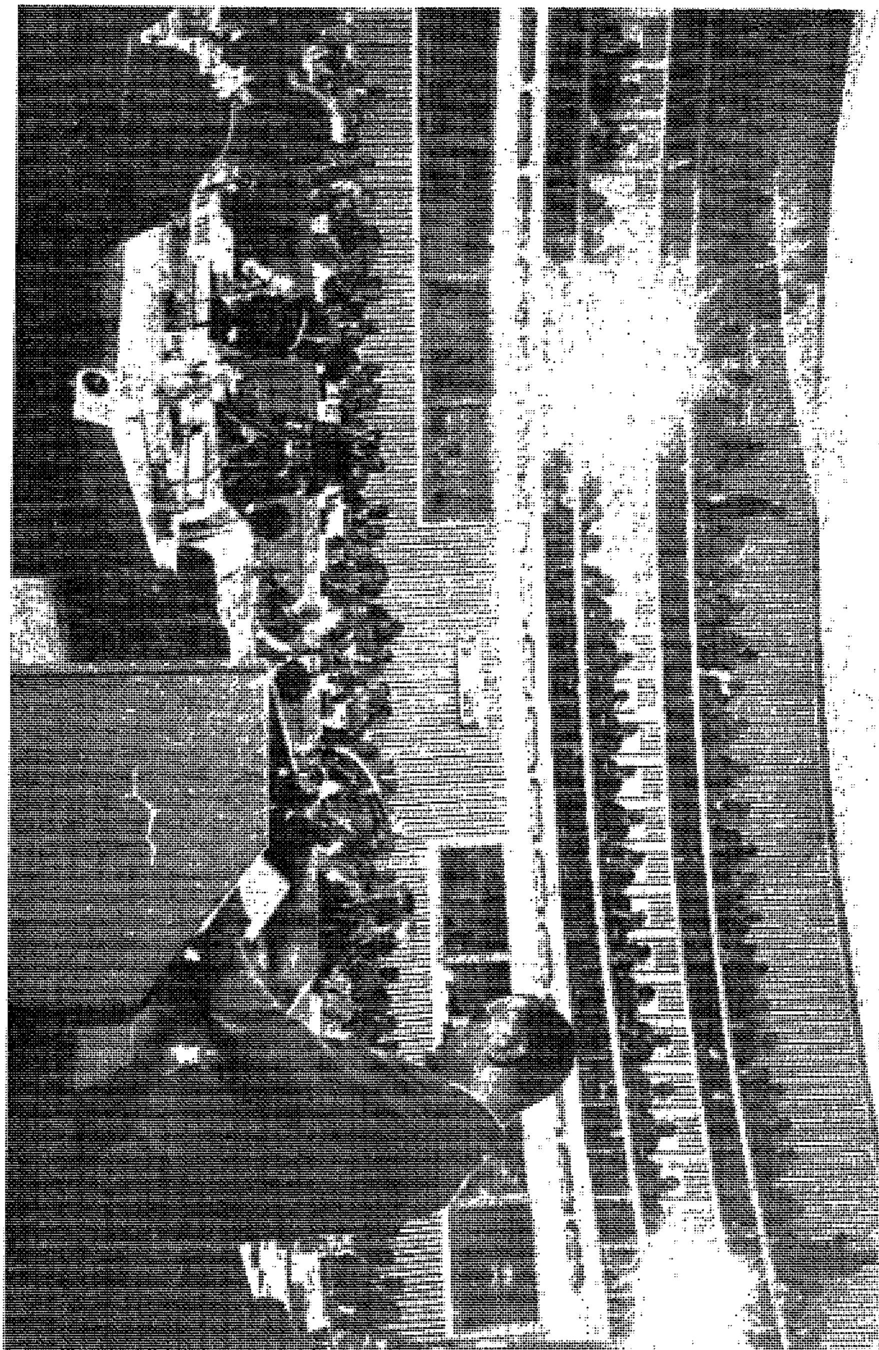
ومن البديهى أن تحقيق مجتمع الرفاهية لايمكن أن يتم بين يوم وليلة لأن ذلك يستلزم كثيرا من الجهد والمثابرة ، والعمل الواعى المتواصل ، والايمان العميق ، والخطة الهادفة للقضاء على آثار ماض طويل من العذاب والقلق والحرمان .. على أننا نستطيع أن نقول ــ عن ثقة ــ أننا وضعنا أقدامنا على الطريق المؤدى الى الرفاهية، وهو طريق الاشتراكية العربية الذى مهده الوعى بمشكلات شعبنا ، فظهرت معالمه فى أعقاب الثورة العربية المصرية عام ١٩٥٢ وتحددت ملامحه بالقرارات الاشتراكية عام ١٩٦١ وبميثاق العمل الوطنى عام ١٩٦٢

ويتضمن هذا الميثاق تحليلا لظروف المجتمع المصرى وطبيعة نضاله ، وعرضا نقديا لتاريخه وبيانا لضرورة ثورته الوطنية وحتمية الاشتراكية كحل للمشكلات التى واجهته .

كما يتضمن أيضا الأسس الروحية التى يقوم على هديها كفاح هذا الشعب وتتم على ضوئها الانطلاقة نحو المستقبل وذلك الى جانب الأسس المادية لتنظيم شئون المجتمع فى النواحى الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية .

ثمرة الشورى .

وأول مانلاحظه أن الميثاق ثمرة من ثمرات العملية الديمقراطية التى مارسها الشعب بالاعداد والمناقشة والاقرار وأن ذلك كان تحقيقا رائعا لمبدأ الشورى فى الاسلام . وكانت تجربة الحرية التى خاضها الشعب المصرى تجربة خصبة



الرئيس جمال عبد الناصر يلقى خطابه التاريخى الهام .. فى مؤتمر القمة الافريقى

وسعت من آفاق الشورى بالرجوع الى القواعد الشعبية وباقرار جماعية القيادة وبوضع الضمانات الكفيلة بتحقيق الديمقراطية .

فقد بدأ الاعداد لاصدار الميثاق باجتماعات اللجنة التحضيرية التى عقدت أول اجتماع لها « منذ عامين تقريبا » فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ وأصدرت توصياتها بشأن تكوين المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بعد أن حددت ماهية تلك القوى وطريقة تمثيلها . وبعد انتخاب حر اختارت « فيه جماهير الشعب مندوبيها فى المؤتمر تقدم الرئيس جمال عبد الناصر بمشروع الميثاق لأعضاء المؤتمر الوطنى وللأمة فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ثم تلا ذلك مناقشات واسعة النطاق وعلى مختلف المستويات داخل المؤتمر وخارجه وانتهى ذلك كله باقرار ميثاق العمل الوطنى ، ايمانا بالله وبما انزل من شريعة الحق والخير والسلام ، وتقديسا لحق الانسان فى العزة والكرامة وفى الكفاية والعدل . وتعاقدت القوى الشعبية على أن يكون الميثاق اطارا لحياتها ، وطريقا لثورتها ، ودليلا لعملها من أجل المستقبل .

عبرة من الماضى

ويجدر بنا أن نشير ـ قبل أن ندخل فى تفصيلات الأسس التى جاء بها الميثاق ـ الى أن كل تحليل لظروف المجتمع وطبيعة نضاله انما يرتد الى تاريخ هذا المجتمع وواقعه ، يستقى منه العبرة ، ويستخرج الدلالة ، وفى هذا تذكرة وموعظة ، والذكرى تنفع المؤمنين حتى لايقع فى الحاضر ماسبق فى الماضى من أخطاء ، ولهذا فقد بصر الميثاق شعبنا بحقيقة أوضاعه السابقة التى حتمت الثورة ، فشبت مسلحة بالارادة ، وبالتعاون ، بالوعى والفكر المفتوح ، وكان الايمان بالله ورسله ورسالاته ضمانا لها ، وعاصما من الزلل ، ودافعا لقواها خلاصا من الاغلال ، وتحريرا من الاستعمار والاستغلال ، وقضاء على الرجعية ، وانطلاقا نحو الرفاهية .

ولقد حث القرآن الكريم على محو الظلم واشاد بالمنافحين عن الحق وقبح السلبيين المستضعفين فى الأرض فقال :« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا »

الروح والمادة ..

والى جانب الفقرات التى افردها الميثاق للأسس الروحية ومثيلاتها التى افردت للأسس المادية نجد الميثاق من أوله الى آخره يمزج الفكر بالعمل ويزواج بين الجوانب الروحية والمادية فى وحدة منسقة الأجزاء ، وليس أدل على ذلك من قوله فى نهاية الباب الثامن :

« واذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل وأشرف الغايات والمقاصد » .

وفى هذا يتجاوب الميثاق مع طبيعة الانسان المزدوجة ، ويتمشى مع المبدأ الاسلامى الأساسى الذى يجمع بين الآخرة والدنيا « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » . وفى الحديث الشريف : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » لأن الموازنة بين قوى الروح وقوى المادة ضرورية لبناء المجتمع واستمرار تقدمه على أسس قويمة

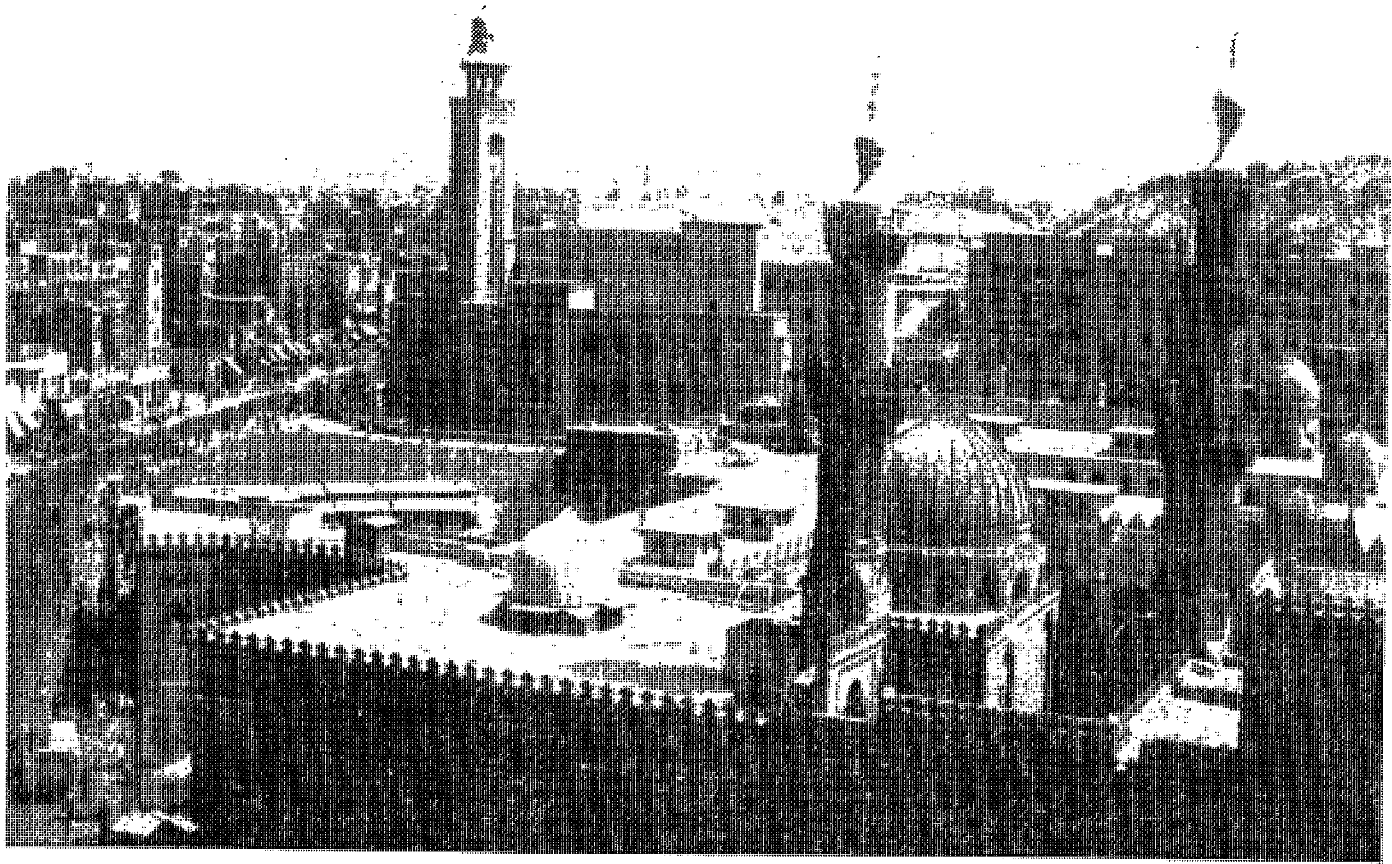
حقيقة الميثاق

واذا كان الميثاق يرسى دعائم الاشتراكية العربية التى تتناقض مع الاقطاع والرأسمالية المستغلة والاستعمار والصهيونية ، وتختلف عن الاتجاهات الاشتراكية الأخرى لأنها ليست خيالية أو شيوعية ، فليس هناك من تفسير لهذا التناقض وذلك الاختلاف الا فى ضوء المصادر الأولى التى استمدت منها هذه الاشتراكية أصولها ومقوماتها فجاءت على هذه الصورة الفريدة التى تجمع بين العناصر الروحية والعناصر المادية وتوازن بين حاجة الجماعة الى السيطرة على مواردها وبين الرغبة فى التملك الفردى ، وانا لواجدون فى التراث العربى بما يحتويه من دين وتاريخ وفلسفة وفى الواقع العربى بجوانبه المتعددة وفى الوعى العربى والروح العربية مايمكن ان نرد اليه الأصول الأولى لهذه الاشتراكية دون تعسف أو تحيز لعواطفنا القومية أو الدينية .

والاشتراكية العربية كما حددها الميثاق ليست فى حاجة الى أن تستعير مبادىء أو وسائل من الخارج لأنها تهضم كل زاد لكى تمارس التجربة على أرضها انها ثمرة لشجرة باسقة نبتت فى أرض عربية وتغذت بغذاء عربى اسلامى وأطلت على العالم الفسيح فتنفست هواءه وترعرعت فى رحاب انتصاراته مستمدة جذورها من الاسلام بوصفه الصيغة النهائية التى افرغت فيها الديانات ، والعامل الفعال الذى اصطبغت بصبغته الحضارة العربية ، ولقد قام الشعب المصرى الذى وضع هذا الميثاق بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية « فى أطار التاريخ الاسلامى وعلى هدى من رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ »

الأسس الروحية .

وتتلخص الأسس الروحية فى الميثاق فى الايمان بالله ورسله ورسالاته القدسية والايمان بالقيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان ، وبأن جوهر الرسالات الدينية لايتصادم مع حقائق الحياة وبأن جميع الأديان ذات رسالات



جامع الازهر الشريف

تقدمية . والايمان بحق الارث وبحقيقة الانسان وبالضمير الاجتماعي المستمد من روح الجماعة المتضامنة وبالضمير العلمي المستمد من المعنى العام لفكـــرة الانسانية .

وهذه الأسس جميعها مستمدة من الاسلام بوصفها قيما رئيسية فيه ، ومبادىء اساسية له . فالايمان بالغيب حجر الزاوية فى الدين الحنيف الـذى يأمر بالتدين والاعتقاد فى الله الواحد القهار الذى أنزل القرآن على رســوله - صلى الله عليه وسلم « .. **هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** » . والايمان بحق الارث فارق أســاسى بين الاشتراكية العربية وغيرها من النزعات المادية ، اما الايمان بالانسانية فهـــو مستمد من تكريم الله للانسان أكمل مخلوقاته . وقد تمثل ذلك عندما سواه بشرا وأمر الملائكة ان يقعوا له ساجدين ، واستخلفه فى الأرض ، وعلمه الاسماء كلها وكرم ابناءه ، وحملهم فى البر والبحر ، وجعلهم شعوبا وقبائل وحثهم على التعارف والتضامن ، ورفع عنهم الذلة والأحزان بقوله « **ولا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين** » وقال : « **ان أكرمكم عند الله أتقـــاكم** » ، فالعلو والاكرام متعلقان بالايمان والتقوى وهما قيمتان اساسيتان فى الاســلام وفى الميثاق على السواء .

الأسس المادية .

اما الأسس المادية لتنظيم المجتمع الاشتراكى فهى تنص على :

اقامة قطاع عام قوى يسيطر على الهياكل الاقتصادية ويعمل على زيـــادة الانتاج وعدالة التوزيع .

احترام الملكية الفردية غير المستغلة وتمليك الفلاحين الأرض مع نشرالتعاون على اوسع نطاق .

تطبيق قوانين التكافل الاجتماعى والرعاية الاجتماعية .

الكفاح ضد الاستعمار والعمل من أجل السلام وعدم الانحياز والتعـايش السلمى والتعاون الدولى .

واذا تأملنا هذه الأسس المادية نجدها بدورها مرتكزة على أفكار اسلامية ، ولقد سبق أن أشار **الدكتور عبد القادر حاتم** فى المذكرة التفسيرية للقـرارات الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ الى « أنه من المحتم أن تحدث هذه الانطلاقة الكبرى نحو الكفاية والعدل (وهما جوهر الاشتراكية) على هدى من عقائدنا الوطنيـة التى تؤمن بالله والتى تضع الفرد موضع العزة وتعتبر ان ملكاته الخلاقـــة هى قبس من فيض الخالق الأعظم »

ولما كان الاسلام أسمى عقائدنا فان هذه المبادىء تستمد جذورها منـه ، بوصفه دينا شاملا ، ونظاما كاملا ، يحدد علاقة العبد بربه ، ويفصل علاقات الأفراد فى معاملاتهم ويدعو الى التحرر من الاستغلال ، ومن عبودية المـال ، وتقوم فيه الملكية على الا ضرر ولا ضرار ، وعلى أساس اشتراك النـاس فى المقومات الرئيسية للحياة وهى كما حددها الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى زمانه « **الماء والكلأ والنار** »

وهؤلاء الناس فى نظر الاسلام مستخلفون فى الأرض لعمارها ، ولا يحق لفئة منهم استغلال عرق الأجراء ، أو احتكار الارزاق ، أو تكديس الثروات « **كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم** » ، كما يهدف الاسلام الى اقامة الحياة بين الناس بالعدل ولتحقيق هذه الغاية يقول القرآن : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** »

والعدالة الاجتماعية تقوم على فكرة الاخاء « **انما المؤمنون اخـوة** » ، وعلى فكرة البر والتضامن والاتحاد : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا** » ويقول الرسول الكريم : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** »

واذا كان الميثاق يحتفى بالعمل ويعنى بشئون الكادحين ورفع مستواهم فان الاسلام يمجد العمل بنوعيه اليدوى والفكرى ويجعله أساسا للملكية ومحورا للثواب والعقاب « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » . كما يميـز الاسلام بين العمل الخبيث والعمل الطيب منعا للاستغلال والغش وينهى عن أكل أموال الناس بالباطل « **يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم** »

خصائص الاشتراكية .

وأما عن خصائص الاشتراكية كما حددها الميثاق فى النزعة العلميـة والديمقراطية والتعاونية ، فما أكثر الشواهد على حفاوة الاسلام بها ، ودعوته اليهـا .

فالعلم قيمة عظيمة فى الاسلام ، والعلماء يتمتعون بأرفع المنازل ، وللمنهج العلمى القائم على المشاهدة والتبصير بحقائق الكون اهمية بالغة باعتباره اداة للمعرفة . ولقد نادى الاسلام بالشورى على أساس الاخوة والمساواة الانسانية والقرآن يقول : « **وأمرهم شورى بينهم** » ، « **وشاورهم فى الأمر** » .

كما حث الاسلام على التعاون والمحبة والتضامن وأكد أهمية هذه المبادىء فى تسيير دفة الحياة والتغلب على صعابها « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » .

على أن الحقيقة الاساسية التى جاء بها الميثاق هى أن الاشتراكية العربية ليست مجرد قوانين للتأميم أو قرارات لتحديد الملكية ، بل هى فى جوهرها فلسفة وحياة ونظام ، ولقد كان البعض ـ قبل الميثاق ـ يقصرون اللقاء بينهما وبين الاسلام على جانب واحد منه هو الجانب الخاص بأحكام المعاملات ، أما اليوم بعد أن حدد الميثاق معالم هذه الاشتراكية واظهر خصائصها وبين أهدافها فقد اتضحت الرؤيا ، واتسعت دائرة اللقاء فى ضوء ماأثبته الميثاق من ترابط بين القيم الروحية والقيم المادية .

ويمكننا بعد هذا أن نقول ان المبادىء الاساسية فى الميثاق لها أصول أولى فى الاسلام منبثة فى قيمه ، مبينة فى طرائقه ، ومازاد الميثاق الا ما يتناسب وطبيعة العصر الذى بعثت فيه الاشتراكية العربية التى تستهدف شرف الانسان وسعادته ، واضاءة حياته بنور الايمان ، بتحريره من الاستغلال وبتذويب الفوارق المصطنعة بينه وبين أخيه الانسان .

محمود عبد المجيد

وسائل الإنتاج بين خطة الميثاق ومنهج الشريعة

الدكتور محمد سعاد جلال

(١)

المرونة والاستيعاب في قواعد الشريعة

« ان سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج لاتستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ، ولا تلغى الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعى المترتب عليها » ..

« الميثـــاق »

١ ـ من بينات الحق التى تميز بها الدين الاسلامى فى بناء قواعـــده وأحكامه ـ أنه وضع نظاما شاملا ، قابلا للتطور من أجل تحقيق مطالب الحياة الانسانية الكاملة الشاملة ، فى كل عصروفى كل بيئة ، وبلغ من مرونه اتجاهاته واتساع قواعده الكلية التشريعية أنه لم يشأ أن يتحكم فى ظروف المستقبل المتغير بوضع أحكام تفصيلية للاحداث والتغييرات المختبئة فى ضمير المســتقبل ، بل وضع لمعالجة الأحداث المخترعة ، والتغيرات الجديدة ، قواعــد كلية وأحكاما عامة ، وخط طريقا للفلسفات الانسانية التى لايحتمل زوالها .

وبهذا البناء الحكيم فى قيادة النفس والمجتمع ، فتح أمام ذاته ـ كحقيقة كونية كبرى ـ طريق الخلود ، وأنفذ سلطانه التشريعى على حركة الحيـــاة وتفاعلاتها ، وقد بين القرآن كما بينت السنة أن الاسلام دين الفطرة : قال تعالى **« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها »** وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **كل مولود يولد على الفطرة** » أى ملاءمة الاسلام والاســـتعداد لقبله اذا خلى عن أسباب الفتن .

٢ ـ ومقصود القرآن الكريم والسنة من اعلان هذا المعنى والجهـــر به : أمران : ـ

أولهما : أن شريعة الاسلام ميسرة للتعامل ، لأن عقائدها وتقنينهـــا ، وآدابها على اتساق تام مع طبيعة الانسان ، وعلاقاته بظروف وجوده ومجتمعه ،

ليس فيها ما ينبو عن ذلك .. فهذا الأصل هو من محكم الشريعة التى تعتبر حاكما وقاضيا على ما يحتمل أن يكون قد ورد فيها من نصوص الكتاب أو السنة، مصادما لفطرة الانسان مناقضا للوفاء بحاجاته الطبيعية ، فان مثل ذلك ان ورد يعتبر من قبيل المتشابه الذى يرد بيان الفرض منه الى الأصل المحكم الذى أثبتناه ، فاذا عرض لنا حادثة ، واختلف عليها نصان متعارضان ـ أو فهمان مختلفان فى نص واحد : فالنص ، أو الفهم الذى يردها الى اقتضاء الفطرة أولى بأن يكون هو مناط حكم الحادثة .

٣ ـ وقد تنبه الى هذا المعنى شيخ الاسلام ابن القيم : فقرر القاعدة الفقهية العظيمة : وهى « **ان شرع الله لاينافى قدر الله** » .

والمراد بقدر الله فى كلام الامام ـ رضى الله عنه ـ الفطرة الانسانية : أعنى مجموعة القوانين الطبيعية المتعلقة بحياة الانسان «البيولوجية» والنفسية ، والمتعلقه بظروفه الحاكمة على وجوده ، مادية كانت أو معنوية ، فأحكام هذه القوانين ومقتضياتها لاتعارض حكم الشريعة وقد جاءت أحكام الشريعة على وفق هذه القوانين الطبيعية ، لاتعارضها ولاتختلف معها : لأن خالق الطبيعة هو واضع الشريعة ، ومنزل الأحكام : فلا يجوز فى حكم العقل أن يقع اختلاف أو تناقض بين طبيعة أوجدها . وشريعة أنزلها .

والأمر الثانى : هو دعوة المجتهدين الى الاستهداء بحكم الفطرة فى وضع الأحكام الشرعية ، وأن استلهام الفطرة فى وضع الأحكام الملائمة لحاجات الناس وعلاقاتهم المتطورة ملحظ مقصود للشرع : حتى قال ابن مسعود : مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، فهذا النص من كلام ابن مسعود الذى قيل انه حديث ـ يقرر أن الحسن فى دينه وشرعه ومرضاته وحكمه ، ما كان كذلك عند الناس ، نعم ، وليس المراد بالرأى هنا ـ ماكان عن هوى ، أو عن جهل بل المراد به ماكان رأيا ناشئا عن طلب المصلحة ، ومستندا بوجه من وجوه الاستناد الى أصل شرعى : ونقرر هنا أن كل رأى صحيح ينشد المصلحة الحقيقية الموضوعية المنزهة عن ميل النفس ، والجهل بنواميس الاجتماع لابد أن يجد له سندا قويا ، وواضحا فى عناصر الشريعة الاسلامية .

٤ ـ ومن ثم نشأت فكرة « **الاجماع** » واعتباره مصدرا أساسيا من مصادر الشريعة لاثبات « الأحكام » وقد اختلف فقهاء الأمة الاسلامية ، منذ ولادة علم اصول الفقه ، حول « الاجماع » فى ثبوت الحجة به ، وفى صفة انعقاده وفى امكان انعقاده ـ اختلافا كبيرا جدا ، ـ وكان أولئك الفقهاء العظام كانوا يتجادلون حول امر تهدى اليه فطرهم وأحاسيسهم ، والهامهم : ثم قصرت فى البيان عنه عباراتهم والحق أن سر «الاجماع» وسر الحجة به ـ هو أنه تعبير عن الارادة العامة للأمة

يفصح عنها المختصون بصياغة هذه الارادة فى صيغة شرعية عامة : وهم الفقهاء المختصون ببيان الذكر ، واظهار حكم الشريعة ، فهذا الاجماع بهذا الوجه الذى بيناه ، هو معقد الصلة بين الشريعة ومقتضى الفطرة وهو بذلك أمثل الطرق لتطوير الشريعة • وملاءمة المنازع الصالحة من مذاهب المدنية المعاصرة ــ فى الفكر والسلوك •

٥ ــ ومن هذه الملامح السريعة فى تصوير طبيعة التشريع ووضع الأحكام فى الاسلام ، يتجلى لنا أن الاسلام دين « **انسانى** » وهو بهذه الخاصة الانسانية الأصيلة فى تكوينه لا يتأبى عن استيعاب المصالح التى ينشق عنها سير الزمان فى حياة الأمم حتى قال بعض الفقهاء « **اينما تكون المصلحة فثم دين الله** » ••

٦ ــ ثم كان من شأن الاسلام بعد ذلك فى متابعة هذه الخطة التشريعية ــ أن يذكر جوهر الفكرة ، ومعناها ويدع الشكل والصورة لأن جوهر الفكرة ومعناها ، هو العنصر الذى لايقبل الزوال ، لأنه صدى لجوهر الانسان : ومهما تعاقبت المدنيات ، وتغيرت البيئات ، وتعمقت التطورات فى حياة الانسان فانها لاتغير جوهره ، فكذلك لاتغير من الحقائق ماكان مرآة لجوهره ، وتعبيرا عن انسانيته ، أما شكل الفكرة وصورة تحقيقها فى واقع سعى الانسان وتصرفاته فانها خاضعة لتطور العصور مهيأة لأن يتشكل على مقتضيات البيئات ، فعل الاسلام ذلك بالنسبة لقضية « الحكم » فى الاسلام فقرر مبدأ « **الشورى** » وأوجبه على المسلمين : أما أسلوب هذه الشورى فقد ترك رسمه وتعيينه ، للزمن ، وللمسلمين يحققونه بما يلائم أحوالهم ، وكذلك فعل فى الاقتصاد ، فقرر العدل الاجتماعى فى مواضع جمة من الكتاب ، والسنة قولا وعملا ، ولم يتوسع فى وضع نظام شامل ، واكتفى باقامة توضيح عملى لمثل هذا النظام حين يكون وذلك بتشريع « الزكاة » وهو تمثيل يهدى الى طريق التوازن الاقتصادى •

وكان من أروع ماأشار اليه القرآن الكريم فى تدعيم العدل الاجتماعى ــ ولم يلمحه المفسرون القدماء ــ هو الربط والتساند بين الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية التى جعل أساس بنائها عدالة التوزيع فى الثروة ــ وذلك فى قوله تعالى : « **ومما رزقناهم ينفقون** » فلا يفهم من الجمع بين الشورى والانفاق فى معرض واحد ــ فى المستوى الأمثل من الفهم ــ الا التنبيه على الرابطة الأكيدة ، بين العدل السياسى ، والعدل الاقتصادى وان ذلك من قصد الاسلام فى اقامة المجتمعات السعيدة المتقدمة من قبل أن يتهيأ ادراك هذا المعنى للمفكرين من قادة المجتمع البشرى واذاعته فى الناس بزمن طويل .

وفى ذلك كله مايسوقنا الى القول ــ ونحن متأكدون مما نقول ــ بأن اشتراكيتنا الراهنة ، انما هى ــ على الحقيقة ــ مضمون النص الاسلامى ــ وأن

هذا النص الاسلامي بأصله يقتضي معنى هذه الاشتراكية ، ويلزم بها في مواطن الأمر والالزام ٠

٧ ـ والناظر في تاريخ الظواهر الاشتراكية في الاسلام يقف على ملاحظة تعتبر غاية في الأهمية ، وهي أن الاسلام جاء فقرر من أول الأمر مبادىء اشتراكية أصيلة مثل الزكاة الواجبة ومثل الصدقة على السائل والمحروم ، ولبس النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخلصاؤه ، من كبار الصحابة في حياتهم الخاصة ثوبا اشتراكيا محضا ـ فدعا بذلك للاشتراكية ـ والتخلي عن راس المال المستغل ، دعوة غير ملزمة وان كانت في تقدير الناظر الأريب تعتبر ترجيحا للالزام ووجوب العمل ، ثم ترك أمر العمل الاشتراكي متراوحا بين الترغيب والالزام لقد فتح الاسلام باب الاشتراكية على مصراعيه ليلحظ المسلمون طريقهم وسبب **ذلك عندنا أمران :**

أحدهما أن يعطي المرونة التشريعية في التطبيق كما هو شانه في كثير من الأمور ٠

وثانيهما : أن « الراسمالية » لعهد الاسلام الاول كانت ذات سلطان عظيم وتمكن من النفوس ـ فكان هجوم الاسلام على انتزاعها من النفوس ـ قبل أن يتهيأ لها أسبابها الزمنية عملا ينافي طبائع الأشياء ، ويصادم سنن التطور : فاكتفى بتقرير المعنى الاشتراكي تقريرا ، واضحا ، وتاما وحاسما ـ وكأنه يقول اذا جاء الموعد فدينوا بالاشتراكية ٠

٨ ـ فلا موضع اذن لأن يعترض بعض الناس بكلمة الاسلام على القول بوجود الاشتراكية في اطار الحقيقة الاسلامية ، فنحن لم ندع قط أن هذا الاصطلاح بالذات كان موجودا في الاسلام الأول ، بل ولا هذه النظم من حيث شكلها وترتيبها وانما الذي نقطع به ، ولا يجوز الشك فيه لعارف بالاسلام ـ هو أن المبدأ الاشتراكي ـ الذي يستهدف ، العدالة والمساواة ، والتعاون ، والايثار ، في الكرامة الانسانية ، وفرصة العمل ، وتقرير الحقوق الطبيعية ، والمكتسبة بوسيلة العمل والمجاهدة لأصحابها من غير جور ، ولا من ، ولا تحيف ولا انتقاص ، **هذا المبدأ الاشتراكي** : هو عنصر من مقومات الحقيقة الاسلامية بغير شك ، **وأن كل نظام اشتراكي : يعمل على تحقيق المعاني المذكورة آنفا هو نظام اسلامي بغير نزاع ٠**

٩ ـ وبناءعلى هذا الأصل نستطيع ان نقوم المبادىء التي تضمنها الميثاق بصورة أكثر وعيا ونفاذا ، وفهما للعلاقة الأكيدة بين خطة « الميثاق » ومنهج الاسلام ، كما نستطيع أن ندرس بالذات في هذا المقال : قضية ذات بال من قضايا الميثاق ، نقول :

« ان سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج لاتستلزم تاميم كل وسائل الانتاج ولا تلغي الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعي المترتب عليها »

(٢)

تحليل وسائل الإنتاج بالقياس إلى الشريعة

١ ـ شرعية الحياة للأحياء ، تستلزم استمرارها لهم ، ومولد الانسان على هذه الارض واقع يقتضى بقاءهم عليها ، فان الناس لم يولدوا على الأرض ليطردوا منها ، ولم يشرع لهم حق الحياة لينتزع منهم ، وحق الناس فى الحياة ٠ وفى البقاء ، يستلزم لهم حقا ثانيا ، هو الوفاء بجميع المطالب التى تمكنهم من البقاء، والحياة ، فى صورة وجودية سليمة ، ثم فى صورة انسانية كريمة ، وانما يكون ذلك ، بتوفير مايقتضيه كيانهم المادى من الغذاء واللباس ، والمسكن ، على مستوى يعطيهم فرصة البقاء المقدر لتركيب أجهزتهم البدنية ، والنفسية ، ولا يختذلها ، ثم بتوفير مايقتضيه وجودهم الانسانى ، من الحرية ، والكرامة ، والثقافة ، واتساع التجربة ٠

وهنا تلعب وسائل الانتاج دورها التاريخى العظيم فى حياة الانسان ، لانها مصدر سداد احتياجاته التى يكون منها بقاؤه وترقيه ٠

٢ ـ مصادر اشباع حاجات الانسان قسمان :

مصادر اشباع مباشرة ، وهذه تسمى وسائل استهلاك ، أو أموالا استهلاكية ، وذلك كالخبز الذى نأكله ، والسيارة التى نستعملها فى ركوبنا الشخصى، والمنزل الذىنعمره بذواتنا وأسرنا، وهذه المصادر أوالأموال الاستهلاكية تختلف درجة بقائها فى القيام بوظيفتها ، فمنها ماينعدم بالاستعمال مرة واحدة، كالمواد الغذائية ، ومنها مايمتد بقاؤه بنسب مختلفة ٠ كالملابس ، والمنازل ، وهذه الوسائل لم يختلف أحد من العلماء فى اباحة ملكيتها واحرازها من غير قيد على المالك والمحرز ، وبقى النظر عندنا فى اباحة تخزينها هل يبقى ذلك مباحا أم لايعتبر مباحا ؟ وبقى النظر فى اباحة الاسراف فى استعمالها هل يبقى مباحا ، أم تمنع اباحته ٠

وبعبارة أكثر تصويرا : هل يباح لانسان أن يخزن عنده من الأغذية والملابس والأدوية ، مؤنة سنة كاملة مثلا ٠

وهل يباح لانسان أن يكون عنده عشر سيارات ، ومائة ثوب ، وخمسين حذاء وأن يأكل اذا أكل : عشرين صنفا من اللحوم وعشرة أصناف أخرى من الحلوى والفاكهة ٠

لم نر علماء الاقتصاد يتعرضون لهذا الموضوع ، فلننظر اليه فى ضوء الفقه الاسلامى ٠

أما التخزين فقد روى عن سلمان الفارسى ، انه كا نيدخر قوت سنة حياطة لنفسه عن الحاجة المحتملة ، ومن هنا يمكن القول بادىء الرأى بأنه يجوز تخزين وسائل الاستهلاك الى سنة ، ولكن مثل هذا القول يحتاج الى تفصيل : فان الوقت اذا كان وقت شح في الاقوات ، وقلة فى المواد ، وزيادة فى احتياجات الناس ، فان التخزين عندئذ يعتبر ضررا ملحوظا ، والمعهود فى الشريعة نفس الضرر أيا كان نوعه ، ووجوب التعاون بين المؤمنين حيثما دعت الحاجة الى تحقيق هذا التعاون : وقد ورد فى ذلك الحديث : « من كان عنده فضل زاد فليجد به على أخيه ، ومن كان عنده فضل مال فليجد به على أخيه » والفضل هو الزيادة ـ فقد أمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أرشد الى الجود بالزيادة من وسائل الاستهلاك طعاما أو مالا ، أو مركبا ، على الغير ممن لا يملكون مثل هذه الوسائل أو الأموال وقد ورد فى السنة أيضا ، « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » فاذا كانت أحوال المجتمع أحوال رخاء ويسر ، فان « التخزين » يكون مباحا ، لأن احتمال الضرر ، والامتناع عن التعاون حينئذ يكون بعيدا .

أما الاسراف فى المآكل والمشارب ، وفى اللبس والزينة المباحة ، ووسائل الانتقال : فقدنهى عنه الشرع نهيا صريحافقال تعالى : «**وكلوا واشربواولاتسرفوا انه لايحب المسرفين** » والنهى عن الاسراف ، ومجاوزة الحد يملأ صفحات الكتاب والسنة .

ومصادر اشباع غير مباشرة ، يتوسط بينها وبين فعل الاشباع بعض الوسائط وهذه هى التى تسمى وسائل الانتاج أو أموال الانتاج ، وذلك كالآلات التى تنتج الملابس فانها مصدر اشباع لحاجة الانسان بواسطة الملابس التى هى وسيلة استهلاك ، وكالأرض فانها أداة انتاج تقضى الى الاشباع بواسطة المحاصيل التى تنتجها ، ثم بواسطة تعبير هذه المحاصيل من القطن ، والقمح ، والأرز مثلا ، الى الصفة التى يتحقق بها مباشرة الاشباع ، وكالصناعات الثقيلة التى تنتج الآلات . والصناعات التى تنتج أدوات الاستهلاك. فهذه العناصر كلها مما يعتبر أموالا ينتج أموالا ، هو ماصطلح على تسميته فى العرف الاقتصادى : بوسائل الانتاج .

٣ ـ وقد ارتبط وجود الانسان فى أطوار التاريخ بوسائل الانتاج صعودا وهبوطا ، وأمنا واضطرابا ، وسعادة وشقاء ، حتى ليذهب بعض فلاسفة الاقتصاد ، الى أن ظواهر التاريخ انما هى ظواهر لتطور وسائل الانتاج .

والمعنى الذى نريد بيانه هنا ـ هو النظر الاسلامى للملكية وسائل الانتاج بين الاطلاق والتقييد ، هل يطلق للافراد أن يملكوا من وسائل الانتاج كما يشاؤون أم يحق للجماعة ، أن تتدخل للحد من هذا الاطلاق ؟.

هل ندع لفرد واحد أو جملة افراد أن يتحكموا فى وسائل الانتاج فى آثارها وقواها ، ونشاطها ، بسطا ، وقبضا ، ويبغون سبيل التصرف فيها مع الناس عوجا أو اصلاحا .

هل نقدر أن هذا التحكم مأمون العاقبة بالنظر الى تقدير حق الجماهير واحتياجاتها ، فى عدالة المعيشة ، وكفالة أسباب البقاء المقدر لأصحابه •

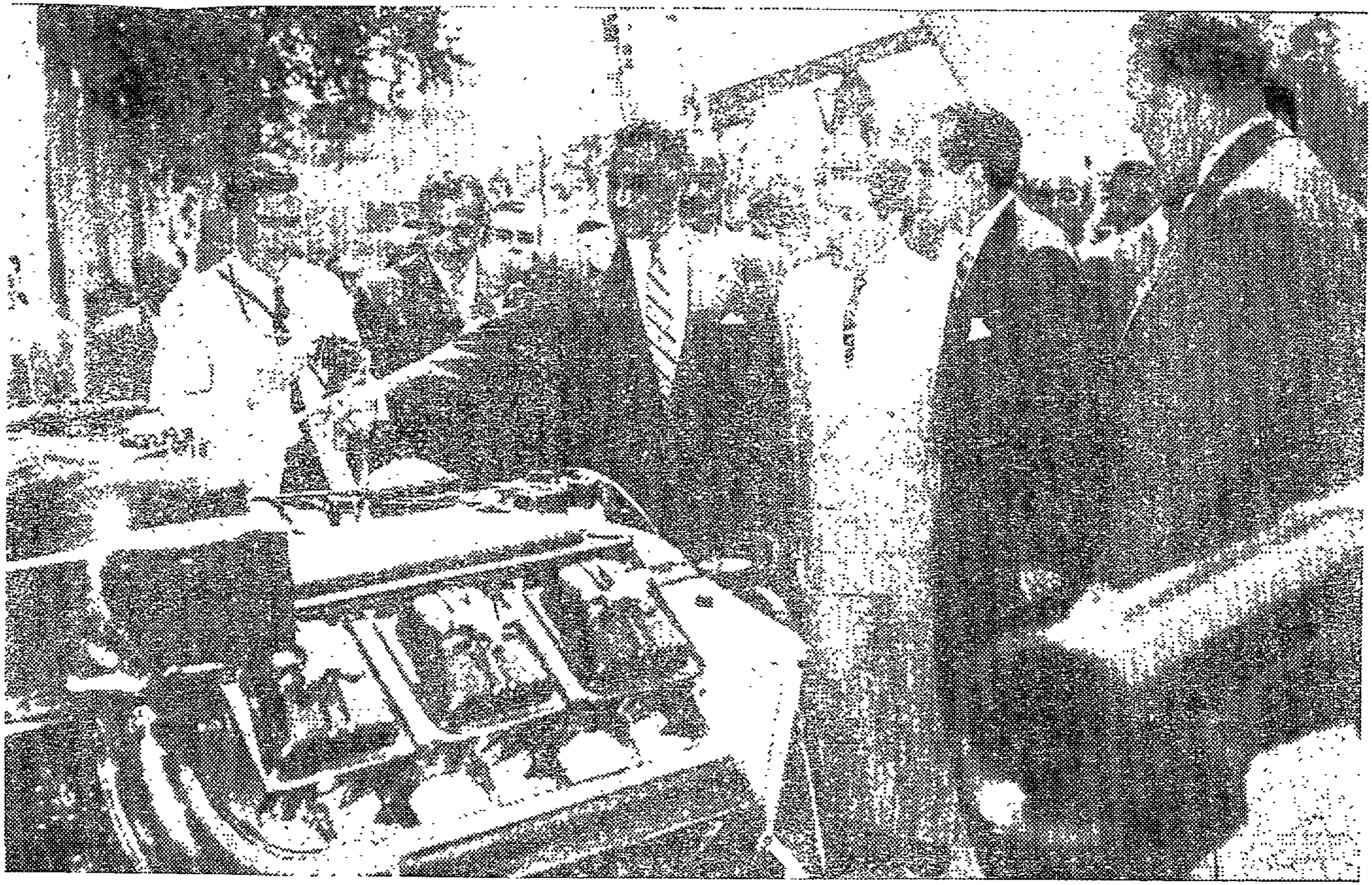
لقد دلت أحداث التاريخ التى تفيض جوعا ، ودموعا ودما مهراقا والتى تتراقص كالسفن التائهة المهزوزة فى محيط الألم البشرى ، على أن تحكم « الفردية » فى وسائل الانتاج بصورة مطلقة ، أدى الى ظلم الانسان وشقائه ، وجر الى فظائع الفتن والحروب ، والأهوال ، التى اكتوت بنارها الأمم والشعوب والجماهير المغلوبة على أمرها ، والبشرية الكادحة المهيضة الجناح •

٤ ــ وقد عملت هذه « الفردية » المسيطرة على وسائل الانتاج للحصول من مشروعات الانتاج ، على أكبر ربح بأقل تكلفة ــ فدعا ذلك أصحاب هذه المشروعات الى التفنن الذريع فى اذلال الطبقة العاملة وافقارها ، واستغلالها ، وعدم المبالاة بسواد الشعب فيما يرهقه من غلاء الأسعار ، وبالتالى فيما يؤخره عن أسباب التقدم ويحرمه الطمأنينة والرفاهية •

أما فى مجال الصناعة : فقد عملت « الفردية » المسيطرةعلىوسائلالانتاج على انشاء الاحتكارات الضخمة الواسعة تحت شعار « الكارتل » الذى نشأ فى المانيا سنة ١٨٦٠ ، و « الترست » الذى نشأ فى أمريكا حوالى سنة ١٨٨٠. وهى تكوينات وانشاءات تستهدف آخرالأمر ارتفاع أسعار البضائع والسلععلى سواد الشعب من المستهلكين ، وتكتل أصحاب هذه الاحتكارات ، بصورة منظمة للصالح الفردى ــ ضد رغبة الجماهير والطبقات الكادحة ، حتى لقد بلغ من قسوة السياسة التى تعمل بمقتضاها هذه الاحتكارات أحيانا أن تجعل سعر السلع المبيعة فى داخل البلاد أغلى من سعر هذه السلع اذا صدرت وبيعت خارج البلاد لغير المواطنين

وأما فى مجال الزراعة فقد عملت « الفردية » الرأسمالية على امتلاك اقطاعات واسعة من أرض الله ، واتخذت الناس القائمين عليها عبيدا ، يزرعونها ولا ينالون من بعض ثمرها مايقنعهم أنفسهم أو يقنع الناظر اليهم بانهم أحياء: وكانت الأموال التى تغلها هذه الاقطاعات تذهب على أيدى هؤلاء الاقطاعيين ، بعيدا ، بعيدا ، عن الصالح العام ، بينما كانت ــ أجهزة الحياة والتقدم ــ من الصحة والتعليم ، وأسباب العمران ــ فى ركود لايتحرك للعمل الا بمقدار خدمة هؤلاء الاقطاعيين ومزاجهم •

٥ ــ هل يرضى الاسلام عن هذه المفاسد الكبيرة الممثلة فى اتساع ملكية وسائل الانتاج واطلاق مداها ، فيما يتوقف عليه حياة الانسان ، وينبنى على



الرئيس جمال عبد الناصر باعث النهضة الصناعية يتفقد مشروعات الحديد والصلب

أساسه صلاح الأنفس والعقائد والأعمال · واستقرار العلاقات بين عناصر الأمة الواحدة ·· ان صريح الاسلام ناطق بتحريم الاحتكار ولعن المحتكرين: قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **الجالب مرزوق والمحتكر ملعون** » وقال : « **من دخل فى شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار** » وقال : « **من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه** » ·

ووجه الاستدلال من هذه الأحاديث : هو أن العلة التى جعلها الشارع مناطا لتحريم الاحتكار ، ولعن فاعله وتهديده بالالقاء فى لهب عظيم من نار جهنم يوم القيامة : انما هى : اغلاء الأسعار على الناس والتضييق عليهم فى أقواتهم وكفايتهم من حاجة العيش : فكل صورة من صور الاحتكار المتطورة المعقدة بتأثير امتداد الزمان فهى محرمة بتحريم الشارع لامعدى عن ذلك أصلا ·

والمانع ، من ظهور هذه الاحتكارات المحرمة التى تقضى بطبيعتها الى الطغيان ، والتحكم ، فى رقاب الناس ، وحرياتهم ، وأرزاقهم هو افساح الطريق أمام الشعب ليسيطر على وسائل الانتاج فهذا هو الضمان لمنع المفاسد الناشئة عن استئثار « الفردية » الرأسمالية ـ باحتكار المقادير الكبيرة من وسائل الانتاج فى ميدان الزراعة والصناعة ·

٦ ـ ان سيطرة الجماعة على وسائل الانتاج هو الكفيل بتنظيم استخدام هذه الوسائل بصورة تجمع بين النظام ، والعدالة وتعطى الفرصة لهذه الوسائل أن تؤدى وظائفها الحيوية فى خدمة الانسان على الوجه الأكثر فاعلية والألصق بطبائع الأشياء ، والأحق فى دين الله وشرعه ·

وكان أظهر ما جنح اليه « الميثاق » لتحقيق هذه الغاية أمران :

أولهما : خلق قطاع عام وقادر يقدر على التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية ·

وثانيهما : وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال ·

٧ ـ أما عن القطاع الخاص ـ وغاية تكوينه رقابة الشعب ومنع الاستغلال والمشاركة فى التنمية الاقتصادية ـ فليس فيما يتصل بعناصره ماينافى منهج الاسلام ، أو تتعلق به شبهة أصلا ، وأما عن القطاع العام ـ وقد اتخذ شكل « **التأميم** » فهذا مايحتاج منا أن نضع له شرحا فقهيا لأن تصورات الناس عن التأميم وعلاقته بالشريعة أخذت بتأثير سيادة النظام الرأسمالى المستغل زمنا مستمرا ـ تبتعد كثيرا عن ادراك الحقيقة فيه ·

(٣)

تفسير القطاع العام بالتأميم وشرعية التأميم

١ ـ المسألة التى بدت ذات لون صارخ فى تطبيقنا الاشتراكى هى مسألة التأميم • فقد جهل ناس •• وأغرض آخرون وزعم هؤلاء وهؤلاءأنالتأميم ليس من الاسلام •

فان أرادوا أن هذا الشكل من صور التأميم الحديثة لم يكن فى الاسلام ـ فهذا جائز ، ولكن لا حجة فيه لأحد ، لأنه لم يكن من الممكن بالنسبة للاسلام ولا لأى شريعة أن تختزل العصور وتطوى الأزمان ، ليظهر فى الزمن الأول بالنسبة للشريعة ، من الوقائع ، والأحداث مااقتضى سنة التطوير وسير الزمن، بظهوره المقدر له فى الأزمنة اللاحقة والأعصر التالية ، ولا يقول بهذا عاقل من الناس ، كما أشرنا لذلك سابقا •

وان أرادوا أن الشريعة الاسلامية تمانع فى الاذن به فهذا خطأ صريح •

واذن فالشريعة فى موضوع التأميم يرجع عندنا الى مبدأين هامين : ـ

المبدأ الأول : تقرير الشريعة لثبوت « الحمى »

والمبدأ الثانى : القول بالمصالح المرسلة •

٢ ـ فأما عن المبدأ الأول : فقد تكلم الماوردى فى الأحكام السلطانية ، كما تكلم القاضى أبو يعلى الحنبلى فى أحكامه السلطانية أيضا : عن الحمى :

قال القاضى أبو يعلى الحنبلى :

« وحمى الموات هو المنع من احيائه أملاكا : ليكون مستبقى الاباحة لنبت الكلأ ورعى المواشى : وقد حمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبلا بالنقيع : وقال هذا حماى : وأشار بيده الى القاع وهو قدر ميل فى ستة أميال : حماه لخيل المسلمين من الأنصار والمهاجرين •

وأما حمى الائمة بعده فان زعموا به جميع الموات أو أكثره لم يجز :

وان حموا أقله لخاص الناس أو أغنيائهم لم يجز ، وان حموه لكافة أو للفقراء والمساكين فانه يجوز :

حمى الأئمة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ
انتهى كلام القاضى أبو يعلى :

وتفصيل قوله : « حمى الأئمة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماذكره الماوردى : قال :

قد حمى أبو بكر رضى الله عنه « بالربذة » لأهل الصدقة واستعمل عليه مولاه أبا سلامه : وحمى عمر من « السر ف» مثل ماحماه أبو بكر من « الربذة » وولى عليه مولى يقال له « هنى » •

وما رواه البخارى : وذكره أبو عبيد : أن عمر حمى أرضا بالربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين : فجاء أهلها يقولون : ياأمير المؤمنين انها بلادنا قاتلنا عليها فى الجاهلية والاسلام : علام تحميها ؟ فاطرق عمر ثم قال : المال مال الله: والعباد عباد الله : والله لولا ماأحمل عليه فى سبيل الله ماحميت من الأرض شبرا فى شبر •

هذه فكرة الحمى فى الاسلام ذكرناها بنص كبار الفقهاء الذين سجلوها فى كتاباتهم : ويتبين منها : ـ

١ ـ ان الحمى ـ فى احدى صورتيه : منع الأرض الموات أن يتملكها أحد ، واستبقاءها لمنفعة عامة المسلمين للانبات ولرعى الماشية وهذا مافعلهالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحمى به أرضا قدرت مساحتها بميل فى ستة أميال : لخيل المسلمين من المهاجرين والأنصار وفى صورته الثانية : انتزاع قدر من الملكية من أيدى مالكيه واخراجه من حيز الملكية الشخصية وجعله ملـــكا عاما للأمة تنتفع به جمهور الناس : وهذا مافعله عمر رضى الله عنه فيما حماه من أرض « الربذة » الذى حكاه أبو عبيدة عنه •

٢ ـ وأن المعنى الموجود فى الحمى هو المعنى الموجود فيما نسميه اليـــوم « التأميم » الآن فى التأميم فى الصورة الثانية من الحمى . اخراج ملك خاص من يد أصحابه وتصييره ملكا للدولة : وجعل الانتفاع به لعامة المواطنين •

٣ ـ وانما قلنا لعامة المواطنين : لأن الحمى أو التأميم اذا أطلق للناس يكون لعامة المواطنين بلا فرق بين مسلم وغير مسلم •

قال القاضى أبو يعلى : فان كان « الحمى » لكافة النـــاس تســاوى فيه جميعهم من غنى ، وفقير ومسلم وذمى ، فى رعى كلأه لخيله وماشيته ••

وهذا الحكم من أدل الدليل على أن فقهاءنا ـ رضى الله عنهم ـ كانوا من أعلم الناس بمقاصد الشريعة المتجهة لتحقيق المثل الانسانية • وعملية الاندماج والمزج بين أصحاب الوطن الواحد •

٤ ـ وأن الحمى أو التأميم انما كان يتضمن مصلحة الدفاع عن الدولة بانشاء مرعى لخيل المسلمين التى يشد عليها فى الجهاد : وهو معنى قول عمر: « والله لولا ماأحمل عليه فى سبيل الله ماحميت من الأرض شبرا فى شبر »

٥ ـ وان تشريع الحمى كان يقدم فى اعتباره الفقراء والمساكين وسواد الشعب على الخاصة والأغنياء فكان موافقا للمعنى الذى انبنت عليه فكرة اليوم

أنظر قول القاضى أبى يعلى : « وان حموا أقله ـ أى الموات ـ لخاص الناس أو أغنيائهم لم يجز ، وان حموه لكافة المسلمين ، أو الفقراء والمساكين فانه يجوز » •

فقد جعل الأذن فى « الحمى » لكافة المسلمين أو يختص به الفقراء والمساكين ، ومنع من الاختصاص به الأغنياء أو الخاصة •

وهذه وجوه خمسة احتواها النص الذى سقناه •

٦ ـ ولنا بعد ذلك حول هذا المحتوى : ملاحظة واستنتاج :

أما الملاحظة فذلك أن الرواية عن عمر فى « حمى » أرض « الربذة » من أصحابها ـ لم تذكر أن ذلك كان بالمجان ، أو كان بتعويض الدولة لأصحابها والظاهر أن هذا « الحمى » لم يكن بتعويض : فانه لو كان بتعويض لكان من المستبعد أن يقدم أهلها على مناقشة عمر بقولهم له : هذه أرضنا قاتلنا عليها فى الجاهلية والاسلام ، ان انتقالها من أيديهم بعوض يمنع هذا السياق : ولما كان جواب عمر لهم : « المال مال الله ، والعباد عباد الله » لكان الظاهر من طبيعة المقام أن يقول لهم انه عوضهم عنها ـ ولكنه اذا أجابهم على اعتراضهم بغير هذا ـ وذكرهم بأن المال كله لله مشيرا بذلك الى أن الذى أخذه من أيديهم ، ليس خالص ملكهم على الاطلاق ، وانه مصروف الى عباد الله الذين لهم فيه حق •

هذا الجواب ، وهذا السياق : يثبت أن « الحمى » أو « التأميم » الذى فعله عمر كان بغير عوض : لأنه مال الله مصروف الى عباد الله ، والى حماية الدولة : تلك الحماية التى تؤول ثمراتها آخر الأمر الى استبقاء الملكيات الخاصة غير المؤممة فى أيدى أصحابها •

ويترتب على ذلك أن التأميم الذى يتم بتعويض الدولة لأصحابه عن الملكيات المؤممة ، يختلف حكمه اختلافا كبيرا عن هذا التأميم المنقول عن عمد : اذ يكون المنقول عنه أوسع من التأميم الراهن نطاقا وأعمق جذرا •

وأما الاستنتاج : فقد يبدو لنا أن نظام التأميم لازمة من لوازم كل النظم التى تستهدف تحقيق « العدل الاجتماعى » فى حياة الأمة فان استهداف العدل الاجتماعى يوجب النظر لمصلحة الطبقات الفقيرة ، ومعالجة بعض مشاكلها

ويستلزم ذلك قدرا من التأميم قل أو كثر ، وقد يظهر ذلك بصورة مبسطة بحسب حالة البيئة واحتمال الزمن : كما رأينا على عهد الاسلام الأول ، أو يظهر بصورة واسعة ومركبة ، كما فى عصرنا الراهن وكما نقول دائما : العبرة ـ بالحقيقة والمبدأ ، وليس بالصورة والشكل ٠

٧ ـ وأما عن المبدأ الثانى فيمكن أن يؤسس شرع التأميم على أساس من المصلحة المرسلة : وهى المصلحة التى لم يشرع الشارع حكما لتحقيقها ، ولم يدل دليل شرعى على اعتبارها أو الغائها كما قال علماء الأصول : وقالوا شرط العمل بهـا : ـ

ا) أن تكون مصلحة حقيقية لاوهمية ٠
ب) وأن تكون مصلحة عامة تحقق النفع لأكثر عدد من الناس ٠
حـ) وألا تصادم تشريعيا ثبت بالنص أو بالاجماع ٠

والتأميم فى نظرنا مصلحة حقيقية ، عامة لاتصادم تشريعا ثبت بالنص ولا بالاجماع فصح العمل بها لمصلحة الكافة ، ويدخل ذلك فى مسئولية الحاكم عن رفع الظلم وتحقيق العدل ، وتامين العيش للمواطنين ، حتى ولو لم يردبذلك حكاية من فعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا قوله ولا فعل أحد من أصحابه من بعده ٠٠

٨ ـ وقد يقع النقاش بين علماء الاقتصاد ، وخصوصا بين الاشتراكيين وخصومهم فى كون التأميم مصلحة أو غير مصلحة : غير أن هذا النقاش لاتأثير له على شرعيته من الوجهه الاسلامية لان الاسلام انما يحكمبشرعية التأميم : بعنوان كونه مصلحة فقط ، لاباعتبار كونه مضرة أو مفسدة ٠

وأعظم مايقال فى نقد التأميم أنه يسبب ضعف الحافز الشخصى على العمل

ومثل هذا القول أن وجد له مصداق فى الأمم التى شاع فيها الالحاد ونسى الناس فيها الحياة الآخرة ، ومراقبة الله رب العالمين ، فان تربية ضمير الأمة على عقيدة الاسلام ، يقطع السبيل على مثل هذا النقد ، ويلغى مجاله فليس كل مايقال فى بلاد أخرى يمكن قوله عندنا ، على أن التأميم لن يـكون فى كل القطاعات بل انما يلجأ الى تطبيقه حيث تحتم المصلحة ذلك ، ويكون احتمال تراخى الوازع الشخصى ، أن وجد أقل ضررا من ترك وسائل الانتاج ذات الأهمية الخطيرة ، بالنسبة لاقتصاد الشعب بغير تأميم :

فالأمر فى تطبيق التأميم أو عدم تطبيقه ، منظور فيه الى جانب المصلحة الغالبة بصرف النظر عن احتمالات الضرر المغلوبة ٠ عندما ٠ تؤسس نظرتنا على مقاييس الشريعة فى هذا الصدد ٠

- ٤ -

علاقة الملكية الخاصة والإرث بوسائل الإنتاج المتطورة..

(أ) الملكية الخاصة :

١ ـ أشرنا فى الفصول المتقدمة الى أن اقتضاء المد الثورى انتهى الى وضع وسائل الانتاج تحت سيطرة الشعب ورقابته : وتمثل ذلك فى تقسيم النشاط الاقتصادى ومجالاته ، الى قطاع عام : ظهر فى صورة « التأمم » ٠

والى قطاع خاص : وهو ترجمة عن الملكية الخاصة تحت رقابة الشعب ومقيدة بما يحدها عن سبيل الاستغلال ٠

ونسأل الآن : هل تتأثر هذه الملكية الخاصة ، وهل يتأثر الميراث بهذه الصورة المتطورة لوضع وسائل الانتاج التى استحدثت فى حياتنا الثورية ؟

ان الصورة المستحدثة لوضعوسائل الانتاج لم تعدمالملكية الخاصة ولكنها وسمت للملكية الخاصة من حيث المقدار ، ومن حيث التوجيه حدودا ، تجعلها متناسقة مع خطة الدولة الشاملة فى التنمية الاقتصادية ، والبعد عن منازع الاستغلال : واذن فالملكية الخاصة موجودة ، وغاية مافى الأمر أنه طرأ عليها تقييد : فلزم النظر فى شرعية هذا التقييد : هل هو جائز أم محظور ؟ ٠

بما ذكرناه من شرعية « التأميم » سابقا : يؤنس فى هذا المقام بشرعية تقييد : فلزم النظر فى شرعية هـذا التقييد : هل هو جائز أو محظور ؟ قدر من الملكية الخاصة من يد مالكيها وتصييرها الى ملكية الشعب : فيجوز بناء على ذلك : من قبيل ماهو أولى ، أن يجوز تقييد الملكية الخاصة ، بمقدار معلوم وتصرف معلوم ابتغاء للمصلحة العامة الراجعة الى سواد الشعب ، كما أسلفنا القول ٠

٢ ـ هنا قد يقول بعض المتأثرين فى فهم الاسلام بالعادات المألوفة فى أمور الملكية وغيرها : ان الاسلام لايبيح الضرر بل ويطلب رفع الضرر عمن يلحقه ضرر بغير حق وفى تقيد الملكية ضرر ظاهر يلحق بالمالكين ، فكيف ينسب للاسلام شرعية تقييد الملكية مع وجود الحديث الثابت المشهور ((**لاضرر ولاضرار**))

ونحن نوافق مبدئيا على أن فىتقييد الملكيةنوع ضرر ، ولكنه الضرر الذى يلغى الشارع اعتباره بازاء المصلحة العامة التى تترجح عليه ، كما يترجح مصلحة الجهاد فى سبيل الله الراجعة الى حماية الدولة والدين ، على المضرة

محاصلة من قتل المجـــاهدين فى ميدان القتال واجتـــلاب اليتم على أبنائهم والترمل لنسائهم ، والأسى لأسرهم •

فاذا كان فى تقييد الملكية عملية انهاض لسواد الأمة المجاهدة الفقير من مفاسد الفقر « ومعاناة الابتلاء والجهد ، بصورة ما ، فلا شك أن الذهاب لمصلحه الأكثرية أولى فى اعتبار الشرع من الجمود عن المساس ببعض حقوق الاقلية مما فيه نوع ضرر لهم •

ع - على التسليم بأن فى تقييد الملكية المقصود منه تعـــــادل الوضـــع الاقتصادى ضررا حقيقيا ينال مقوما أساسيا من مقومات وجود الانسان المالك فى نفسه ، أو عقله ، أو دينه ، أو عرضه ، أو يحد نشاطه لتحصيل نفسه بالعلم والمنزلة ، أو يحرمه من عيشة الرفاهية والرغد ، على ماتتسع له كفاية حاجاته ، ونوازعه السليمة •

لكننا نرى أن تقييد الملكية حينئذ بالنسبة للمالك يكاد يـــكون ضررا موهوما لم يقصد به ايقاع الأذى بأصحابه ، بقدر ماقصد منه منع أصحابه من ايقاع الأذى بغيرهم عن طريق الاستغلال ، وسوء الاستعمال •

٣ - وقد نقل عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فى بعض الحـــوادث الجزئية مايثبت اباحة تقييد الملكية فيما يعود ضرره على فرد بعينه : كان لسمرة ابن جندب نخل فى بستان رجل من الأنصار فكان سمرة يكثر من دخول البستان هو وأهله فيؤذى بذلك صاحب البستان فشكاه الأنصارى الى رســول الله - صلى الله عليه وسلم فاستدعى سمرة وقاله له : « بعه نخلك » : فابى : فقال هبها لى ولك مثلها فى الجنة : فابى فقال - صلى الله عليه وسلم لسمرة : « أنت مضار » ثم قال للانصارى صاحب البستان اذهب فاقلع نخله » •

وروى يحيى بن آدم انه كـــان للضحاكبن خليفة الأنصارى ارض لايصل اليها الماء الا اذا مر ببستان لمحمد بن مسلمة ، فرفض محمد هذا أن يجرى الماء فى بستانه الى ارض الضحاك ، فشكاه الضحاك الى عمر بن الخطاب : فاستحضره وسأله عما اذ كان مرور الماء ببستانه الى أرض الضحاك يضره : فقال محمد بن مسلمة : « لا » : فعندئذ قا لله عمر : « والله لو لم اجد له ممرا الا على » بطنك لامررته » •

وظاهر من هـــاتين الواقعتين أن حق تصرف المالك فى مـــلكه ليس حقا مطلقا - وانه حق مقيد برعاية مصلحة الغير حتى ولو كان هذا الغير فردا لا جماعة : وظاهر أيضا أنه اذا كان مناط تقييد الملكية الخاصة مصلحة الجماعة فى صورة الاستغراق ، أو فى صورة الكثرة ، كان هذا التقييد آكد حكما وأتم فى القياس •

٤ ـ ثم ان اطلاق الملكية أمر مباح ليس بواجب ـ فلم يوجب الشرع على الناس أن يملكوا ، ولم يوجب عليهم اذا ملكوا ألا يخرجوا من ملكهم .

وقد تكلم الفقهاء فى مدى حق « الامام » فى تقييد المباح ووجـوب طاعة الناس له على ذلك : و « الامام » فى النظام الاسلامى الموسس على عقد البيعة الصحيحة ـ هو رمز الارادة الشعبية ، نقل الألوسىفى التفسيرعن فقهاء المذهب الحنفى ـ كالامام الحصكفى وغيره ، أنه يجوز للامام أن يقيد المباح ، وأنه يجب على المسلمين طاعته فى ذلك ، كما نقل عن بعض الشافعية مثل ذلك أيضا » .

وهذا النقل يرمى فى مضمونه الى شرعية القول بسيطرة الشــعب على وســائل الانتاج لأن ((الامام)) فى نظام الحكم الاسلامى ماهو الا رمـز لارادة الجماعة ، كما قلنا ـ فيكون عمله مضافا للشعب .

وهكذا نرى أن سيطرة الشعب على وسائل الانتاج لايلغى الملكية الخاصة، ولكنه يقيدها .

وهو امر لايصادم الشريعة بل تاذن فيه الشريعة .

(ب) حق الارث :

٥ ـ لانتصور أن تكون سيطرة الشعب على وسائل الانتاج لها مساس بحق الارث .

ان المساس بحق الارث له ثلاث صور :

الصورة الأولى : اعدام الملكية أصلا : بحيث تنتفى ملكية وسائل الانتـاج وملكية وسائل **الاستهلاك ، فينتفى** الميراث والميثـــاق أبقى فى نطاق القطاع الخاص على الملكية الخاصة . مقيدة بشرائط معينة ذكرناها ، ولم يتعرض لملكية وسائل الاستهلاك ، بالسيطرة أصلا .

وما دامت الملكية الخاصة بنوعيها ـ انتاجية ، واستهلاكية قائمة فمجال الارث موجود لمن يستحقون ميراثهم الشرعى فيما تركه لهم مورثهم ، من مال يخلفونه فى وضع اليد عليه .

الصورة الثانية : منع الورثة بغير وجه شرعى ، من الحصول على مـال مورثهم ونقله عنهم الى جهة أخرى قبل وقوعه فى أيديهم .

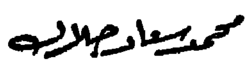
الصورة الثالثة : التسوية بين حظ الذكر والأنثى فى الميراث على عكس مانطق به القرآن الكريم أو ادخال ماليس وارثا شرعيا ، ضمن الورثة الشرعيين أو ماشابه ذلك من الفروض التى تنافى أصل مشروعية الارث أو نظامه .

وفى هذه الصور الثلاث لانجد فى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، مايمسها ، أو يعطل محتواها الشرعى ، والميراث موجـــود حتى فى الدولة الروسية وهى أشد الدول اتساعا فى الأخذ بالنظام الاشتراكى فكيف نتصـور

فى نطاق الاشتراكية المعتدلة التى تزكى « رأس المال » الوطنى ، ان سيطرة الشعب على وسائل الانتاج أمر له مساس بحق الارث ؟ •

٦ ـ على أن الفكر الذى يجب أن يكون له اعتبار خاص : هو أن نظام التوريث فى الاسلام عملية اشتراكية فانه شرع بطريقة تؤدى الى تفتيت الثروة وتوزيعها على عدد من الوارثين تتفاوت أنصبتهم منها ، وكل واحد من هؤلاء الورثة يؤول ميراثه الى عدد آخر من ورثته من بعده ، فلا تلبث الثروة الكبيرة المركزة فى يد واحدة ان تقل جدا أو أن تذوب بعد جيلين أو ثلاثة غالبا • ويتبعها تغيير جزئى فى اذابة الفوارق الطبقية وعدم الابقاء على الثروة فى جهة واحدة ـ وكما قال القرآن الكريم : « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » •

ومن هنا يتضح أن نظام الميراث بالأسلوب الذى شرعه القرآن : يصادق الاشتراكية ، ويسير معها نحو هدف واحد : المساواة وعدالة التوزيع •



الديموقراطية السليمة

الدكتور احمد كمال ابو المجد

مهما اختلف المؤرخون والكتاب فى تحديد الأسباب المختلفة التى أدت الى قيام الثورة عام ١٩٥٢ .. فانهم يتفقون على أن فساد النظام السياسى السابق عليها كان فى مقدمة تلك الأسباب .. أو كان على الاقل واحدا من أهمها .. وأبرز مظاهر هذا الفساد وأخطرها ، ان ذلك النظام كان يستند الى واجهات وشعارات ديمقراطية لايختلف أحد على صلاحيتها من الناحية النظرية .. ولكن هذه الواجهات كانت تخفى حقائق بعيدة كل البعد عن الديمقراطية فى أى صورة من صورها ..

ومن هنا لم تكن ثورة ١٩٥٢ ـ فى جانبها السياسى ثورة على هذه الواجهات الديمقراطية ، وانما كانت ثورة على التزييف السياسى الذى قام عليه النظام .. وعلى المفارقة الهائلة بين النصوص والنظريات السياسية التى استند اليها وبين الواقع الأليم الذى عاشته الجماهير فى ظل تلك النصوص والنظريات ..

وهذه المفارقة هى التى تفسر الحرص على استعمال كلمة الديمقراطية مقرونة دائما بكلمة « السليمة » .. فان هذا الحرص يكشف عن أن جوهر المشكلة السياسية فى نظر المفاهيم الثورية الجديدة ، هو ايجاد التطابق بين الشعارات السياسية وبين الواقع السياسى العام ..

معنى الديمقراطية ..

والديمقراطية ـ كما يعرف اليوم كل أحد ـ كلمة يونانية مركبة من أصلين : Deems ومعناها الشعب .. و Kratos ومعناها السلطة .. فهى فى عبارة واحدة حكم « الشعب » أى النظام السياسى الذى تستقر فيه السلطة فى يد الشعب أو فى يد أغلبيته ، لا فى يد فرد واحد كما هو الحال فى الديكتاتوريات والملكيات المطلقة ، ولا فى يد أقلية من الناس كما هو الحال فى

الحكم الاستقراطى ، أى حكم الأقليـــة من النبلاء أو الاشراف ، أو فى الحكم الأوليجاركى أى حكم الأقلية من التجار وأصحاب الأموال ·

ولا يختلف هذا المدلول عن تعريف الميثاق للديمقراطيـة حيث قرر « ان الديمقراطية هى توكيد السيادة للشعب ·· ووضع السلطة كلها فى يده أو تكريسها لتحقيق أهدافه » ·

واذا كان هذا هو المدلول الحرفى للديمقراطية ·· فان النظام الديمقراطى قد ارتبط فى أذهان الناس بالحرية السياسية ·· حرية الأفراد فى مواجهـة السلطة الحاكمة ·· وقدرته على نقدها ·· وحقه فى تغييرها ···

ولذلك لم يكن غريبا أن يربط الميثاق بين الديمقراطية والحـرية ، وأن يصف الديمقراطية صراحة بأنها **« هى الحرية السياسية »** ·

ديمقراطية ماقبل الثورة :

ان دستور ١٩٢٣ كان ينص صراحة على أن السـيادة للشعب ، وعلى أن ممارستها تكون وفقا لما يقرره ذلك الدستور ··· وكان يقيم لهـــذا الغرض برلمانا مكونا من مجلسين ·· وكان الشعب يدعى كل خمس سنوات ليختـــار أعضاء مجلس النواب ·· ونصف المنتخبين من مجلس الشيوخ ··

وكان ذلك الدستور ينص فوق ذلك على حرية العقيدة ·· وحرية التعبير عن الرأى ·· وحرية الصحافة ·· وحرية الاجتماع ·· وحرمة المسكن ··

ولكن هذه الواجهات كلها لم تتعد ـ فى كثير من الأحوال ـ نطـــاق النصوص ·· وسارت الحياة السياسية فى اتجاه جعل النص على تلك المبادىء الرفيعة سخرية يكذبها الواقع ··

ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف فى النظام السياسى السابق على الثورة فى الأمور الجوهرية الآتية :

١ ـ أن السيادة الفعالة لم تكن للشعب ·· ولا لأى قوة وطنية ·· وانما كان المحتل الأجنبى هو صاحب الكلمة النافذة فى كل شىء ·· وكان يمارس هذه السلطة من خلال حقوقه المستمدة من المعاهدات التى فرضها على البـلاد أحيانا ·· واعتمادا على القوة السافرة التى لا يمليها اتفاق ولا قانون ·· الا قانون سيطرة القوى على الضعيف ··

واتخذ هذا النفوذ أحيانا مظهرا مباشرا صريحا عن طريق التدخل لفرض بعض الوزارات التى يطمع فى تعاونها معه ·· واسـقاط تلك التى تتردد فى هذا التعاون أو تضع له شروطا لايرضاها ولا يراها محققة لمصالحه ·

٢ ــ ان الملك لم يلزم حدوده الدستورية كرئيس للدولة «يملك ولايحكم» ويترك السلطة الفعلية لمجلس الوزراء المسئول أمام البرلمان ‥ وانما أقحم نفسه فى أمور تدخل فى صميم اختصاص الوزارة أو البرلمان ‥ وتسبب بذلك فى كثير من المشاكل والأزمات التى حرمت نظامنا السياسى عنصر الثبات والاستقرار ، وعوقت بذلك كثيرا من الاصلاحات الهامة فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية ٠

ولم يقتصر انحراف الملك على تجاوزه لحدوده الدستورية ‥ بل انه زج بنفسه ــ فوق ذلك ــ فى جو الصراع الحزبى ‥ ودأب على مساندة احزاب الاقلية ليضرب بها خصومه السياسيين مساهما بذلك فى زيادة مفاسد النظام الحزبى الذى عرفناه قبل الثورة ‥ يضاف الى ذلك كله ماتناقلته الأسماع وتداولته الأحاديث من فساد سيرته ، واستخفافه بمشاكل الشعب ومتاعبه ‥ وعزلته النفسية الكاملة عن واقع النضال القومى ‥

٣ ــ ان الأحزاب السياسية القائمة كانت عنصر هدم وتخريب فى حياتنا السياسية ‥ فقد كانت نشأتها ــ كما كان تاريخها ــ تعبيرا عن خصومات شخصية وعائلية ‥‥ فحزب الأحرار الدستوريين قد نشأ ــ كما هو معروف ــ نتيجة انشقاق عدلى يكن على سعد زغلول ‥ والحزب السعدى قد نشأ نتيجة خروج النقراشى واحمد ماهر على حزب الوفد ‥ وحزب الكتلة بدوره قد نشأ نتيجة فصل زعيمه مكرم عبيد من حزب الوفد‥ أما التجمعات القليلة التى كانت تعبيرا عن مبدأ أصيل أو برنامج محدد خاص فقد كانت بعيدة عن المشاركة الفعلية فى الحكم ‥

والواقع أن التأمل فى البرامج الرسمية المعلنة لهذه الأحزاب كلها ‥ كان يكشف عن التشابه الغريب الذى يبلغ حد التماثل بينها ‥ مما يلغى كل مبرر حقيقى لوجودها ‥ ويجعلها مجرد تجمعات عصبية أو طائفية تفرق وحدة الصف ‥ وتنال بذلك حتما من قوة النضال الوطنى فى فترة كانت البلاد فيها فى أمس الحاجة الى الوحدة وتلك القوة ‥

٤ ــ أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى سادت البلاد قبل الثورة كان من شأنها أن تجعل الشعارات الديمقراطية ، والحقوق والحريات السياسية المنصوص عليها فى صلب الدستور مجرد « واجهات دستورية » تخفى وراءها واقعا بعيدا كل البعد عن الديمقراطية ونظامها الدستورى ‥

وتفصيل ذلك ــ كما يعلمه الآن كل أحد ــ أن جماهير الشعب ، صاحبة السيادة الحقيقية ، ومالكة السلطة السياسية وفقا لأصول المبدأ الديمقراطى كانت تعيش فى فقر وجهل وخضوع لقلة من أصحاب رءوس الأموال وملاك الأراضى الزراعية ‥ ولم يكن غريبا أن تنعكس هذه الطبقية الاجتماعية

والاقتصادية على صورة الحكم فى الدولة ••• فقد استولت طبقة الملاك على الحكم واتخذته سبيلا لزيادة مغانمها واستمرار تحكمها فى جماهير الشعب • وفى ظل هذا النوع من الحكم يكون الحديث عن الديمقراطية ومايكفلهالدستور من الحريات والحقوق السياسية تزييفا لا معنى له ولا حقيقة ••

ذلك أن الحقوق والحريات انما تمارس من خلال ارادة حرة قادرة •• وعقل واع مستنير •• أما حيث تنحنى هذه الارادة لمطالب الحاجة وقوة الضغط الاقتصادى •• وحيث تحرم العقول من نور العلم •• ويحال بينها وبين معرفة الحقائق •• فان ممارسة تلك الحقوق والحريات لن تكون الا وسيلة تحصل بها الفئة القوية الباغية على سند شكلى من الجماهير يسمح لها باستمرار حكمها ودوام استغلالها للمحرومين •

ان فصل الحرية السياسية عن الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى فى ديمقراطية ما قبل الثورة كان تجاهلا صارخا لحقائق العلاقات الاجتماعية ، وللعلاقة الوثيقة بين الجوانب المختلفة للنفس الانسانية •• كما كان انكارا لما هو مقرر فى علم السياسة من أن النظام السياسى لشعب من الشعوب لايمكن أن يكون صالحا له الا اذا أدخل فى حسبانه حقائق الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى يعيش فيها ذلك الشعب ••

ان دعاة الديمقراطية فى أوروبا كانوا يصفون ديمقراطيتهم بقولهم انها « مسالة عقل وقلب » وليست مسالة « خبز وزبد » •• وكان هذا الشعار يحمل فى طياته بذور فشل تلك الديمقراطية التقليدية وافلاسها •

معالم الديمقراطية السليمة كما حددها الميثاق ••

ا) اذا كان توكيد السيادة الشعبية ورد السلطة السياسية الى جمهور الناس هو جوهر الديمقراطية على اختلاف صورها وأشكالها •• فان الميثاق قد قرر هذه السيادة وأكدها فى كل باب من أبوابه العشرة •• فهو يقررهاكحقيقة تاريخية حينما يصف الانتفاضات المتعددة التى زخر بها تاريخنا القديم والحديث •• فيردها جميعا الى روح الكفاح والمقاومة والى أصالة الوعى الثورى عند الشعب بأسره •• ثم هو يقررها حينما يجعل من سمات العمل الثورى الصادق ان يكون شعبيا . وحينما ينكر على الثورة أن تكون عمل فرد أو فئة واحدة ••• ثم يقرر أن « الديمقراطية هى الترجمة الصحيحة لروح الثورة » • ويحدد مفهومها بعد ذلك بقوله انها توكيد السيادة للشعب ، ووضع السلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه » •

ب) غير أن الميثاق بعد ذلك حريص على التحرر من الأشكال التقليدية للديمقراطية •• وتلك أولى معالم المنهج السياسى الذى حدده فى بابه الخامس ••

ذلك أن التسلط السياسي والثقافي الذى باشرته القوى الأجنبية على شعبنا قد صور للكثيرين منا أن الأشكال والنماذج التى تقدمها تلك القوى للديمقراطية هى الأشكال الوحيدة لذلك النظام •• وأن الخروج عليها خروج على جوهر الديمقراطية وردة عن روحها •• وهذا هو الوهم الذى بدده الميثاق •• مؤكدا ان النظريات المتعارف عليها لايمكن أن يستغنى بها عن التجربة الوطنية ومقررا فى صراحة « أن الحلول الحقيقية لمشاكل أى شعب لا يمكن استيرادها من تجارب شعب غيره •• ولا تملك أى حركة شعبية فى تصديها لمسئولية العمل الاجتماعى أن تستغنى عن التجربة •• وتطبيقا لهذا المنهج السليم قرر أن « الحرية السياسية أى الديمقراطية ليست هى نقل واجهات دستورية شكلية • »

وفى سبيل التحرر من الأشكال التقليدية للديمقراطية .. واستجابة لملابسات التجربة الوطنية فى الميدان السياسى•• حدد الميثاق معالم الديمقراطية السليمة التى يريدها على النحو التالى :

اولا ـ الربط بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية :

بين الميثاق حقيقة الارتباط الحتمى بين الديمقراطيه السياسية والاشتراكية بقوله فى الباب الرابع : « ان الذى يحتكر رزق الفلاحين والعمال ويسيطر عليه •• يقدر بالتبعية أن يحتكر أصواتهم وأن يسيطر عليهم وعلى ارادتهم » و « ان حرية رغيف الخبز ضمان لا بد منه لحرية تذكرة الانتخابات »•

ولذلك عاد فقرر صراحة فى الباب الخامس « ان الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية • وأن المواطن لا تكون له حرية التصويت فى الانتخابات الا اذا توافرت له ضمانات ثلاث :

- **أن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره •**
- **وان تكون له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية .**
- **وان يتخلص من كل قلق يبدد امن المستقبل فى حياته • »**

ومن هنا بدأ العمل الثورى عندنا بتهيئة التربة لاقامة النظام الديمقراطى وذلك بالسير فى طريق الثورة الاجتماعية التى تستهدف القضاء على سيطرة طبقة من المواطنين ، وتتخذ لهذا الغرض سبيل الحل السلمى فى اطار الوحدة الوطنية ، وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات .

والواقع أن القوانين والقرارات الاشتراكية التى بدأت بقانون تحديد الملكية الزراعية عام ١٩٥٢ ، والتى توجت بقوانين يوليو الاشتراكية عام١٩٦١ قد كانت كلها سبيلا لتصفية القوى الاقتصادية التى تسلطت على الارادة الشعبية وتحكمت فيها •• كما كانت سبيلا لتحقيق العدل الاجتماعى والرخاء



احدى السيدات تتحدث فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية معلنة ابتهاجها وتأييدها للميثاق الوطنى الذى أعطى المرأة حقوقها كاملة

الاقتصادى ٠٠ باعتبار هذه الأمور جميعا شروطا أولية لامكان ممارسة الحرية السياسية ٠٠ والواقع ـ مع ذلك ـ أن الميثاق لم يكن بداية التفاتنا الى الصلة بين النظم السياسية وبين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ٠٠ بل ان المبادىء الستة الكبرى التى أعلنت غداة الثورة قد تضمنت لفتة واضحة الى هذه الصلة حينما ذكرت القضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، واقامة عدالة اجتماعية ٠٠ قبل ان نذكر « الحياة الديمقراطية السليمة » ٠٠ وذلك ايمانا باستحالة قيام الديمقراطية السليمة فى جواجتماعى واقتصادى مشحون بأسباب الضغط على الارادة الشعبية التى تمارس الأمة عن طريقها تلك الديمقراطية ٠٠

كذلك جاء أول دستور بعد الثورة ٠٠ وهو دستور جمهورية مصر الصادر عام ١٩٥٦ موجها مزيدا من العناية والاهتمام الى الحقوق والضمانات الاجتماعية للمواطنين ٠٠ توكيدا للارتباط الأساسى بين هذه الضمانات وبين قدرة الناس الفعلية على ممارسة الحقوق والحريات السياسية ٠

ثانيا ـ شكل جديد للنظام الديمقراطى ٠٠ نظام الاتحاد الاشتراكى :

ان المشكلة الحقيقية التى تواجه الشعوب ليست فى تقرير المبدأ النظرى الذى تقوم عليه حياتها السياسية ، بقدر ما هى فى ايجاد الوسائل العملية الكفيلة بنقل هذا المبدأ الى حيز التطبيق العملى ٠٠

وكلنا يعرف كيف تكون النظم والنظريات محكمة وسليمة حين تقرر فى النصوص وتكتب فى الكتب ٠٠ ثم اذا بها تنزل الى ميدان التطبيق فتنحرف وتمسخ ، وتستحيل الى شىء بعيد كل البعد عما أريد بها أصلا ٠٠ ومن هنا كانت المشكلة الحقيقية أمام الميثاق فى الميدان السياسى هى مشكلة الاهتداء الى الشكل المناسب الذى يفرغ فيه المبدأ الديمقراطى وما يقوم عليه من توكيد السيادة للشعب » ٠

والصورة التقليدية الغالبة للنظام الديمقراطى هى الديمقراطية النيابية، ومؤداها ـ كما هو معروف ـ أن ينتخب الشعب عددا من النواب يمارسون السلطة باسمه ولحسابه ٠٠ ويقنع هو بمراقبتهم وسحب الثقة منهم اذا أسرفوا فى الخروج عن اتجاهاته العامة ، وذلك بعدم اعادة انتخابهم بعد انتهاء مدة نيابتهم ٠٠ ومن هؤلاء النواب يتكون البرلمان ـ من مجلس واحد أو مجلسين ـ ويتولى ممارسة الوظيفة التشريعية وما تتضمنه من سن القوانين التى تمثل الاطار القانونى العام الذى تعمل فى حدوده السلطتان التنفيذية والقضائية ٠

ورغم ما يقوم عليه مبدأ انتخاب النواب من تسليم بحق الشعب فى السيادة ، فان النظام النيابى يتضمن خطرا كبيرا كما ينطوى على نقص ظاهر ٠٠ أما الخطر فيتمثل فى احتمالات انحراف النواب عن رغبات الشعب

واستئثارهم بالسلطة لحسابهم وتحقيقا لمصالحهم الذاتيـــة ·· وبذلك تكون السيادة الفعلية لهم وليست للشعب صاحبها الأصيل ··

وأما النقص فيتمثل فى أن تدخل الشعب فى الحياة العامة·· ومشاركته فىتوجيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية تغدو ــ فى النظام النيابى ــ مشاركة ضئيلة ناقصة ·· لأنه لا يتدخل آلا ليختار عددا من المرشحين ، دون أن تكون له كلمة مباشرة فى أخطر القرارات التى تمس حياته فى جوانبها كلها ··

وتلك هى أهم المشاكل التى واجهت النظم النيابية المختلفة ، والتى عبر عنها علماء الفقه الدستورى « بأزمة الأنظمة النيابية » ·

وفى سبيل عـــلاج تلك الأزمة لجأت كثير من النظم الى ما يســـمى بالديمقراطية شبه المباشرة ·· وفيها يختار الشعب نوابا عنه كما هو الحال فى النظام النيابى ·· ولكنه لايترك الأمر كله فى أيديهم ·· وانما يحتفظ لنفسه ــ فى دستوره ــ بحق التدخل والعمل المباشر بالنسبة لبعض المسائـل التى يرى لها من الخطورة والأهمية ما يحول دون امكان انفراد النـــواب بالتصرف فيها ·· أما وسائل هذا التدخل المباشر فاشهرها وسيلة الاستفتاء الشعبى ·· ووسيلة الاعتراض الشعبى ·· ووسيلة الاقتراح الشعبى ··

ومؤدى الاستفتاء الشعبى ·· الا ينفذ مشروع القانون الذى يقره النواب الا اذا عرض على الشعب فى استفتاء عام ووافق عليــه ·· ومؤدى الاعتراض الشعبى أن يكون لعدد من أفراد الشعب ــ أى هيئة الناخبين ــ أن يعترضوا خلال فترة زمنية معينة على مشروع قانون وافق عليه النواب ·· ويتعين حينئذ طرحه على الشعب فى استفتاء عام ··

وأما الاقتراح الشعبى فصورته أن يكون لعدد من هيئة النـــاخبين أن يتقدموا للمجلس النيابى بمشروعـــات القوانين التى يرون طرحها عليـــه للمناقشة ···

ورغم الفوائد غير المنكورة لهذه الديمقراطية شبه المباشرة ·· فانهـــا لاتتضمن ــ فى الحقيقة ــ الا علاجا جزئيا للمشكلة ·· لأ نالارادة الشـــعبية تبقى فى معظم الأحوال بعيدة عن العمل المباشر وفى ظلها يبقى تيـــار الارادة الشعبية تيارا متقطعا وان تقاربت فترات تدخله ومناسباته ··

ومن هنا ظلت الحاجة قائمة الى وسيلة يستطيع الشعب عن طريقها أن يمارس تأثيرا وتدخلا مباشرين فى الحياة السياسية ··

وهنا اهتدى الميثاق الى نظام الاتحاد الاشتراكى العربى باعتباره منظمـة قومية تتحالف داخل اطارها القوى الممثلة للشعب العامل لتمـــارس تأثيرا مباشرا ومستمرا على جميع الأجهزة التى تمارس السلطة فعلا ·

واذا لم يكن من أهداف هذا البحث ولا فى نطاقه ما يسمح بالتعرض تفصيلا للاتحاد الاشتراكى العربى ·· فاننا نكتفى هنا بمقارنة سريعة بينه وبين النظام الحزبى ·· وبتحديد اجمالى لدوره فى الحياة السياسية ··

ا) أما النظام الحزبى فيقوم ـ على ماهو معروف ـ على تجمع أصحاب المذهب الواحد فى العمل السياسى فى صورة منظمة خاصة نمارس الدعوة لنفسها فى صفوف الرأى العام ·· تم تتقدم للانتخابات العامة ·· وتصل بذلك الى ما تستطيع الوصول اليه من مقاعد البرلمان ·· ومناصب السلطة التنفيذية ·· والنتيجة النهائية لجهود الأحزاب السياسية أن يتوقف مصير الشعب على نتيجة الصراع الحزبى ·· وأن يتآثر بما تملكه الأحزاب من وسائل توجيه الرأى العام ·· والتأثير فيه ·· والضغط عليه ·· بمعنى أن الصورة النهائية للحياة العامة تتوقف فى النهاية على نتيجة الصراع المذهبى والسياسى ··

أما نظام الاتحاد الاشتراكى فيفترض التقاء على الأهداف الكبرى فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد وعلى الوسائل الرئيسية لتحقيق تلك الأهداف بين القوى الممثلة للشعب وهى الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية ··

ولا يجوز ـ فى تقديرنا ـ أن نفاضل بين هذين الأسلوبين من أساليب العمل السياسى وذلك اعمالا لما قررناه من قبل من أن أساليب العمل السياسى لابد أن تدخل فى حسابها ملابسات التجربة الوطنية وما يحيط بها ·· وغنى عن الذكر أن البلاد قد اتجهت كلها ـ بعد الثورة ـ نحو تحقيق الأهداف الستة التى أعلنتها تلك الثورة ·· بحيث لم يعد هناك موضع ولا مبرر لقيام تجمعات حزبية ·· وليس معنى هذا بطبيعة الحال أن الاتحاد الاشتراكى يتبنى مقدما برنامجا تفصيليا للعمل السياسى ·· ولو فعل ذلك لأصبح حزبا واحدا شبيها بتلك الأحزاب التى عرفتها دول متعددة فى الشرق وفى الغرب ·· وانما ينفسح المجال داخل الاتحاد الاشتراكى وخارجه لاختلاف وجهات النظر فى وسائل العمل ومناهج التطبيق ·· وفى وصول القرارات المختلفة التى توضع بها السياسة الاشتراكية موضع التطبيق والتنفيذ ·

ب) وأما دور الاتحاد الاشتراكى فى الحياة السياسية فيقوم على توجيه أجهزة الحكم المختلفة ورقابتها ·· وهذا ماعبر عنه الميثاق بقوله « ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب أن تتأكد باستمرار فوق سلطة أجهزة الدولة التنفيذية ··

ومعنى هذا أن الاتجاهات الشعبية الأصيلة فى كل ميادين العمل العام ستتبلور تدريجيا صاعدة فى مستويات التنظيم الهرمية داخل الاتحاد الاشتراكى ·· حتى اذا وصلت الى قمته وصدرت بها توصيات وقرارات كانت

هذه التوصيات والقرارات تعبيرا أكيدا عن « الرأى العام المنظم » وكان مقتضى الديمقراطية أن تلتزم بها أجهزة الحكم المختلفة ٠

وأما دور الاتحاد فى الرقابة فيحتاج تنظيمه الى صدور القرارات التنظيمية التى تبين حدود تلك الرقابة ومسالكها المختلفة ٠

والواقع - كما لاحظ الميثاق بحق - أن توكيد سلطة المجالس الشعبية على هذا النحو فوق ما يتضمنه من توكيد مبدأ السيادة الشعبية فانه الضمان الذى يحمى قوة الاندفاع الثورى من أن تتجمد فى تعقيدات الأجهزة الادارية أو التنفيذية ٠٠ وهذا التجمد وذلك التعقيد هما أخص سمات البيروقراطية التى انحرفت اليها كثير من النظم ، والتى أدت الى وقوف الأجهزة الادارية كمنطقة عازلة للارادة الشعبية عن ممارسة التأثير الفعلى الأكبر على الأوضاع السياسية والاجتماعية ٠٠

ثالثا - أسلوب جديد فى تمثيل الشعب داخل المنظمات الشعبية والنيابية:

من المفاهيم الشائعة فى ظل الديمقراطية التقليدية أن تقرير مبدأ الاقتراع العام - أى السماح بممارسة حق الانتخاب دون تقييده بشروط مالية أو فنية خاصة - يعتبر بذاته تقريرا كافيا للمساواة والعدل السياسى ٠٠ غير أن العمل السياسى الحقيقى - فى ظل النظام النيابى - لا يتم فى الحقيقة عن طريق الاشتراك فى الانتخابات ، وانما يتم داخل المجالس النيابية ٠٠ ومن الثابت أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى بيئتنا الخاصة قد أدت دائما الى احتكار فئات وطبقات اجتماعية خاصة لمقاعد البرلمان ٠٠ وبذلك صار العمل السياسى كله فى قبضة تلك الفئات والطبقات ٠٠ وحرمت منه جماهير الشعب صاحبة الحق فى ذلك العمل السياسى ٠٠

وقد جاء الميثاق واقعيا ودقيقا حينما قرر أن التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشرة لا بدلها أن تمثل بحق وبعدل القوى المكونة للأغلبية » ، ووصف الميثاق ذلك بأنه حق وعدل باعتباره تمثيلا للأغلبية ، كما رأى فيه - من ناحية أخرى - ضمانا أكيدا لقوة الدفع الثورى نابعة من مصادرها الطبيعية الأصيلة ٠

والواقع أن المفارقة بين صورة البناء الشعبى فى المجتمع ٠٠ وبين صورة المجالس التى تمثل هذا البناء فى مجال العمل السياسى ٠٠ ليست بدورها الا عثرة لما يقوم عليه التركيب الاجتماعى من فروق بين الطوائف التى يتكون منها المجتمع ٠٠ وهى فروق من شأنها أن تتمكن احدى الطوائف أو بعضها من احتكار العمل السياسى ٠٠ أو على الأقل من المساهمة فيه بدرجة تجاوز نسبتها العددية الى مجموع أفراد المجتمع ٠٠

واذا كان العلاج الجذرى لهذه الظاهرة يحتاج الى تصفيه تدريجية لاسباب هذا التفاوت .. فقد كان لابد من وسيلة عاجلة ـ ولو مؤقتة ـ لتحقيق عدالة التمثيل فى المجالس السياسية ..

والوسيلة التى اختارها الميثاق هى أن ((يضمن الدستور الجديدللفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بما فيها المجلس النيابى باعتبارهم أغلبية الشعب كما أنها الأغلبية التى طال حرمانها من حقها الأساسى فى صنعمستقبلها وتوجيهه .

رابعاً ـ حرية الكلمة سبيل للعمل فى ظل النظام الديمقراطى .

النقد والنقد الذاتى .

المجتمع الديمقراطى بطبيعته مجتمع مفتوح ... يتسع للآراء المختلفة مهما تباينت وتباعدت وجهات النظر فيها .. وذلك ايمانا بالانسان وبعقله.. وبقدرته على الاهتداء الى الصواب والاختيار بين الآراء المختلفة .. اذا تركت له حرية الاختيار بينها ..

ولذلك قرر الميثاق أن النقد والنقد الذاتى من أهم الضمانات للحرية ..

والواقع ان مفهوم حرية الكلمة فى ظل الديمقراطية يحتاج الى اعادة نظر .. فلايزال من الناس من ينظر الى تلك الحرية على انها شر لابد منه أو انها ـ على احسن تقدير ـ وسيلة يأمن بها النظام شر الطاقات المكبوتة فى الصدور ..

والحق أن حرية النقد نعمة من نعم الديمقراطيةعلى الحكامو المسئولين قبلأن يكون حرية يتمتع بها المحكومون .. ذلك أن الكلمة الحرة الجريئة المخلصة هى التى ترشد المسئول وتبصره بمواضع الصواب وتجنبه مواطن الزلل .. وتعينه على أمره بما تلقيه من الضوء على جوانب المشاكل المختلفة .. والحاكم الذى لا يسمع الا دقة واحدة لن يعرف الا نغمة واحدة كما يقول المثل .. ولذلك كان عمر ـ رضى الله عنه ـ يقول : رحم الله امرءا أهدى الينا عيوبنا .

ومن لفتات الميثاق التى تستحق الاشارة أنه ذكر النقد الى جوار النقد الذاتى .. والنقد الذاتى هو بغير شك أول أبواب التقدم فى كل عمل .. وصورنه فى المنظمات الشعبية أن تعتاد تلك المنظمات ارتفاع أصوات النقد من داخلها ، وأن يشغلها الحرص على الحقيقة وعلى اتقان العمل عن الحرص على الشهرة والتباهى وادعاء النجاح المطلق ..

غير أن النقد الذاتى للأسف ليس سهلا ولا ميسورا فى جميع الأحوال ، فان المنظمات مهما كانت شعبيتها هى وحدات عمل مغلقة .. وفى وحدة العمل المغلقة يكون سلطان الرأى العام الداخلى أقوى وأشد ، وتكون شحنتهالضاغطة

أقسى واعنف ·· ومن هنا لاترتفع فى مواجهته عادة الا أصوات الذين أوتوا من الجرأة والحكمة وشجاعة النفس مالايتاح الا لأولى العزم ·· فاذا أضفنا الى ذلك أن البعيد كثيرا مايرى مالا يراه القريب ، وأن القصى قد يتاح له من الحياد والحكم الموضوعى ما لا يتاح لمن يعيش بأعصابه وجوارحه فى جو العمل المغلق أدركنا أن النقد الذاتى وحده لايمكن أن تكون فيه الكفاية وانما لابد أن يتممه النقد الذى يأتى من الخارج ، وهو ما نبه اليه الميثاق ·

خامسا ـ سيادة القانون سياج لابد منه لضمان الحرية :

اذا كانت « حرية الكلمة المقدمة الأولى للديمقراطية » فان « سيادة القانون هى الضمان الأخير لها » ··

وذلك أن الحقوق والحريات التى يتأكد بها حق الشعب فى السيادة لابد أن يكون لها جزاء عملى يحميها ·· ولا شىء يحمى الحقوق فى المجتمع كما تحميها سيادة القانون ·· ونزول الناس جميعا ـ حكاما ومحكومين ـ عند أحكامه ·· فان ذلك سبيل العدل وضمان المساواة بين الناس ·· وملاذهم من آفات النفوس وأهوائها ··

واذا ذكرت سيادة القانون ·· ذكر القضاء الحر فى أعقابها ·· فلا شىء يؤكد سيادة القانون مثل قيام القضاء بالرقابة على تصرفات الأجهزة التنفيذية المختلفة ·· حتى يطمئن الناس على حقوقهم ·· ويأمنوا من كل سلطان سوى سلطان القانون المعبر عن ارادة الشعب ·· وليس أقدر على توكيد سيادة القانون من القضاء ·· وذلك لما له من استقلال عن السلطات العاملة فى الدولة ·· وبما لأعضائه من ضمانات خاصة تعلو بهم عن مواطن الرغبة ومواطىء الرهبة ، وبما استقر فى تقاليده الراسخة من التزام التروى والتثبت وتحرى الحقيقة ، والتنائى عن أسباب التأثر والانعطاف مع الهوى ··

غير أن سيادة القانون تتطلب ـ كما لاحظ الميثاق بحق ـ تطويرا واعيا لمواده ونصوصه بحيث تعبر عن القيم الجديدة فى مجتمعنا ··· والواقع ـ كما يعلم الآن كل أحد ـ أن « كثيرا من المواد التى ما زالت تحكم علاقاتنا الاجتماعية قد جرت صياغتها فى جو مختلف وان أول ما يعزز سلطان القانون هو أن يستمد حدوده من أوضاع المجتمع المتطورة » ·

* * *

تلك أهم معالم الديمقراطية السليمة التى حرص الميثاق على ارساء دعائمها وبيان طريقها ··

ملامح من الفكر الإسلامي في الميثاق الوطني

الأستاذ حسن فتح الباب

كان اعلان مشروع الميثاق الوطنى الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية مساء يوم ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ من أعظم الاحداث التاريخية فى عالم اليوم . فلم تكد وسائل الاعلام الحديثة تنشر أنباءه وتبشر بمضمونه حتى أدرك الرأى العام العالمى أن شمسا جديدة تؤذن بالشروق على العالم العربى وأنه لن يمضى وقت طويل حتى تغمر أشعتها الساطعة آفاق الدول النامية فى آسيا وافريقيا

وعلى الرغم من الصراع المحتدم بين الشرق والغرب وماخلفه هذا الصراع من أزمات مريرة استأثرت باهتمام الساسة والمفكرين فى شتى الدول وشغلتهم عن متابعة ماعداها من مشكلات ، فقد بهر الميثاق جميع الأعين المتطلعة فى خوف وقلق على مصير الحضارة البشرية ، فمضت تتابعه بالنظر والتأمل العميق لعلها تجتلى فى ضوئه أسرار تلك البقعة من العالم التىانبثقت منها أقدم الحضارات والرسالات السماوية فى تاريخ الانسانية ،وتستكشف فى ثناياه علاجا لبعض الأدواء التى يرزح تحتها كاهل الانسان المعاصر .

اصالة الميثاق فى مضمونه القومى .

ولاريب فى أن اعظم الجوانب اشراقا فى الميثاق تلك التى استحوذت على تقدير المتابعين للثورات الشعبية والمراقبين لتطور الأحداث السياسية ، هى جدة الميثاق واصالة محتواه . ولاغرو أن يتنبأ أولئك وهؤلاء بما سوف يحدثه الميثاق من آثار عميقة فى الشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة وفى سائر الشعوب العربية بل فى تلك الجماعات البشرية الضخمة التى تخوض ظروفا مشابهة فى مختلف أنحاء العالم .

وليس عسيرا على الباحث المستنير أن يدرك من تمحيص مواد الميثاق واستقراء احكامه أن تلك الأصالة التى يتميز بها مردها انبثاقه من أعماق الشعب العربى : وصدقه فى التعبير عن آلامه وآماله .

لقد غاص واضع الميثاق فى الأغوار البعيدة لهذا الشعب ، فتبين حقيقته واهتدى ـ رغم الضباب المتكاثف عبر العصور ـ الى السمات الرئيسية والمقومات الجوهرية التى شكلت تاريخ شعبنا ورسمت له حياته وحددت طريقه بين الشعوب · وبفضل الايمان الراسخ · بعظمة هذا الشعب وبقدرته على النضال والحياة ، والنفاذ الى صميم روحه ، استطاع واضع الميثاق أن يقدم دليل عمل لأمته لايصلح لها غيره سبيلا للقضاء على العوائق التى تعترض طريقها ولتحقيق الأمانى التى تجيش بخاطرها منذ القدم ·

ومن أبرز تلك القسمات والمقدمات التى اهتدى اليها الميثاق فسجلها فى صفحاته وحرص دائما على الاشادة بها مستلهما اياها مبادئه وغاياته · جوهر الروح الاسلامية التى طبعت شعبنا فكان جزءا من الأمة العربية التى قدمت للعالم بعد هدايتها الى الاسلام واحدة من أعظم الحضارات وأكثرها خصبا فى التاريخ ·

وقد تضمن هذه الحقيقة الباب الثالث من الميثاق وهو يتناول بالبحث والتحليل بذور النضال المصرى فى قوله :

« وفى اطار التاريخ الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية ··

وكان الكشف عن هذه الأصول وازالة ما علق بها من شوائب الزيف الذى مارسته حفنة من المؤرخين المغرضين ، نقطة انطلاق الى تطوير الحاضر وبناء المستقبل على دعائم ثابتة من تاريخنا القومى · ومن ثم جاءت المبادىء التى أرساها الميثاق متفقة مع الروح الاسلامية فى مضمونها مستوحاة من عقيدتنا السمحة فى تشريعها · ذلك أن أصلح الدساتير وأبقاها هى تلك التى تستمد أحكامها من تراث شعوبها وتصدر عن قيمها ومثلها العليا وتتلاءم موادها مع طبيعة هذه الشعوب وأسلوبها فى العمل والكفاح ·

حقائق الاسلام فى ضوء الميثاق ·

وفى ضوء التعاليم الاسلامية السامية شرع الميثاق نظرية متكاملة للعمل الثورى فى مختلف الميادين يسفر تطبيقها السليم عن اقامة البناء الجديد للوطن العربى على أسس لايتطرق اليها الوهن · وقد أفادت هذه النظرية التى عالجت قضايا الاجتماع والسياسة والاقتصاد والثقافة من حقائق الاسلام التى سيطرت فيها البدع والضلالات فعوقت الشعب حينا عن المضى فى طريقه وألقت على الدين القويم ظلا من الشبهات التى تحول بينه وبين تأدية رسالته فى أثارة القلوب والعقول · وفى هذا المعنى يقول الميثاق ·

ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الايمان : قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لاحدود لها من أجل الخير والحق والمحبة .

« ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته .

ان جوهر الرسالات الدينية لايتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية .

« لقد كانت طبيعة الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه مايتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم »

لقد وعى الميثاق حقيقة الدور التخريبى الذى قام به الغزاة العثمانيون ليخدعوا الشعب باسم الدين ، فأولوا تعاليم الاسلام الرشيدة بما يناسب أطماعهم ، ووصموا المكافحين والثوار والعاملين على نصرة الحق بتهمة المروق عن الدين .. وحالوا دون انتشار صيحة المصلحين ودعوتهم الى تحرير الدين من الأوهام والضلالات . وفى هذا المعنى يقول الميثاق :

« وجعل الشعب من أزهره الشريف حصنا للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتت التى فرضتها الخلافة العثمانية استعمارا ورجعية باسم الدين .. والدين منها براء .. »

ويحتضن هذا الأسلوب العثمانى المنكر أولئك الاستعماريون الأجانب وأذنابهم من أسرة محمد على الدخيلة فى فترة الاحتلال البريطانى ، فينبت من صلب هذا الشعب العريق الثائر محمد عبده مواصلا رسالة استاذه العظيم جمال الدين الأفغانى مناديا بالاصلاح الدينى . ويسجل الميثاق هذه الصفحة المشرقة فى تاريخ أنصار الشعب وحماة عقيدته .

واذ يثبت الميثاق هذه الحقائق التى طمستها بعض الأقلام عمدا أو انخداعا يمضى فى غايته فيرسم طريق البناء وفق ما اهتدى اليه من الينابيع التى استقت منها روح الأمة الاسلامية على مر العصور .

ونحن نلمس تجاوب الميثاق مع التعاليم الاسلامية الرشيدة فيما احتواه من فلسفة وماصدر عنه من اتجاه في مختلف الميادين . وسوف نقتصر في هذا المثال على دراسة بعض ملامح الفكر الاسلامي في المجال العلمي والثقافي كما وردت في الميثاق مصداقا لما تناولناه فيما سبق من تمهيد .

دور العلم والثقافة في بناء المجتمع .

لقد عرض الميثاق في الباب الثامن الخاص بالتطبيق الاشتراكي لدور العلم في بناء المجتمع وتطويره بقوله :

« ان العمل الثورى لابد له أن يكون عملا علميا .

« ان الثورة ليست عملية هدم أنقاض الماضي ، ولكن الثورة هي عملية بناء المستقبل .

« واذا تخلت الثورة عن العلم ،فمعنى ذلك أنها مجرد انفجار عصبي تنفس به الأمة عن كبتها الطويل ، ولكنها لاتغير من واقعها شيئا .

« ان العلم هو السلاح الحقيقي للارادة الثورية ، ومن هنا الدور العظيم الذى لابد للجامعات ولمراكز العلم على مستوياتها المختلفة أن تقوم به .

« ان قدرتنا على التمكن من فروع العلم المختلفة هي الطريق الوحيد امامنا لتعويض التخلف ، بل ان النضال الوطني اذا ما اعتمد على العلم المتقدم يستطيع أن يمنح نفسه فرصة أعظم للانطلاق تجعل التخلف السابق ميزة أمام ماسوف يحققه التقدم الجديد .

« ان العلم للمجتمع يجب ان يكون شعار الثورة الثقافية لنا في هذه المرحلة ، على أن بلوغ النضال الوطني لاهدافه سوف يسمح لنا في مرحلة متقدمة من تطورنا بان نساهم ايجابيا مع العالم في العلم للعلم

وهكذا يحدد الميثاق مكانة العلم من المجتمع الجديد ، فهو الأساس الوطيد الذى ينبغي ان يقوم عليه العمل الثورى ، وهو عماد حركة البعث الاجتماعي والاقتصادي ، وهو السلاح الحاسم القادر على ضرب التخلف واستئصاله من جذوره ، وتقديم الحلول الصحيحة للمشكلات التى تعوق نهضتنا وتقف بها عن مواصلة الطريق .

* * *

وهذه النظرة الواعية التى تدعو الى الايمان بالعلم كوسيلة أساسية للانتاج وارساء قواعد المجتمع على هدى التخطيط العلمي في كافة المجالات تتفق مع تعاليم الاسلام في المبدأ والغاية معا . فالاسلام في حقيقته عقيدة تحررية كبرى وثورة دينية علمية جاءت لتطلق الفرد والمجتمع من أسار الشرك بالله والاضرار بالخلق ، ولتبدل ظلمات الناس وجهالاتهم نورا ، وهو

رسالة العلم والتحضر والسبيل الى رفع الظلم واقامة العدل وبث مبادىء الحق والمساواة . وكان الطريق الذى انتهجه الاسلام لتحقيق هذه الغايات هو نشر المعرفة الشاملة والثقافة الحقة لتقويض الضلالات القديمة وخلق واقع جديد للمجتمع يسير فى هداه حتى يبلغ هدفه الأكبر فى توحيد أفراده وضمان الخير والرفاهية لهم .

وان حركة التاريخ وتطوره الدائم وما سجلت صفحاته من وقائع وأحداث تشهد جميعا ان الدين الجديد الذى جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ثورة اجتماعية شاملة بأجلى معانيها . ومن ثم وعت رسالة الاسلام الدور الضخم الذى يؤديه العلم فى بناء الفرد وهو وحدة الأسرة التى تشكل الخلية الأولى للمجتمع ، وأدركت مايفتحه العلم من آفاق رحبة نحو مستقبل كريم للانسان وما يفجره من طاقات خلاقة فى الأفرادوالجماعات ومهدت له الطريق لينفذ الى كل عقل كى يتهيأ لاستقبال الدعوة الاسلامية ، والايمان بها ، وليطهر كل نفس من أدران الجاهلية . ويكفى أن نذكر ما عرضه الرسول الكريم على أسرى المشركين فى غزوة بدر من اطلاق سراح من يفتدى منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين ، فالأسير يشترى نفسه بثمن يتكافأ مع تحريره وهو احياء النفوس وبعثها ، فالجهل والموت فى ميزان الحقيقة صنوان . ولكى تبنى دولة عليك أن تحرر الأنفس من عبودية الجهالة وتضىء بصيرتها بنور المعرفة حتى يصبح أربابها اعضاء صالحين فى جسد المجتمع .

ومن ثم أعلى الاسلام من منزلة العلماء وصان كرامة العلم . قال تعالى فى كتابه العزيز : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون** » . « **وقل رب زدنى علما** » « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » . **وفى الحديث الشريف** : « **اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ، صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولدصالح يدعو له** » . « **من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما العلم بالتعلم .** »

* * *

العلم حق للفرد وفريضة على الدولة

واذا كانت هذه هى نظرة الاسلام الى العلم ، تلك النظرة التى نطالعها على صفحات الميثاق فلا غرو أن يجعل الاسلام العلم حقا لكل فرد بل واجبا عليه ، وكذلك نجد هذا المبدأ الأساسى مقررا فى الميثاق .

ففى الحديث الشريف :« **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » فلا تفرقة فى هذا السبيل بين فرد وآخر ، ولاتمييز بين الرجل والمرأة ، وينبغى الا يقف حائل دون التطلع الى العلم وارتياد آفاقه مهما عظم الجهد وشقت الطريق ، والرسول صلى الله عليه وسلميحث المسلمين على ذلك بقوله:

« اطلبوا العلم ولو بالصين » ويروى المؤلفون القدامى وقائع كثيرة تدل على ولع المسلمين الأوائل بالبحث العلمى استجابة منهم لتعاليم دينهم الحنيف ، وايمانا بأن طلب العلم يسمو الى مرتبة الفرائض . والعربى بفطرته وبحكم نشأته الصحراوية شغوف بالأسفار البعيدة وقد وجه الاسلام تلك الطاقة فى خدمة المجتمع بالحث على انتجاع موارد المعرفة فى مظانها بحثا عن كل قديم ومستحدث فى العلوم والآداب والفلسفات وسائر ألوان الثقافة .

وقد تعمقت أصول الشريعة السمحة فى نفوس المسلمين حتى جد روادهم من الفقهاء والعلماء والفلاسفة فى التماس الثقافة وتحصيل العلم من كل فج عميق فى عالم لم تكن تربطه وسائل المواصلات أو تتاح له سبل المعرفة التى نشهدها فى عالم اليوم .

ولايقف ايمان الدولة الاسلامية بالعلم كوسيلة ضرورية لتهذيب الفرد ودعم أركان المجتمع ، بل انها تتخطى مرحلة الدعوة والتوجيه الى مرحلة العمل ، فتلزم نفسها بتمهيد السبل التى تيسر على المسلمين فى طلبهم للعلم والتماسهم له فى مصادره ، وذلك بجعل بيوت الله مدارس لتلقى أصول المعرفة واقامة دور العلم فى الحواضر وتنشيط حركة الترجمة والتأليف وايفاد البعثات العلمية كما نجد ذلك فى العصور الاسلامية الزاهرة وخاصة فى عهود العباسيين والأندلسيين .

***

وينص الميثاق الوطنى على مسئولية الدولة عن تعليم المواطنين جميعا بلا أدنى تفرقة بينهم فى هذا الحق تطبيقا لمبدأ تكافؤ الفرص فى الخدمات الاجتماعية ، وفى مقدمتها التعليم . مثلها فى ذلك كمثل سائر الحقوق السياسية والاقتصادية .

ففى الباب السابع الخاص بالانتاج والمجتمع :

« ان تكافؤ الفرصة وهو التعبير عن الحرية الاجتماعية يمكن تحديده فى حقوق أساسية لكل مواطن ينبغى تكريس الجهد لتحقيقها .

ومن هذه الحقوق « حق كل مواطن فى العلم بقدر مايتحمل استعداده ومواهبه . ان العلم طريق تعزيز الحرية الانسانية وتكريمها . كذلك فان العلم هو الطاقة القادرة على تجديد شباب العمل الوطنى واضافة أفكار جديدة اليه كل يوم وعناصر قائدة جديدة فى ميادينه المختلفة .

ويتبين من هذه المقارنة اعتناق الميثاق ــ روحا ونصا ــ لمبدأ اشتراكية العلم والثقافة ، وهو المبدأ الذى نجده فى الاسلام منذ بدأت الدعوة فى الجزيرة العربية حتى ازدهرت الدولة الاسلامية واتسعت أرجاؤها وامتدت رقعتها حتى بسطت ظلها على معظم انحاء الأرض .

ولاعجب أن يتفق الميثاق فى هذا المنحى مع التعاليم الاسلامية الخالدة ، فان جوهر الاسلام كما جاء فى نص الميثاق تأكيد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية ، والعلم هو السبيل الحق لتحقيق هذه الغاية . وكما حارب الاسلام الرجعية والطبقية فى كافة الميادين ومنها المجال العلمى والثقافى، كذلك جاء الميثاق مجددا هذه المبادىء فى أطار جديد يتفق مع التطور العصرى

* * *

العلم طريق السلام والتعاون الدولى

لاريب فى أن التبادل الثقافى بين الدول وليد عاملين لابد من توافرهما الأول : استقرار الدولة ورخاء المجتمع وما يتمخضان عنه من تقدم فى العلوم والمعارف ، والثانى : قيام العلاقات الودية فى الميدان الدولى وما تؤدى اليه من تفاهم وتعاون فى سبيل قضاء المصالح المشتركة ، وهى علاقات تتوقف على سيادة الأمن والسلام فى المحيط العالمى ، وكما أن السلم هو البيئة الصالحة لازدهار العلاقات الدولية وفى مقدمتها العلاقات الثقافية ، فكذلك يؤثر التبادل العلمى والثقافى فى السلام الدولى فيقوى اركانه ويوثق روابطه .

وقد كانت السفارات الثقافية من أهم الأغراض التى استحدثت فى الدبلوماسية الاسلامية بقصد توطيد الصلات العلمية والثقافية بين الدولة الاسلامية وسائر الدول ولاسيما فى العصرين العباسى والأندلسى وما يحققه ذلك من دعم الحركة الثقافية فى المجتمع الاسلامى واقرار علاقات المودة والسلام فى الميدان الدولى .

ولقد كان دعم الروابط الثقافية بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول غرضا مستحدثا فى الاسلام لانصراف النبى صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين والأمويين من بعده فى نشر الدعوة الاسلامية وتدعيم أركان دولتهم الناشئة فى النواحى السياسية والعسكرية بالطرق الدبلوماسية أو الحرب دفاعا عن العقيدة . الا أننا نجد للتبادل العلمى عن طريق الاتصالات بين الدول أصولا ثابتة فى تاريخ الدعوة المحمدية منذ بعثة الرسول ، وتشكل هذه الأصول البذرة الأولى لشجرة السفارات الثقافية التى بدأ نموها فى نهاية دولة بنى أمية فى دمشق ، ثم ازدهرت فى عهد بنى العباس فى بغداد ودولة الأمويين فى الأندلس ، بل اننا نجد هذه الأصول فى صميم المبادىء الاسلامية التى جاء بها النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فالسفارات الثقافية تنبع من صميم الدعوة الاسلامية وجوهر رسالتها لانها دعوة الى الايمان بوحدانية الله ووحدة العالم عن طريق المساواة بين البشر وسيادة الحق والعدل والحرية والقانون . والتبادل الثقافى من أهم الوسائل التى توثق العلاقات بين الأمم والشعوب ، وترفع بينها الحواجز وتفض المنازعات

وتدعم السلام • ذلك أن تبادل المنافع المادية كالتجارة ، والمعنوية كالافكـــار والمشاركة فيها يقتلعان بذور الشك وعدم الثقة ويمهدان الطريق للتعــاون والتضامن فى ظل الأمن والسلام بين أعضاء الأسرة الدولية ، سواء تلك التى تتفق فى نظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أو التى تختلف فيها •

* * *

وقد اخذ الميثاق بهذه المبادىء الانسانية التى يدين بها الاسلام وتدعو اليها الشريعة العصماء فمثل ماجعل الميثاق العلم وسيلة من وسـائل الانتاج فى المجتمع • جعله كذلك وسيلة للحياة والسلام للبشر ودعا الى حظر استخدامه فى سبيل دعم أداة الحرب او اذكاء نيران الضغائن واسباب الخلافـــات بين الناس فنحن نجد شعار العلم للمجتمع فيما جاء بالميثاق :

« ان الطاقة الذرية من أجل الحرب ليست هدفنا ، ولكن الطاقة الذرية فى خدمة الرخاء قادرة على أن تصنع المعجزات فى معركة التطوير الوطنى •

* * *

ونجد شعار العلم للسلام والتعاون الدولى من أجل الرخاء فى بـــاب السياسة الخارجية :

« أن شعبنا يؤمن أن الرخاء لايتجزأ وأن التعاون الدولى من أجل الرخاء هو أقوى ضمانات السلام العالمى •

« انه يشمل فتح الأسرار العلميـةللجميــــع فان احتكار العلم يهـــدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية •

« كذلك هو يشمل الدعوة الى توجيه الذرة للسلام حتى تستطيــــع ان تخدم قضية التطوير وتضىء جوانب التخلف المظلم •

« كذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التى توجـــه الى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من ان تترصد لها وتتربص بها •

وهكذا يلتقى الميثاق مع المبادىء والقيم الاسلامية السامية فى مجـال الفكر والثقافة وتتجلى فيه ملامح من الفكر الاسلامى الذى طبع روح الأمـة الاسلامـة وأنشأ لها حضارة من أزهى حضارات البشرية على مر العصور •

ولاعجب اذن أن يسجل الميثاق هذه الحقيقة بقوله فى الباب الثالث :

« وفى اطار التاريخ الاسلامى •• وعلى هدى من رســـالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم •• قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضـــارة والانسانية •

وقوله فى الباب العاشر :

« ان شعبنا يؤمن برباط روحى وثيق يشده الى العالم الاسلامى »

الفهـــرس

صفحة